في مقارنة الأديان

# المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن

دراسة أكاديمية



الأستاذ الدكتور

سعدون محمود الساموك

الجامعة الأردنية - كلية الشريعة



الأستاذ الدكتور

**سعدون محمود الساموك**

الجامعة الأردنية

كلية الشريعـــة

## في مقارنة الأديان

# المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن

## دراسة أكاديمية

* الحنيفيـــــة
* الإســـــلام
* اليهوديـــــة
* الصابئيـــــة
* النصرانيـــة
* الزرادشيـــة
* البابليـــــة
* المصريـــــة
* الرومانيـــــة
* اليونانيـــــة
* الهنديـــــة
* الصينيـــــة
* اليابانيـــــة
* القاديانيـــة
* البـــابيـــة
* البهائيـــــة

الطبعة الاولى

٢٠٠٦



رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : (٢٠٠٦/١/١٢١)
٢٩١
الساموك ، سعدون محمود
المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن : دراسة اكاديمية / سعدون محمود الساموك.
- عمان، دار وائل ، ٢٠٠٦ .
(٣٤٤) ص
ر.إ. : (٢٠٠٦/١/١٢٢)
الواصفات: الديانات المقارنة/ الإسلام/ القرآن/ الديانات القديمة/ المسيحية/ اليهودية

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

ISBN 9957-11-649-5 (ردمك)

* المعتقدات والأديان وفق منهج القرآن
* الأستاذ الدكتور سعدون الساموك
* الطبعـــة الأولى ٢٠٠٦
* جميع الحقوق محفوظة للناشر




دار وائل للنشر والتوزيع
* الأردن – عمان – شارع الجمعية العلمية الملكية – مبنى الجامعة الاردنية الاستثماري رقم (٢) الطابق الثاني
هـاتف : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣٨٤١٠ – فاكس : ٠٠٩٦٢-٦-٥٣٣١٦٦١ – ص. ب (١٦١٥ – الجبيهة)
* الأردن – عمــان – وسـط البـلد – مجمـع الفحيص التجـــاري- هـــاتف: ٠٠٩٦٢-٦-٤٦٢٧٦٢٧
www.darwael.com
E-Mail: Wael@Darwael.Com

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾

صدق الله العظيم

الحج /١٧

# الإهــداء

أخي الأكرم :

## وائــل وليد أبو غربية

بكل تواضع واحترام وتقدير

# المقدمـــة

الأديان موضوع يحب الكثير من الناس أن يعرفونه... فلا بد أن كلاً منا يجاور صديقاً مسيحياً أو بوذياً أو صابيئاً أو هندياً أو صينياً أو يابانياً من معتنقي أديان ربما لا نعرف كنهها.. وصار لنا الفضول الأكيد في معرفة معتقدات البشر، طالما نحن نعيش على بقعة تكاد تكون قد أصبحت صغيرة أمام المستجدات العلمية التي تنتشر بيننا.

ففي الطائرة نكون خلال ساعات في أمريكا أو في اليابان. وفي الكمبيوتر نطلع في اللحظة على ما يحصل في روسيا أو البرازيل أو القطبين فنعرف الأحداث حال وقوعها. وتستعر الحرب في بعض الأحيان بين طوائف وأديان لا نعرف سببها، وربما لا يعرف القائمون بها أسبابها.

وتنعقد المؤتمرات العالمية للتقريب ما بين وجهات النظر الدينية المختلفة... وتخرج نتائج منها ما تنشر، ومنها ما يبقى على رفوف الجمعيات التي تعقد تلك المؤتمرات.

و(العولمة) قد جعلتنا -شئنا أم أبينا- قرية صغيرة... تطلع بيوتاتنا إحداها على الأخرى بسببها... ولم يعد أمر المسلمين بخاف على النصارى ولا أمر الإسرائيليين بخاف على الفلسطينيين ولا العرب أو المسلمين.

نعم... هذه من إيجابيات العولمة - ولا نتطرق إلى سلبياتها، حيث أن هذا ليس مجالها- فمن إيجابياتها الأخرى أنها جعلت كل العقائد والأديان بين أيدينا... نتصفح كتبها ونتعلمها ونرى أو نطلع على شؤونها التي قد تهم كل البشر.

أما كيف سيكون منهجنا في بحث تلك الأديان؟

إن الإنسان يستطيع أن يتكلم عن الأديان بكل الطرق العلمية المتاحة... لكنني رأيت في هذا الكتاب أن آخذ بالمنهج الربَاني، الذي جاء في كتابنا المقدّس

"القرآن الكريم"، حيث أن الله خالق الناس وخالق أديانهم، هو خير من يتحدث عنهم...

وقد جاء ذكر الأديان بصورة عامة -وهي منهجنا في هذا الكتاب كما قلت- فيقول عنها الباري عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فالباري عز وجل قد لخّص لنا أديان العالم في كلمات معدودات. لم يستطع أن يختصرها بهذا الشكل أي إنسان أو مختص بعلم الأديان...

إنَّ من بقي على الإيمان الصافي -كما نعلم-، هم الأحناف أتباع "دين إبراهيم عليه السلام" ومن بعدهم المسلمون أتباع النبي محمد صلى الله عليه وسلم. أما الأحناف فإنهم قد ساندوا دعوة الإسلام وذابوا فيها فلم يعد لهم وجود بعد بعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم... وكان من المفروض أن يكون اليهود والنصارى ضمن من آمن... ولكننا نعلم أن القرآن الكريم قد أبلغنا في مواضع عدة أنهم قد حرّفوا كتبهم وقالوا في أنبيائهم قولاً عظيماً... ولذلك فقد أشير إليهم كأهل كتاب فقط... هم ومن سبقهم في هذا الأمر من الصابئة الذين أدخلوا أنفسّهم في عزلة طويلة -كانوا فيها مجهولين- حتى آن لهم أن يظهروا على حقيقتهم التوحيدية في أواخر القرن الماضي - كما سنأتي إلى ذكر ذلك فيما بعد-.

ولم يجعل الله المجوس ضمن الذين أشركوا . ولعل هذا يؤيد نظرية من قال بكونهم من أهل الكتاب -قبل التحريف- أما رمز دينهم زرادشت والذي صار مؤلهاً عندهم فربما كان نبياً. ولا يمكن التأكيد على ذلك بالطبع. فالمهم أن ديانتهم قد دخلها التحريف وما عادت من بين الذين عناهم الله "بالذين آمنوا".

أما المشركين، فهم كل أصحاب الديانات الوضعية... بدءاً من الديانات الهندية إلى الصينية إلى اليابانية، وكان يمكن أن يضم إليهم عبّاد الشيطان وعبدة

الأصنام الحجرية والبشرية ولكن معلوماتنا عنهم محدودة ونرجو أن تتم الإشارة إليهم في طبعاتنا القادمة -إن شاء الله-.

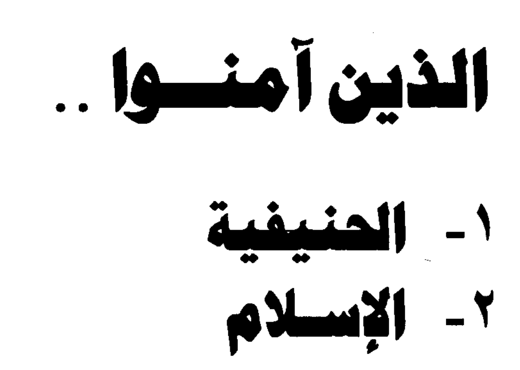
وقد خرجت عن الإسلام فرق أدخلت نفسها مع غيرها من الأديان أو المعتقدات الوضعية... كالقاديانية والبابية والبهائية، فبقدر ما نعرف عنها ذكرناه في آخر الكتاب ونسأل الله العفو والعافية.

ويجب أن نتذكر بأن الله سبحانه وتعالى أنزل آيته التي مررنا عليها بصورة مجملة غير مفصلة... أما الكتاب هذا فإنه محاولة منا للاستفادة من الآية كمنهج فقط لا تفسيرها. أي أنه بدافع توضيح أن الأديان في الكرة الأرضية هي الأديان -التي ذكرناها متسلسلة حسب الآية الكريمة- هي كل أديان أهل الأرض، والتي كانت منهجاً في البحث.

وأرجو أن أكون وفقت فيها... فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن عندي.

والحمد لله رب العالمين

**المؤلف**


الذين آمنـــوا ..
١- الحنيفية
٢- الإســلام

# الحنيفية والإسلام

إن كل الاديان السماوية هي مما ينطبق عليها لفـظ "الذين آمنوا" . لكن تحريف كتبها كـان سـبباً فـي اخراجها ممن آمنوا .. ومصداق ذلك أن الباري عز وجل افرد الاديان السماوية "بالاسم" بعد ذكر "الـذين آمنوا" دليلاً على استثنائهم منهم. ولم يبق من الذين آمنوا الا دينين احدهما "الحنيفية" دين ابراهيم عليه السلام والذي لم تبق عنـه الا معلومـات بـسيطة، واسلام محمد صلى الله عليه وسلم والـذي سـيبقى حياً ما بقي القرآن الكريم.

# ١ـ الحنيفية

**الحنيفية في اللغة :**

قال ابن منظور في لسان العرب تحت مادة حنف: "الحنيف المائل من خير أو شر إلى خير"

قال ثعلب: ومنه أخذ الحنف والله أعلم وحنف عن الشيء وتحنف مال والحنيف المسلم الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق.

وقيل: هو الذي يستقبل قبلة البيت الحرام على ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقيل هو المخلص وقيل هو من أسلم في أمر الله فلم يلتو في شيء وقيل كل من أَلِم لأمر الله تعالى ولم يلتو فهو حنيف.

| تعددت معاني الحنيفية في اللغة لتشمل اموراً كثيرة .. وكلها تقرب من المعنى الاصطلاحي الذي اطلقه الباري عز وجل عليها . |
|---|

قال أبو زيد: الحنيف المستقيم.

وقال أبو عبيدة في قوله عز وجل ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ قال من كان على دين إبراهيم فهو حنيف عند العرب وكان عبدة الأوثان يقولون نحن حنفاء على دين إبراهيم فلما جاء الإسلام سموا المسلم حنيفاً.

وقال الأخفش: الحنيف المسلم وكان في الجاهلية يقال من اختتن وحج البيت حنيف لأن العرب لم تتمسك في الجاهلية بشيء من دين إبراهيم غير الختان وحج البيت فكل من اختتن وحج قيل له حنيف، فلما جاء الإسلام تمادت الحنيفية فالحنيف المسلم.

وقال الزجاج: نصب حنيفاً في هذه الآية على الحال المعنى بل نتبع ملة إبراهيم في حال حنيفيته.

ومعنى الحنيفية في اللغة الميل والمعنى أن إبراهيم حنف إلى دين الله ودين الإسلام وإنما أخذ الحنف من قولهم رجل أحنف ورجل حنفاء وهو الذي تميل قدماه كل واحدة إلى أختها بأصابعها والحنيث من سنته الاختتان وروى الأزهري عن الضحاك في قوله عز وجل ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ قال حجاجا وقال كذلك السدي ويقال تحنف فلان إلى الشيء تحنفاً إذا مال إليه. وقال ابن عرفة في قوله عز وجل ﴿بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً﴾.

قد قيل أن الحنف الاستقامة وإنما قيل للمائل الرجل أحنف تفاؤلاً بالاستقامة.

**الحنيفية في المصطلح الإسلامي :**

قال أبو منصور: معنى الحنيفية في الإسلام الميل إليه والإقامة على عقده والحنيف الصحيح الميل إلى الإسلام والثابت عليه الجوهري الحنيف المسلم وقد سمي المستقيم بذلك كما سمي الغراب أعور وتحنف الرجل أي عمل الحنيفية ويقال اختتن ويقال اعتزل الأصنام وتعبد.

قال جران العود:

ولما رأين الصبح بادرن ضوءه        رسيم قطا البطحاء أو هن أقطفوا
أدركن أعجازاً من الليل بعدما        أقام الصلاة العابد المتحنف

وقول أبي ذؤيب أقامت به كمقام الحنيف شهري جمادى وشهري صفر إنما أراد أنها أقامت بهذا المتربع إقامة المتحنف على هيكله مسروراً بعمله وتدينه لما يرجوه على ذلك من الثواب. وجمعه حنفاء.

للحنيفية معنى ديني يميل إلى معنى الزهد والبعد عن ادران الدنيا والشرك والكفر.

وقد حنف وتحنف والدين الحنيف الإسلام والحنيفية ملة الإسلام وفي الحديث أحب الأديان إلى الله الحنيفية السمحة ويوصف به فيقال ملة حنيفية وقال ثعلبة الحنيفية الميل إلى الشيء وقال ابن سيده وليس هذا بشيء الزجاجي الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويغتسل من الجنابة ويختتن فلما جاء الإسلام كان الحنيف المسلم وقيل حنيف لعدوله عن الشرك قال وأنشد أبو عبيد في باب نعوت الليالي في الظلمة في الجزء الثاني

فما شبه كعب غير أعتم فاجر ... أبى مذ دجا الإسلام لا يتحنف

وفي الحديث خلقت عبادي حنفاء أي طاهري الأعضاء من المعاصي لا أنهم خلقهم مسلمين كلهم لقوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ وقيل أراد أنه خلقهم حنفاء مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاق ألست بربكم فلا يوجد أحد إلا وهو مقر بأن له رباً وإن أشرك به واختلفوا فيه.

والحنفاء جمع حنيف وهو المائل إلى الإسلام الثابت وعليه وفي الحديث بعثت بالحنيفية السمحة السهلة والحنيفية ضرب من السيوف منسوبة إلى أحنف لأنه أول من عملها وهو من المعدول الذي على غير قياس.

**الحنيفية في التراث :**

قال ابن النديم في الفهرست (١/٣٢): "قال محمد ابن إسحاق قرأت في كتاب وقع إلي قديم النسخ يشبه أن يكون من خزانة المأمون ذكر ناقله فيه أسماء الصحف وعددها والكتب المنزلة ومبلغها وأكثر الحشوية والعوام يصدقون به ويعتقدونه فذكرت منه ما تعلق بكتابي هذا وهذه حكاية ما يحتاج إليه منه على لفظ الكتاب. قال أحمد بن عبد الله بن سلام مولى أمير المؤمنين هارون أحسبه الرشيد ترجمت له هذا الكتاب من كتاب الحنفاء وهم الصابيون الإبراهيمية الذين آمنوا بإبراهيم عليه السلام وحملوا عنه الصحف التي أنزلها الله عليه. وهو كتاب فيه

طول إلا أني اختصرت منه ما لا بد منه ليعرف به سبب ما ذكرت من اختلافهم وتفرقهم وأدخلت فيه ما يحتاج إليه من الحجة في ذلك من القرآن والآثار التي جاءت عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه وعن من أسلم من أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام ويامين بن يامين ووهب بن منبه وكعب الأحبار وابن التيهان وبحيرا الراهب".

وقال ابن كثير في البداية والنهاية (١/١٦٣) بعد أن ذكر بعض الآيات الموضحة لدين إبراهيم عليه السلام: "يذكر تعالى عن عبده ورسوله وصفيه وخليله إمام الحنفاء ووالد الأنبياء عليه أفضل صلاة وتسليم أنه بنى البيت العتيق الذي هو أول مسجد وضع لعموم الناس يعبدون الله فيه وبوأه الله مكانه أي أرشده إليه ودله عليه وقد رينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وغيره أنه أرشد".

قال جواد علي في المفصل في تاريخ العرب (٦/٤٥٢): "وقد لخص الفخر الرازي والطبرسي آراء العلماء في الحنيفية وأجملاها في تفسيرهما للآية ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾، فقالا: "وفي الحنيفية أربعة أقوال: "أحدها أنها حج البيت، عن ابن عباس والحسن ومجاهد، وثانيها أنها اتباع الحق، عن مجاهد، وثالثها أنها أتباع إبراهيم فيما أتى به من الشريعة التي صار بها إماماً للناس بعده من الحج والختان وغير ذلك من شرائع الإسلام، ورابعها أنها الإخلاص لله وحده والإقرار بالربوبية والإذعان للعبودية".

| ودراسة الحنيفية تجعل هناك خلطاً ما بين الاتجاه إلى الله وما بين الرهبنة وما بين التحنث قياساً على الأشخاص الذين كانوا يدينون بها. |
|---|

وقال: "نرى مما تقدم وسترى فيما بعد أن أهل الأخبار لم يكونوا على بينة تامة وعلم واضح بأحوال الحنيفية بآرائها وقواعد أحكامها وأصولها، وأنهم خلطوا في بعض الأحيان فيما بينها وبين الرهبنة، ولا سيما رهبنة النصارى، فأدخلوا فيها

من يجب إخراجهم منها، لأنهم كانوا نصارى على ما ذكره نفس أهل الأخبار في أثناء تحدثهم عنهم، ومن هؤلاء: قس بن ساعدة الإيادي وورقة بن نوفل، وعثمان بن الحويرث، فقد نصوا نصاً صريحاً على أنهم كانوا من العرب المتنصرة، ثم نجدهم مع ذلك يدخلونهم في جملة الأحناف.

**الحنيفية والمستشرقون :**

وللمستشرقين بحوث في أصلها ومعناها وفي ورودها عن العرب قبل الإسلام، ومنهم من يرى أن اللفظة من أصل إرمي وقد كانت معروفة عند النصارى، وأخذها الجاهليون منهم، وأطلقت على القائلين بالتوحيد من العرب، على أولئك الذين ظهروا في اليمن خاصة، ونادوا بالتوحيد وعبادة الرحمان، وهي ديانة توحيد ظهرت بتأثير اليهودية والنصرانية، غير أن أصحابها لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وإنما كانوا فرقة مستقلة بآراء الديانتين.

وقد ذهب بعض المستشرقين إلى أن اللفظة من أصل عبراني، هو تحينوت، أو من حنف، ومعناها التحنف في العربية، وذلك لما لهذه اللفظة من صلة بالزهد والزهاد، وقال نولدكه أنها من أصل عربي هو تحنف على وزن تبرر، وهي من الكلمات التي لها معان دينية، ويلاحظ أن السريان يطلقون لفظة حنفه على الصابئة، وقد وردت لفظة حنف في النصوص العربية الجنوبية، وردت بمعنى صبأ، أي مال وتأثر بشيء ما، أي بالمعنى الذي فهمه علماء اللغة، فاللفظة إذن من الأفاظ المعروفة عند العرب الجنوبيين.

**الحنيفية خروج عن الملّة :**

عندي أن لفظة حنيف، هي في الأصل بمعنى صابئ أي خارج عن ملة قوم، تاركاً لعبادتهم، ويؤيد رأيي هذا ما ذهب إليه علماء اللغة بأنها من الميل عن الشيء وتركه، ومن ورودها بهذا المعنى في النصوص العربية الجنوبية، وبمعنى الملحد، والمنافق والكافر في لغة بن إرم، ومن إطلاق المسعودي وابن العبري لهذه اللفظة على الصابة، ومن ذهاب المسعودي إلى أن اللفظة من الألفاظ السريانية

المعربة. وقد أطلقت على المنشقين على عبادة قومهم الخارجين عليها. كما أطلق أهل مكة على النبي وعلى أتباعه الصابئ والصابئة. فصارت علماً على من تنكر لعبادة قومه، وخرج على الأصنام، ولهذا نجد الإسلام يطلقها بادئ الأمر على نابذي عبادة الأصنام، وهم الذين دعاهم بأنهم على دين إبراهيم، ولما كان التنكر للأصنام هو عقيدة الإسلام لذلك صارت مدحاً لمن أطلق الجاهليون عليهم تلك اللفظة لا ذماً.

لم يخلف لنا السلف معنى محدداً للحنيفية بحيث كانت الصورة عنهم غير واضحة.

**الحنيفية والمفسرون :**

وليست الصورة التي رسمها المفسرون وأهل الأخبار عن عقيدة الحنفاء واضحة، فهي تخص صورة غامضة مطموسة في كثير من النواحي تخص الناحية الخلقية أكثر مما تخص الناحية الدينية، فليس فيها شيء عن كتاب كانوا يتبعونه أو كتب كانوا يسيرون عليها، نعم إن نفراً منهم كما ذكر الرواة كانوا قد قرأوا الكتب ووقفوا عليها، ولكن ما تلك الكتب التي قرأوها وما أسماؤها، وهل هي من التوراة والإنجيل، ولكن أي توراة وإنجيل، التوراة والإنجيل التي كانت بين أيدي الناس أو غيرها؟ فالذي يفهم من كلام الرواة أن الحنفاء كانوا يرون تحريفاً في الكتابين، وأن هناك تبايناً قليلاً أو كثيراً بين الأصل الذي أوحاه الله وبين الذي كان بين أيدي الناس، وأنهم مالوا عن اليهودية والنصرانية إلى دين إبراهيم الحنيف، فقرأوا كتبه وتعبدوا بعبادة إبراهيم، ولكن ما هي كتب إبراهيم وما عبادته.

وليس في إمكاننا في الوقت الحاضر وضع حد صريح وواضح لمفهوم الأحناف والدين الحنيف، عند الجاهليين، لما ذكرته من عدم وجود موارد موضحة صريحة عن الأحناف، ولعدم ورود أي شيء عنهم في نصوص الجاهلية، ولأن في الكثير من الذي يذكره المفسرون وأهل الأخبار عنهم غموض وإبهام أو صنعة

وتكلف، لذلك فليس أمامنا سوى الانصراف إلى البحث عن جمع كل ما ورد عن الحنيفية في الشعر وفي النثر وتنقيته وغربلته لاستخراج المادة الصافية منه التي تفيدنا في الوقوف على تلك الحركة الدينية التي كانت بارزة عند المذكورين قبيل ظهور الإسلام. والوقوف عليها يفيدنا كثيراً ولا شك في فهم الإسلام الذي أثنى على الحنيفية وأرجعها إلى ديانة إبراهيم وفي فهم اتجاهات الأحناف ودعوتهم التي وجهوها إلى قومهم في نبذ عبادة الأصنام والأحجار والمعبودات المادية الأخرى، والالتجاء إلى عبادة إله أعلى لا يشبه المادة، هو إله واحد لطيف خبير.

**الحنيفية والنسك :**

والحنفاء كما يفهم من روايات أهل الأخبار، كانوا طرازاً من النساك، نسكوا في الحياة الدنيا، وانصرفوا إلى التعبد للإله الواحد الأحد له إبراهيم وإسماعيل، ساحوا في البلاد على نحو ما يفعله السياح والزهاد بحثاً عن الدين الصحيح دين إبراهيم، فوصل زيد بن نفيل إلى الشام والبلقاء ووقف على اليهودية والنصرانية، فلم ير في الديانتين ما يريد، ومنهم من أخذ على قومه هدايتهم يحثهم على ترك عبادة الأصنام، لذلك لاقوا منهم غشاً ونصباً شديداً، ومنهم من كان يتأمل في هذا الكون لذلك تجنب الناس واعتزلهم والتجأ إلى الكهوف والمغاور البعيدة ابتعاداً عن الناس للتأمل والتفكر، وقد تجنبوا الخمرة والأعمال المنكرة وقول الفحش، وساروا على مثل الإسلام، وإن عاشوا قبل الإسلام لأن الإسلام دين إبراهيم.

| صور لنا القرآن الكريم الاحناف بصورة الرافضين للشرك والمؤمنين بتوحيد الله واطلق عليهم لفظ "المسلمين" بينما اطلق عليهم الناس لفظ "النصارى" في بعض الأحيان. |
|---|

**الحنيفية في القرآن الكريم :**

والذي يفهم من القرآن الكريم، هو أن الحنفاء هم أولئك الذين رفضوا عبادة الأصنام فلم يكونوا من المشركين بل كانوا يدينون بالتوحيد الخالص، وهو فوق توحيد اليهود والنصارى، فلم يكونوا يهوداً ولا نصارى ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ آل عمران:٦٧، وإن قدوتهم في ذلك إبراهيم، ويلاحظ أن لفظة مسلم استعملت في مرادف الإسلام ومعنى لفظة الحنيف، وإن إبراهيم هو أبو وأول المسلمين، وقد وصف الإسلام بأنه دين الله الحنيف، والدين الحنيف وأن الشريعة الإسلامية هي الحنيفية السمحة، وذلك تمييزاً لها عن الرهبنة المتعصبة.

**الحنيفية والنصرانية :**

وقد عد بعض المستشرقين الحنفاء شيعة من شيع النصرانية وعدوهم نصارى عرباً زهاداً كيفوا النصرانية بعض التكييف، وخلطوا فيها بعض تعاليم من غيرها وقد استدلوا على ذلك بما ورد من تنصر بعضهم، وبما ورد في بعض الأشعار الجاهلية من مواضع يفهم منها على تفسيرهم أن المراد بهم شيعة من شيع النصرانية، غير أن القرآن قد نص نصاً صريحاً على أن الحنفاء لم يكونوا يهوداً ولا نصارى، وإنهم ينتمون في عقيدتهم إلى إبراهيم، ثم إن الإخباريين وإن أدخلوا في الأحناف إناساً نصوا على أنهم كانوا من النصارى، إلا أنم نصوا في الوقت نفسه نصاً صريحاً على أن البقية الباقية كانت واقفة لم تدخل في يهودية ولا نصرانية، إذ وجدت في كل ديانة من الديانتين أموراً جعلتها تتريث، لم تدخل في إحداهما، وبقيت مخلصة لسنة إبراهيم لذلك فلا يمكن اعتبار الأحناف نصارى خلصاً، أو شيعة من شيع النصرانية.

وقد كان من الحنفاء نفر من النصارى، أخلصوا لنصرانيتهم وماتوا عليها فهؤلاء هم نصارى من غير شك، ويجب إخراجهم من طائفة الحنفاء، وإدخالهم في

النصارى، مثل بحيرا الراهب وأمثاله. ويلاحظ أن جميع من حشرهم أهل الأخبار في الحنيفية كانوا من القارئين الكاتبين، وكانوا يشترون الكتب ويراجعونها ويسقطون أخبار أهل الآراء والمذاهب والديانات. ولبعض منهم كما يروي أهل الأخبار علم باللغات الأعجمية مثل السريانية والعبرانية، كما كان لهم علم ووقوف على تيارات الفكر في ذلك الوقت. وقد أضافوا إلى علمهم الذي أخذوه من الكتب علماً حصلوا عليه من أسفارهم إلى الخارج مثل العراق وبلاد الشام ومن اتصالهم بالرهبان وبرجال الكنائس واليهود، فهم بالنسبة لذلك الوقت كالطبقة المثقفة في عهد الجاهليين نادت بالإصلاح وبرفع مستوى العقل وبنبذ الأساطير والخرافات وبتحرير العقل من سيطرة العادات والتقاليد فيه، وذلك بالدراسات والتأمل بقراءة الكتب وبالرجوع إلى دين الفطرة الذي لا يقر عبادة الشرك ولا عبادة الناس.

هل يجوز لنا ان نطلق عليهم لفظ الجاهليين؟ ام انهم قوم مصلحون في عصر الجاهلية؟

**الحنيفية والاصلاح :**

لذلك نستطيع أن نقول عن هؤلاء أنهم كانوا إناساً من النوع الذي نطلق عليه كلمة (مصلحين) في الوقت الحاضر، من هذا الطراز الذي يريد إصلاح الأوضاع ورفع مستوى العقل فإنهم جماعة ضد الأوضاع الاجتماعية السائدة في أيامهم، لأنها في نظرهم أوضاع مؤخرة تمنع الإنسان من التقدم ومن إدراك الواقع، وقد رأت في العقل لا يقر التقرب إلى أحجار وإلى التبرك بها والذبح لها، لأنها حجارة لا تعي ولا تفهم وليس في إمكانها أن تسم أو تجيب لذلك نفرت منها. ومنهم من آمن بدين كالنصرانية، ولكنه لم يكن على نصرانية قومه، لأن عقله لا يقر التقرب إلى المادة، فصيرته حائراً في أمره من الديانات، يعتقد بإله، ولكنه لم يستقر

على دين، عائب على قومه من المشركين ما هم عليه من جهل ومن عبادة أحجار من كل تقرب إليها.

ثم شرع الدكتور جواد علي في الكلام على بعض الأخبار التي سردناها من أصولها سابقاً، وبالتذييل على رأيه في كل واحد من الحنفاء، مستصحباً الفكرة التي أوردها عنهم.

والحقيقة أن البحث الذي أودعه الدكتور جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، من أفضل البحوث في الحنيفية، وأجمعها.

**الحنيفية في الفكر الماركسي :**

وأما المفكر الماركسي حسين مروة، فينظر إلى الحنفاء في كتابه النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية، على أنهم نتاج طبيعي للصراع بين اليهودية والمسيحية، فبعد أن قدم في كلامه للصراع اليهودي المسيحي في الجزيرة، قال (٣٠٩/١): "... ثم أن نتج التفاعل الطويل الأمد وإن تنتج اختماراته في ذاكرة الوعي، ظهور فريق من الناس في مجتمع الجاهلية بموقف متميز حيال كل تلك المسائل الكونية، أي موقف ليس بوثني ولا يهودي ولا مسيحي، بل متفرد باتجاه الرؤية التأملية، كعلامة على ولادة أمر جديد من رحم الأمر القديم نفسه، أو إرهاص بهذه الولادة، لقد ظهر هذا الفريق بالفعل في الفترة الأخيرة من العصر الجاهلي، من بين الذين عرفهم مجتمع الجاهلية باسم الحكماء، ومتميزاً بمعارضته عبادة الأصنام وتعدد الآلهة وبدعوته إلى الإله الواحد، لكن على غير طريقة التفكير الديني اليهودي أو المسيحي، ذلك هو فريق الذين أطلق عليهم صفة الحنفاء أو الأحناف.

**الحنيفية في التاريخ :**

ثم وبعد أن لخص ما قاله الدكتور جواد علي عن أصل الحنفاء وتاريخهم، قال (٣١١/١): "أما النظرة التاريخية العلمية في مسألة الحنفاء فلا تتوقف عند الأسماء العينية التي يسردها الإخباريون بكثير من الاضطراب والاختلاط، ثم

يفرزون منها من يزعمون أنه تنصر، ومن يزعمون أن أعمارهم ترقى بعيداً جداً إلى زمن ما قبل الجاهلية الأخيرة، ولا تتوقف أيضاً هذه النظرة عند الشكوك المثارة بشأن بعض الشخصيات المنسوبة إلى جماعة الحنفاء... أقول: إن النظرة العلمية لا تتوقف عند هذه أو تلك مما يكثر الجدل فيه لدى المؤرخين والباحثين، فالمسألة هنا ليست في ثبوت إن هذا أو ذاك، من الشخصيات المذكورة كان من الحنفاء أو لم يكن، أو في صحة انتساب قول إليه وعدم صحته، بل قد يثبت لنا بالفعل أن ليس بين أصحاب تلك الأسماء بأعيانهم من كان حقاً في عداد هذه الجماعة، وتبقى المسألة مع ذلك قائمة غير لاغية، بمعنى أن تبقى لدينا مسألة تاريخية كبيرة الشأن في مسألة ظهور هذا التيار الذي أطلق عليه وصف الحنفاء، في تلك الفترة التاريخية المعينة قبيل الإسلام، وإن كان الإخباريون العرب قد اختلطت عليهم الأسماء، أو إذا كانوا نحلوا أصحاب هذه الأسماء أو بعضهم صفة الحنفاء دون حق، أو إذا كانوا حملوا على بعضهم أقوالاً ليست له، فإن الأمر الذي يستبعد احتماله أن يكون هؤلاء الإخباريون قد اختلفوا اختلافاً دون أساس واقعي تاريخي، مسألة وجود هذه الجماعة التي شكلت في فترة الجاهلية الأخيرة تيارات أو ظاهرة في تلك الفترة بعينها، هو المسألة الجوهرية.

**هل يمكننا القول بان ظاهرة الحنيفية، بداية لعصر التوحيد المطلق الذي جاء به الإسلام؟**

إن وجود هذه الظاهرة في أخريات الجاهلية لا تنفيه الأدلة النقلية التاريخية إذن بل هي تثبته، لكن حتى لو أن هذه الأدلة كانت غائبة عنا، لكان علينا بالضرورة إثبات الظاهرة بالاستناد إلى منطق التاريخ نفسه. فهو يدعونا إلى رؤية إثبات ظاهرة الحنفاء كواقع حتمي تقتضيه طبيعة التغيرات التي كانت تحدث في

مجتمع الجاهلية خلال القرن السادس الميلادي على صعيد العلاقات الاقتصادية الاجتماعية، إضافة إلى العامل الذي أشرنا إليه منذ قليل، نعني عامل التفاعل الطويل الأمد بين الموقف الوثني والموقف اليهودي المسيحي من العالم على صعيد الوعي الديني. إن هذا العامل لا يصح تجاهله ولا يصح التهوين من أثره في خلق ظاهرة كظاهرة الحنفاء عير أنه هو نفسه يخضع في عمق تأثيره ذاك وفي وتيرة حركته وتحديد اتجاهها إلى الفعل الحاسم الذي تفعله حركة التطور للعلاقات الاقتصادية الاجتماعية ذاتها.

إن ذكر هذه العوامل كلن يدفع العرب آنذاك إلى الحركة التوحيدية، مثل على ذلك ببعض الأمثلة، ولا داعي أن نورد ههنا تلك الأمثلة، لأن ما يهمنا من نظرته عن الحنفاء قد أوردناه، ومن الظاهر أن المؤلف يعتمد اعتماداً كلياً على النظرة الماركسية التي تعتمد الفلسفة المادية التاريخية الجدلية في تفسير ظهور الحنفاء، وهو يجعلها ممهدة لظهور الإسلام نفسه كما يلاحظ العارف المدقق في كلامه. وهذه النظرة ليست صحيحة من هذه الجهة، كما لا يخفى، لأن الأديان لا تخضع لحركة اضطرارية، ولا تخضع لمجرد العوامل الاقتصادية والتاريخية التي يعتمد عليها حسين مروة اعتماداً كلياً في تفسيره للفكر كله. متبعاً في ذلك أسلافه من الماركسيين[1].

| الدين لا يخضع للعوامل الاقتصادية والتاريخية كما يفكر بذلك "الشيوعيون". |
| --- |

---

(١) من بحث طلبت من الأخ (سعيد فوده) كتابته تحت إشرافي.

# ٢ـ الإسلام

كانت ولادة محمد "صلى الله عليه وسلم" بداية لولادة امة عظيمة تبقى ما بقي التاريخ.

**ولادة الرسول صلى الله عليه وسلم :**

في يوم الاثنين، الثاني عشر من ربيع الأول عام الفيل المصادف العشرون من آب سنة ٥٧١ للميلاد في مكة المكرمة. ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيماً وشب في أحضان جده ثم كبر في ظل عمه، يسميه الناس الأمين لنبله وشرفه. سافر إلى الشام تاجراً فرأي وسمع ووعى. دخل غار حراء متعبداً متهجداً يناجي ربه، فوصل إلى ما يصبو إليه، يمشي في شوارع مكة وئيداً متأملاً وعيناه تارة في السماء يقلب وجهه ليستطلع بثاقب بصره حجب الغيب ويكتشف ببصيرته أسرار الكون وأخرى بالأرض.

لقد وصف الباري عز وجل كل الاديان السماوية "بالإسلام" وكل نبي ارسله الله "مسلماً"، إلا أننا هنا سنتحدث عن الإسلام الذي بقي اسماً للدين الذي بعث فيه محمد صلى الله عليه وسلم .

**النبي صلى الله عليه وسلم والوحي :**

وهو في هذا المعترك النفساني يأتيه الوحي في غار حراء فيقول له (اقرأ) فيرتعد هيبته ويقول لست بقارئ فيعود داره مرتعشاً ويتدثر في وطأة الوحي، فيقال له (يا أيها المدثر قم فأنذر، فينهض من دثاره حائراً يترقب فيقال له (وانذر عشيرتك الأقربين) فيقولها سراً ويبلغها همساً، ولم يؤمن برسالته سوى أم المؤمنين ومن الرجال أبو بكر ومن الأطفال عليْ ابن أبي طالب ومن الموالي زيد بن حارثة

فيقال له (اصدع بما تؤمر) فيدعوا الناس سراً وعلانية. وقد ضاقت بـه الرسـالة ذرعاً. ثم يقال له (يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) فينهض بقلب ثابت وعزم صادق متحـدياً قريـشاً كلها. ساخراً بآلهتها هازئاً بقوتها ويصيح من جبل أبي قبيس: أيها الناس قولـوا لا إله إلا الله. فتدوي هذه الصرخة في وديان مكة فتضطرب قريش لهول ما سمعت، وتعصف بها عاصفة الذعر فتأخذها الراجعة تتبعها الرادفة وتجاوبه بصوت خافت مخنوق: (اجعل الإلهة إلهاً واحداً) فوق العزم على نشر الدين الجديد وإعلاء كلمـة الله مهما كانت الظروف والأحوال، لا يخاف بطشاً ولا يقيم لأعدائه وزناً، يقتحم ما يكتنفه من الصعوبات. غير هيّاب ويزدري بالأصنام والتماثيل والإلهة المتحجـرة رغم التهديدات والإهانات فيقال له: نجعلك ملكاً علينا ودع آلهتنا فيقول: لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر. فيحاولون إغواءه بكـل الوسائل: الشدة (السب والشتم والقطيعة والإهانة) واللين (المال والملك والرئاسـة والسيادة) وهو يرفض هذا وذاك مؤمناً بأن الله يصدق وعده وينصر جنده ويهـزم أعداءه. ثم ينعكس هدى رسالته إلى أقاصي الجزيرة وإلى الفراتين وبردى والنيـل وسيحون وجيحون فالعالم المعمور. ولم يزل العالم الإسلامي يردد تلك الـصرخة فوق المآذن خمس مرات باليوم.

ذلك هو محمد " صلى الله عليه وسلم" سيدّ قريش وسيد كل مسلم دعا الناس لدين التوحيد فلحقه من لحقه وعاده من عاداه حتى اتخذ المدينة مقراً لإقامته فانتشر أمره وذاع صيته وقويت شكوته. فدانت له جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها. ودخل الناس في دين الله أفواجاً.

**محمد صلى الله عليه وسلم في مكة :**

نشأ دين الإسلام في أم القرى (مكة المكرمة)، لأنها منبت الصادع به وبلد الحامل لتعاليمه والمبلغ لأحكامه.

اختارها الله تعالى لتبليغ الدعوة والصدوع بدينه، لأنها تضم بيته العتيق الذي يقصده الناس من كل فج عميق. فتكون الصرخة فيها بالدعوة أشمل ولعامة الناس أبلغ ولأنها البلد الذي يجمع لباب العرب وذوي الفصاحة والبلاغة والذي يقصده كل عام من أولئك الفطاحل في الخطابة والفصاحة الحجم الغفير.

جاء الإسلام والعرب في جاهلية تعبد الحجارة الصماء، قد ملؤا بها أعلى البيت معلقة كل قوم ينتسبون إلى حجر منها قد نحتوه بأيدهم ووضعوا له الاسم من عند أنفسهم. ومع ذلك فهم يعبدونه من دون الله سبحانه زاعمين أن هذا الأصم الأبكم المنحوت باليد يقرب زلفى إلى الله خالق كل شيء فقد قالوا (وما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى).

إن القوم لما صكت مسامعهم تلك الصرخة هبوا جميعاً لمكافحته فكذبوه وكان الصادق عندهم وخونوه وكان الأمين لديهم. وأبغضوه وما كان ذنبه اليهم سوى ما أراده منهم من الاعتراف بالوحدانية التي دلت عليها العقول بفطرتها وانتبهت إليها المشاعر بما وجدته من آثارها وغير ما طلبه منهم من التصديق برسالته. وقد قام الدليل عليها وأرشدهم البرهان إليها.

> واجه النبي محمد "صلى الله عليه وسلم" من المقاومة ما لم يواجهة أحد.. ولكنه – باذن الله– قد صمد في وجه المقاومة حتى كتب الله له النصر العظيم.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يثنيه عن المضي في دعوته ما يعانيه منهم من مجابهة في تكذيب أو دعو بالخير أن كف أو وعيد بالشر أن استمر ولما أن مضى النبي صلى الله عليه وسلم على شاكلته آب الرشد لبعضهم ونظر إلى الأمر بعين البصيرة وخلع رداء المعصية. فكان ذلك أملاً في النجاح.

فما زال الإسلام على طول المدة يزداد انتشاراً ويكثر معتنقوه حتى أصبح وقد دخل في كل قبيلة ونما في كل عشيرة لا سيما في الفقراء والمستضعفين منهم. وتآمرت عليه قريش لتمنعه من المضي في عزمه فشنت على أتباعه أنواع غارات التعذيب. فلما رأي النبي صلى الله عليه وسلم ما ينزل باتباع الحق من معتنقي الإسلام أمرهم بالهجرة إلى الحبشة. ففيها ملك لا يظلم عنده أحد ولم يعد الكثير من أولئك المهاجرين إلى الجزيرة إلا بعد هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وهاجروا إلى المدينة المنورة بعد فتح خيبر.

وأدخلوا بني هاشم في حصار في شعب أبي طالب، بقصد إيقاف الدعوة الإسلامية.. إلا أن حصارها خاب وعاد الهاشميون وفيهم المسلمون إلى مكة أحراراً، دون أن يطأطئوا رؤوسهم للكفار وانتشر الإسلام بعدها في بعض القبائل ووصل إلى يثرب إذا كانت تبلغ أهلها كرامات النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته. كانوا أجدر من غيرهم بالإجابة لدعوته.

**محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة :**

لقد حسبت قريش بأن الجد في المنع للنبي صلى الله عليه وسلم عن الهتاف بدعوته وشدة الضغط عليه. فلما راج الإسلام في يثرب وكثر أنصاره جاءوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه الهجرة إلى بلادهم. وقد رأوه بتلك الشدة والضيق. وبايعوه على أن يمنعون منه أنفسهم ويمنعوا نساءه مما ينعون منه نساءهم وذراريهم وكانت تلك أمنية الرسول صلى الله عليه وسلم التي يتطلبها ويسعى لها. فأجابهم إلى ما أرادوا على تلك البيعة. فكانت هجرته إلى يثرب السبب الأقوى لنشر الإسلام في الجزيرة. وصارت يثرب دار هجرة لكل من يسلم في الجزيرة وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بني كل مهاجر وبين أبناء الأنصار (الأوس والخزرج) لتقوية قلوب المسلمين وشد أعضادهم. ثم لما عاهد النبي صلى الله عليه وسلم يهود المدينة ليصبح أهل يثرب والتي صار اسمها مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم أو المدينة المنورة – جبهة قوية يرهب بها الله عدوه وعدو المسلمين.

فشرع الجهاد ليمنع المسلمين ويقويهم فخاض المسلون جملة غزوات كانت بدر الكبرى أولاها والتي فاز بها المسلمون فوزاً ساحقاً.. ثم فتح النبي صلى الله عليه وسلم (مكة المكرمة) ليصبح الرجل الأقوى في الجزيرة كلها واندلعت بعدها دعاوى الردة.. وبدأ المسلمون خوض معارك ضد المرتدين.. ولم يمت الرسول صلى الله عليه وسلم حتى كان الإسلام الدين الأوحد في الجزيرة حيث لا يجتمع في أرض الجزيرة دينان. ولما منّ الله سبحانه وتعالى على المسلمين بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم أصبحوا من أسعد الأمم ببركة تلك التعاليم الإلهية والمعارف القرآنية.. فكان عهده صلى الله عليه وسلم قد حقق جملة فوائد منها:

كان الاسلام الذي بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل تغييرات في كل جوانب الحياة وهذا ما جعل منه ديناً يختلف عن كل الاديان، اختلافاً يتمثل بكماله وشموله واحاطته بكل حاجات البشر .

**أولاً : التغيرات في النظام الاقتصادي**

لقد ألغى الإسلام النظام الاقتصادي الجائر المخل بالروح الإنسانية وأسس بدله نظاماً يرى أن المال ملك لله موظف بيد الإنسان. استخلفه بيد البعض لينتفع به ويؤدي ما للآخرين من حقوق فيه ومن تلك الحقوق:

**الزكاة:**

وهي تكاليف فرضها الله وحددها الإسلام:

**أنواعها:**

ومن أنواعها الإنفاق في سبيل الله فيكون للانفاق معنى أكبر من الزكاة (الفريضة التي فيها أنصبة معروفة) أما الإنفاق فليس فيه نصاب فمنه الكفارات ومنه الإنفاق المراد به وجه الله أو فتح المستشفيات وبناء الجوامع وبناء المدارس

وإعانة الجيش المسلم على الجهاد والعدة للعدو الخ.... وطلب الباري (عز وجل) أن يستثمر المال وإلا يبقى حبيساً ليساهم في تنمية الثروة وتنتفع بها الدولة والناس وصاحب المال نفسه فلا يجوز لمالك المال أن يتركه دون الانتفاع به واستثماره وحرم الإسلام احتكار المال بجميع صوره لأن فيه إيذاء للآخرين وحرم الربا لأنه فيه مساوئ تؤذي المجتمع والأفراد على السواء كما حرم الإسراف والشح أو البخل لأنهما يؤثران تأثيراً سيئاً في النشاط الاقتصادي للدولة الإسلامية.

وضمن الاقتصاد الإسلامي حرية العمل والسعي وراء الرزق وجعل عبادة... ولكن العمل لا بد وأن يكون فيما فيه نفع وفيما يرتضيه الباري (عز وجل).

ودعا الإسلام الناس إلى المنافسة الشريفة لأنهما ركن مثمر من أركان الاقتصاد الإسلامي.

**حقيقة الجزية في الإسلام :**

أما الجزية وهي تقوم مقام الزكاة المفروضة على المسلم وهي الأموال التي يدفعها الذمي لقاء حماية الدولة له وتأمين حياة رغيدة له، لأن الذمي له الحق في العيش والعمل والمنافسة الشريفة في المجتمع الإسلامي وليس عليه الجهاد أو الحراسة أو الأمن، إذ يقوم بها المسلم لحمايته وليس في الجزية ما يهين الذمي أو ينتقص من قدرته كما يروج لها المستشرفون أو أعداء الإسلام، لأن هذه الضريبة كانت معروفة عند غير المسلمين وكانت ضريبة مرهقة وليس هنالك أي مقابل لها. إذ كان الناس يسخرون في العمل والقتال رغم دفعهم المال إلى اليهود والمجوس والرومان. أما الإسلام فقد هذبها وصقلها وجعلها بديلاً لحياة أفضل للذمي يعيش في ظل حماية المسلمين له في كل أموره الدينية والدنيوية.

**ثانياً : التغيرات في الحالة الدينية:**

لقد نادى الإسلام في ظل مجتمعه الذي أرسته العقيدة الإسلامية ودعوة محمد صلى الله عليه وسلم إلى العدالة والحرية واحترام الإنسان وأوجب على المسلم عدة أمور بالنسبة لغير المسلمين منها:

١- ألا يقاتل المسلم إلاّ الذين يعتدون عليه أو يقاتلونه.

٢- لا إكراه في الدين.

٣- حرية المعتقد لمن لا يدخل الإسلام. فالذمي في دار الإسلام آمن على روحه وماله وعرضه. واحترام مكان عبادته وعدم التجريح في شعائره ومعتقداته.

٤- احترام نظمهم الدينية في أمور الزواج والطلاق وعدم التدخل فيما أباحه لهم دينهم من مأكولات أو مشروبات حتى وإن كانت قد حرمت على المسلمين.

٥- أباح الإسلام للمسلم أن يتزوج بالكتابية إن شاء وأن تبقى على عقيدتها إن شاءت ولم يفرق بين حقوق الزوجة الكتابية، فلها من الحقوق ما للزوجة المسلمة.

**ثالثاً : تغيرات الحالة الفكرية:**

لقد جعل الإسلام للناحية الفكرية قدراً عظيماً أرسى بموجبه فيما بعد نهضته التي جعلت المسلمين بناة لأعظم حضارة إنسانية. وقد ابتدأنا الإسلام بقوله تعالى {ولقد كرمنا بني آدم} ففرض علينا هذا التكريم:

أ- أن نتخلص من ربقة الجاهلية وتعصب الجاهلية وقيودها.

ب-أن نفتح باب الحرية الفكرية لفهم الدين والاجتهاد فيه وفهم نصوص القرآن والحديث واستنباط الأحكام منهما.

ت-ألا نغلق الباب على ما يقوله عدونا. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم (من تعلم لغة قوم أمن شرهم) واللغة قد تعني الكلمات التي نتكلم بها أو العقلية التي يدينون بها لنتعلم كيف نجابههما.

ث-حثنا الإسلام على التأمل في النفس وفي ملكوت الله في السموات والأرض لنستطيع القيام بالأمانة العظمى التي حمل الله الإنسان (والمسلم خاصة) القيام بأعبائها ليكون خير خليفة له في الأرض.

ج- حث الإسلام على العلم والتعلم وكثير من أحداث السيرة النبوية وآيات الكتاب الكريم تظهر ما للعلماء من قيمة ومنزلة عند الله وبين الناس.

**رابعاً : التغيرات في الوضع الاجتماعي:**

وقد أرسى الإسلام نظاماً عظيماً تشهد له العصور التي مر بها المسلمون تحت ظل الدولة الإسلامية فقد كفل الإسلام للمسلمين في مجتمعهم جملة أمور منها:

١- احترام حق الحياة للإنسان. فأوجب صيانة الحياة من كل ما يتلقها أو يضعفها.

٢- كفل النظام الاجتماعي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق الحرية والكرامة الإنسانية فالحرية هي الفطرة التي فطر الله عليها الإنسان. إلا أنه قيد حريته فيما يفسد المجتمع الإنساني والعقل الإسلامي.

٣- حق العلم : قال صلى الله عليه وسلم (من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً، سهل الله له به طريقاً إلى الجنة) وقال (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة).

٤- حق التملك: وقد سبق القول بأن المال أمانة في يد مالكه وتملكه وظيفة اجتماعية فلا يجوز أن يساء استعمالها. وهنالك أملاك اجتماعية عامة لا يجوز أن يستأثر بها إنسان معين قال صلى الله عليه وسلم : (الناس شركاء في ثلاث الماء الملأ والنار).

**خامساً : الأخوة الإسلامية:**

جعل الباري عز وجل "اخوة " الاسلام من اقوى الروابط التـــي تـــربط المجتمع الإسلامي. ووصف المؤمنين بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم ودينه العظيم "بالاخوة".

**وثيقة المؤاخاة في الإسلام :**

لقد جعل الإسلام الإخاء الرابطة الجديدة التي يرتبط بها المسلون فقال تعالى {إنما المؤمنون أخوة} وأول أمر ابتدأ به الرسول صلى الله عليه وسلم حكمـــه فـــي المدينة المنورة هو وثيقة المؤاخاة التي كتبها بين المهـــاجرين والأنـــصار. وكـــان الرسول صلى الله عليه وسلم ينادي بالإخاء دائماً فقال (أحبب لأخيـــك مـــا تحبـــه لنفسك).

وترتب على هذا الإخاء جملة أمور منها الوفاء بالعهد بين الأفراد والأمانة والمحافظة على الدماء والأموال والأعراض والتعاون والأمر بالمعروف والنهـــي عن المنكر، وجعل من تطبيق كل ذلك سيادة للإخاء في المجتمع.

أما المساواة: فهي من أعظم المبادئ التي حملها الإسلام إلى النـــاس قـــال تعالى { كلكم لآدم وآدم من تراب}، وقال صلى الله عليه وســـلم (النـــاس سواســـية كأسنان المشط).

وعلى كل حال فإن لكل إنسان مكانته وحقه والواجبات الملقاة على عاتقـــه في مجتمع الإسلام الذي بشر به وطبقه محمد صلى الله عليه وسلم والذي لم يكن إلا رحمة للعالمين وصالحاً لكل زمان ومكان. فإذا كانت تلك ثمار عصر النبـــوة فـــلا زلنا نقطف منها. إذ إنها ثمار سار عليها الخلف كما استثمرها السلف.

**خصائص الشريعة الإسلامية:**

تميزت الشريعة الإسلامية بجملة مميزات هي:

١- الشمول : فلم يترك الباري عز وجل جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلا واحتواها ووضع لها الأسس الكفيلة للعناية بها.

٢- التكامل: والتكامل يعني ألا يقوم الشيء بصورته المثلى بنفسه وإنما يقوم بنفسه وبما يكمله أيضاً فيكون هناك تساند واعتماد في البعض على الآخر.[١]

٣- الأصالة والاستقلال: حيث أن الشريعة الإسلامية بشمولها وتكاملها، مستمدة من الوحي.. أي إنها قائمة بذاتها في نشأتها وتطورها.. فهي أصيلة ومستقلة غير مقتبسة من أنظمة بشرية قديمة أو حديثة. وهي أصيلة في أصولها وفروعها.

٤- المرونة: أي قابلية الشريعة للتطور ومواكبة المصالح المتجددة والنماء المستمر لحاجات المجتمع وتحقيق المصالح المشروعة لكل زمان ومكان.[٢]

٥- الشريعة الإسلامية مثالية وواقعية: فهي مثالية تسعى إلى إبلاغ الفرد والجماعة الصورة المثلى في جوانب الحياة. معتدلة التكاليف ممكنة التطبيق، بعيدة عن الخيال. متطلباتها تدخل ضمن قدرات الإنسان واستطاعته وطاقته.

٦- توافق الشريعة الإسلامية مع الفطرة الإنسانية: والإسلام هو دين الفطرة. فهي تلائم الفطرة الإنسانية ولا تتصادم معها ولا تستأصلها، بل تراعيها وترضيها بالقدر الذي يحقق سعادة الإنسان.

٧- ارتباط الشريعة الإسلامية بتحقيق المصالح الإنسانية: إذ أنها تهدف إلى تحقيق مصالح الإنسان الدنيوية والأخروية ومضمون المصلحة في الشريعة

---

(١) الوجيز في النظم الإسلامية ، ص ٧.
(٢) الوجيز في النظم الإسلامية، ص ٨-٩.

الإسلامية، جلب المنفعة للفرد والجماعة ورفع المضرة عنهم في حدود الحافظة على مقاصد الشريعة الإسلامية.

٨- ابتناء الشريعة الإسلامية على ثنائية الجزاء: فمصدر الشريعة الإسلامية هو الله تعالى. لذلك فإن الجزاء يكون دنيوياً إلا أنه لا يلغي الجزاء في الآخرة في التوبة المقترنة بعدم العودة إلى المعصية. أما العقوبات التي يصعب إيقاعها في الدنيا، فإن الآخرة لن يفلت من عقابها أحد كما يفلت من قبضة القوانين الدنيوية[1].

٩- العموم: فالشريعة الإسلامية عامة للبشر "وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً" وهي عامة في كل زمان ومكان فلا تقبل النسخ ولا الإبطال ولا التبديل ولا التحريف.

**الأنظمة التي أرساها الإسلام:**

لقد ارسى الإسلام جملة من الأنظمة كانت عماد الدين منها:

| والدليل على شمول الإسلام، انه يحتوي على كل الأنظمة التي تنظم حياة الناس، ابتداء من الانظمة الروحية ووصولاً إلى الأنظمة التي يحتاجها الناس في حياتهم الاعتيادية . |
|---|

**أولاً: نظام العبادة:**

نجد هناك جملة خصائص تميز هذا النظام عن نظم العبادة في الأديان الأخرى. ومن تلك المميزات:

١- تنوع العبادة: وامتزاجها بجميع نواحي الحياة لأنها تضمن بتنوعها المنهجية الكاملة للحياة.

٢- العبادة في الإسلام ترتكز على الإيمان بالله ورسوله.

(١) الوجيز في النظم الإسلامية ، ص ١٠.

٣- النية تسبق العبادة فلكي يعتبر العمل عبادة لا بد من توجه الفرد بعمله قلبياً إلى الله بقصد مرضاته.

٤- إن العبادة مقترنة بالجزاء.. فالمسلم يجزى عليها خير الجزاء من الأجـر والثواب. وهناك جزاء عاجل في الدنيا. وكذلك فإن هناك جزاء الآخرة.

٥- التيسير في العبادة ورفع الحرج: فقد شرع الله الرخص في العبادة كتخفيف بعض التكاليف في السفر والمرض والحيض أو عوارض الأهلية أو غيـر ذلك.

**ثانياً: نظام الأخلاق - ومن مميزاته:**

١- صلة الأخلاق بالعقيدة: جعلت الشريعة الإسلامية الصفات الخلقية مـؤثرة تأثيراً بالغاً في الإيمان. حيث قد بين القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الرابط ما بين الخصال الخلقية وبين الإيمان وتقوى الله تعالى وهو الأمر الذي تسعى له الشريعة الإسلامية فـي أن تـسود الأخـلاق المجتمـع الإسلامي.

٢- جعل الأخلاق مهيمنة على جميع أفعال الإنسان: وتفصيل النظام الأخلاقي متروك لاجتهاد الفقهاء ليفصلوا في فروعه وجزئياته.

**ثالثاً : النظام الاجتماعي.. وفيه خصائص كثيرة منها:**

١- مراعاة الأخلاق حرصه على طهارة المجتمع ونقاوته.

٢- الالتزام بمعاني العدالة. لأن الله أراد للمجتمعات الإنـسانية أن تـسودها العدالة ويمتنع عنها الظلم.

٣- العناية بالأسرة لأنها خلية من الخلايا التي يتكون منها المجتمع فإذا صلحت صلح المجتمع وإذا فسدت فسد المجتمع.

٤- تحديد مركز المرأة في المجتمع كحقها في الحياة وفي التكريم وحقها فـي اكتساب الأموال بصورة مستقلة لأن لها ذمة صالحة لاكتـساب الحقـوق

المالية وغير المالية وحقها في التعلم وفي المشاركة العامة وفي الشؤون الاجتماعية المختلفة.

٥- تحميل الفرد مسؤوليات إصلاح المجتمع.

**رابعاً : النظام الاقتصادي.. وفيه مميزات عديدة منها:**

١- اعترافه بالملكية الفردية تلك الملكية التي تنشأ بسبب شرعي ونمائها بطرق مشروعة.

٢- مراعاته لمعاني الأخلاق كالتأكيد على سدّ حاجات الفرد.

٣- تأكيده على سد حاجات الفرد عن طريق حرية العمل وتهيئة سبل العمل للقادرين عليه ومنح الفرص المتكافئة لمن يحتاجها لتحقيق العدالة الاجتماعية.

هنالك انظمة أخرى غير هذه في الإسلام منها نظام العقوبة ونظام القضاء ونظام الجهاد والقرآن الكريم والسنة النبوية يفصلان ذلك تفصيلاً دقيقاً، وهي أنظمة تبين عظمة هذا الدين وشموله وكماله.

## مصادر التشريع الإسلامي:

أما مصادر التشريع في الإسلام فهي :

**المصدر الأول: القرآن الكريم**

القرآن الكريم هو المصدر الأول للشريعة والعقيدة والتربية والفكر والثقافة الإسلامية، ومصدر أول لكل ما يعني الانسان المسلم.

**تعريف القرآن الكريم:**

١- لغة : القرآن في اللغة مصدر قرأ ويرادفه الكتاب وهو مصدر كتب. والقرآن والكتاب بمعنى واحد عقد الأصوليين، وقد صار كل منهما علماً بالغلبة على كلام الله تعالى المقروء بحيث إذ أطلق أحدهما انصرف إليه.

٢- اصطلاحاً: هو كلام الله المعجز المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم باللفظ العربي المتعبد بتلاوته والمنقول الينا بالتواتر في المصاحف المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

أنزل الكتاب على محمد صلى الله عليه وسلم منجماً في ليلة اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده صلى الله عليه وسلم حيث أوحي إليه في غار حراء الذي كان يتحنث فيه.

أول آية نزلت وهو صلى الله عليه وسلم في الغار " بسم الله الرحمن الرحيم" اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم" (العلق).

والليلة التي ابتدأ فيها نزول القرآن هي ليلة القدر. قال تعالى: " إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر، ليلة القدر خير من ألف شهر، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر، سلام هي حتى مطلع الفجر " (سورة القدر).

والليلة التي نزل فيها القرآن كانت في شهر رمضان لقوله تعالى " شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان". (البقرة/ ١٨٥). وكانت تلك ليلة السابع عشر من رمضان لقوله تعالى: " إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان". (الأنفال/٤١).

## تدوين القرآن الكريم:

قال الباري عز وجل "انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون" وأولى أساليب الحفظ الربانية هو تدوين القرآن ثم جمعه .

### ١- تدوين القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم:

اهتم الرسول صلى الله عليه وسلم (رغم كونه أمياً) بتدوين القرآن الكريم. فاستعان بجماعة من أصحابه رضي الله عنهم ممن يتقن الكتابة لتدوين ما ينزل عليه من القرآن وما يحتاج إليه من كتابات. وكانوا يسمون كتاب الوحي. كتابة القرآن الكريم في المدينة أيسر من مكة لكون المدينة دولة الرسول صلى الله عليه وسلم. وكانت كتابة القرآن تخضع للمراجعة والتدقيق حتى لا يتطرق الخطأ أو النقصان إلى كتاب الله تعالى.

وقد ظل القرآن يكتب حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم على القطع دون أن يجمع في الصورة التي نجدها للمصحف اليوم. وذلك لأن القرآن كان ينزل مفرقاً – كما ذكرنا ولأن السورة ينزل بعضها ثم يتأخر نزول تتمتها. كما أن النزول قد استمر طيلة حياته صلى الله عليه وسلم.

### ثانياً : جمع القرآن في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

وكان القرآن قد جمع بأمر من أبي بكر رضي الله عنه حين استحر القتل بالحفظة بعد موقعة اليمامة. وحين ارتدت بعض القبائل عن الإسلام وقد أرسل أبو بكر رضي الله عنه إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه فطلب منه أن يقوم بجمع القرآن الكريم لثقته فيه ولأنه كان أقرب كتاب الوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد جمع زيد بن ثابت رضي الله عنه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال فجلعها في صحف أودعها إلى أبي بكر (رضي الله عنه) وانتقلت بعده إلى

عمر رضي الله عنه ثم إلى حفصة بنت عمر رضي عنها. وكان الجمع هذا بشكل منظم وضعه بين لوحين.(١)

ويرى السيوطي أن أبا بكر رضي الله عنه هو أول من دعاه المصحف(٢). وربما جاءت التسمية من خلال قوله تعالى" رسول الله يتلو صحفاً مطهرة" (البينة/٢).

**ثالثاً : جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:**

وكان أن أظهرت اختلافات في تدوين المصحف في الأمصار الإسلامية خاف المسلمون من استمرارها وتوسعها فسعى الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) إلى توحيد المصحف وعدم السماح لأي اجتهاد يؤدي إلى اختلاف في كتاب الله كما حصل عند اليهود والنصارى من قبل، فطلب من زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يتولى عملية التوحيد تلك. وقد اجتهد زيد بن حارثة رضي الله عنه في جمع القرآن على لهجة قريش وراجع الحفظة المصحف الذي جمعه من قبل وكل الرقاع وغيرها. حتى تمكن أن يخرجه على الشكل الذي هو عليه الآن. والذي أعقبه أمر من الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بإحراق بقية المصاحف في كل مكان واستنسخ المصحف الذي جمعه زيد بن ثابت ووزعه في الأمصار. فكان عمله هذا أجل الأعمال وقد ساعد زيداً في الجمع شباب قريش كعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث المخزومي. وخضعت عملية الجمع إلى مراجعة وتدقيق على النحو الذي كان يطلب النبي صلى الله عليه وسلم من زيد قراءة ما كتبه يدل على ذلك التماس زيد لآيتين فقدهما في المصحف في آخر سورة التوبة فوجدها مع خزيمة بن ثابت فأثبتهما في سورتهما. وعملية النسخ التي وزعت على الأمصار هي عملية مراجعة أخرى.

---

(١) ابن أبي داود، كتاب المصاحف، ص٥.
(٢) السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ١٤٩/١.

وجمع عثمان بن عفان رضى الله عنه للمصحف على لهجة قريش هي احدى أساليب حفظ القرآن الكريم.

**المصدر الثاني: الحديث النبوي والسنة المطهرة**

الحديث في اللغة من التحديث: وهو الإخبار جاء في هذا المعنى قوله تعالى "فليأتوا بحديث مثله" (الطور/٣٤) وقوله تعالى "الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً" (الزمر/٢٣).

أما في الاصطلاح فهو ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد النبوة من قوله وفعله وإقراره[١] ويطلق عليه لفظ الخبر.

أما السنة ففي اللغة السيرة والطريقة لقوله صلى الله عليه وسلم: " من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر منة عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة"[٢]. يريد من عملها يقتدي به فيها.

أما في الاصطلاح فهي كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خُلقية أو خَلية. وهي في اصطلاح الأصوليين كل ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم " غير القرآن" من قول أو فعل أو تقرير.

قال تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى، أن هو الا وحي يوحى﴾ وهذا اقوى دليل على ان السنة النبوية التي هي حصيلة الوحي الالهي هي المصدر الثاني للتشريع والعقيدة الإسلامية .

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ص ٦/١.
(٢) لسان العرب مادة (سنن) والحديث رواه مسلم.

والسنة هي الأصل الثاني للتشريع الإسلامي وهي المرتبة التالية للقرآن الكريم. فهو يحوي أسس الدين ومبادئه. وقد فصل الرسول صلى الله عليه وسلم ما أجمله القرآن الكريم فشرح للناس أمور الدين بأقواله وأفعاله الأمر الذي جعل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرورة لازمة للناس ليتعلموا أمور دينهم وفق كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد شجع الإسلام على تعلم كل شيء نافع في الدين والدنيا وحث على ذلك ورغب فيه. غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يريد أن ينصب اهتمام المسلمين على مدارسة القرآن وحفظه وينهى عن تدوين الحديث في أول الأمر مخالفة اختلاط الحديث بالقرآن. وقد قال صلى الله عليه وسلم " لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"[(١)].

وحين أمن الرسول صلى الله عليه وسلم على القرآن بعد تدوينه وحفظه ولم يعد هناك خطر على اختلاطه بالحديث. رخص بتدوينه. فقال صلى الله عليه وسلم " اكتبوا ولا حرج"[(٢)]، وقد جاءنا في الأثر تدوين الصحيفة التي دونت فيها حقوق الأنصار والمهاجرين ويهود المدينة. ولم يقع تدوين الحديث في كتاب على عهد الصحابة لأنهم كرهوا كتابة الحديث لئلا يختلط بالقرآن. أو أن ينكب المسلمون على دراسة الحديث ويهملون دراسة القرآن الكريم. ولما نمت الأمة وترعرعت وكثرت الفتوحات وازداد عدد المسلمين وخاصة الداخلين فيه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لذلك لابد وأن تنتشر كتابة الحديث. وقد أمر الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث. يقول الإمام الزهري " أمرنا عمر بن عبد العزيز بجمع السنن فكتبناها دفتراً دفتراً فبعث إلى كل أرض له عليه سلطات دفترا" وأول من دون الحديث هو الإمام الزهري لذلك كان يقول : لم يدون هذا العلم أحد قبل

---

(١) أخرجه مسلم.
(٢) الخطيب البغدادي تقييد العلم، ص٧٢.

تدويني"[1]. وقد اعتبر علماء الحديث تدوين عمر بن عبد العزيز هذا اول تـدوين رسمي للحديث. فظهرت بعد ذلك مدونات حديثة مختلفة على يد أبناء النصف الأول من القرن الثاني الهجري. وقد ظهرت تلك المصنفات والكتب في أوقات متقاربـة وفي مناطق مختلفة من الدولة الإسلامية. فبعد أن كان أهـل الحـديث يجمعـون الأحاديث المختلفة في الصحف والكراريس، أصبحوا يرتبون الحديث على الأبواب. وأصبحت تحمل أسماء مختلفة مثل الجامع أو المصنف أو المسانيد[2].

| كانت اقسام الحديث النبوي الشريف هي من الوسائل التي حفـظ فيهـا الحديث الشريف وكان من الاسباب التي هيأ الباري عـز وجـل افـذاذ العلماء للعمل بها من أجل حفظ المصدر الثاني للشريعة الإسلامية. |
| --- |

أما أقسام الحديث، فالحديث إما مقبول وهو صحيح وإمـا مـردود وهـو الضعيف، وهذا التقسيم الطبيعي للحديث. وتندرج تحت هذين النوعين أقسام كثيرة أخرى تتفاوت درجتها من حيث الصحة والضعف بتفاوت أحوال الـرواة ومتـون الحديث.

أما تقسيم المحدثين للحديث النبوي فهو:

أولاً: الحديث الصحيح: وهو الحديث الذي اتصل سنده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذاً ولا معلاً.

ثانياً: الحديث الحسن: وهو ما اتصل سنده بنقل عدل خفيف الضبط وسـلم من الشذوذ والعلة.

والحديث الحسن نوعان. حسن لذاته وحسن لغيره.

---

(١) الدكتور رشدي، عليان، علوم الحديث ونصون من الأثر، ص٢٦. نقلاً عـن الكتـاني/ الرسـالة المستطرفة ص٤.

(٢) رشدي عليان، المصدر السابق، ص٢٦-٢٧.

أما الحسن لذاته فلأن حسنه شيء ناشئ من شيء داخل فيه ذاتي له لا من شيء خارج عنه.

أما الحسن لغيره: فلأنه انجبر بوروده عن طريق آخر.

ثالثاً : الحديث الضعيف: وهو ما لم تجتمع فيه صفات الصحيح ولا صفات الحسن.

وعرفه البعض على: ما فقد شرطاً من شروط الحديث المقبول. وهي العدالة، الضبط، الاتصال، فقد الشذوذ، فقد العلة الفادحة، العاضد عند الاحتياج إليه.

واصطلاح ضعيف لقب يشمل كل حديث مردود مهما كان سببب رده.

**المصدر الثالث: الاجتهاد**

خلق الله الانسان وكرمه "وكرمنا بني آدم" وجعل للانسان عقلاً، فاعطاه جزءاً من صلاحية التشريع ولكن فيما ليس فيه نص، وهذا اكبر دليل على ان العقل له دوره في التشريع الإسلامي ولكن بشروط.

ولغرض دراسة المصدر الثالث للشريعة الإسلامية لا بد من دراسة النهضة الفقهية التي هي أساس الأحكام التي تدخل في باب " الاجتهاد".

ويتضمن هذا المبحث دراسة في نشوء الفقه الإسلامي وتطوره من خلال المراحل التي مر بها. ومن ثم التعريف بالاجتهاد ومتى يتم تأريخ التشريع الإسلامي والتعريف بمصادره وأهم ما يتميز به. ثم معرفة تاريخ التدوين بصورة عامة لمعرفة مكانة التشريع من مسألة التدوين.

**الفقه الإسلامي:**

اصطلح علماء الأصول على تعريف الفقه بأنه " العلم بالأحكام الشرعية العملية من أدلتها التفصيلية بالاستدلال".

ولقد دخل تطور مهم في العصور المتأخرة على معنى الفقه الإسلامي فلم يعد اكتساب الأحكام في الأدلة التفصيلية بطريق الاجتهاد والنظر فقط وإنما عن طريق التقليد بعد ظهور المذاهب أيضاً.

كان القرآن الكريم وحده المدون المكتوب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ثم جمع في عهد الصديق " رضي الله عنه " في الم حف وفي عهد الخليفة عثمان بن عفان " رضي الله عنه" أمر بجمع القرآن في مص ف إمام وأن تنسخ منه مصاحف تبعث إلى الأمصار الإسلامية وأن يحرق الناس سواها.

وفي عهد الخليفة الأموي الراشد عمر بن عبد العزيز جمعت الأحاديث حرصاً عليها من الضياع بموت الرواة وخوفاً من التباس السقيم بالصحيح وغير ذلك فكان هذا العهد أكثر اتساعاً من غيره بالنسبة للتدوين.

أما في العصر العباسي فقد اتسعت دائرة التأليف حتى شملت معظم علوم الدين واللغة والفلسفة والفقه... الخ.

**الاهتمام بالفقه الإسلامي:**

نشأ الفقه الإسلامي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كأحكام شرعية وردت في الكتاب والسنة تتعلق بأفعال المكلفين من عبادات، ومعاملات، ثم نما وازدهر عند قيام الاجتهاد من الصحابة " رضي الله عنه" حين استجدت الوقائع وكلما كثرت الوقائع زادت الحاجة إلى الاجتهادات، وكان ازدهار الفقه نتيجة لهذه الوقائع الكثيرة المستجدة وعلى أثرها تكونت المذاهب الفقهية.

| لكل عصر من العصور الإسلامية يلعب الفقه الإسلامي دوره الرائد، ولابد للمسلم ان يفهم العصور التي مر بها هذا العلم العظيم. |
|---|

**الفقه في عصر الرسالة**

ينحصر هذا الدور بعصر نزول الرسالة على النبي صلى الله عليه وسلم.

وينقسم فقه هذا العصر إلى قسمين:

**الأول: هو التشريع المكي**

ففي العصر المكي لم تكن التشريعات كثيرة إذ أن أغلب الوحي قد اقتصر على عبادة الله وتوحيده ونبذ الشرك والأوثان وإقامة الأدلة على وجود الله وربوبيته والإيمان بالله واليوم الآخر. وأن تشريعات العصر المكي اقتصرت على الاعتقادات وليس على التشريعات التفصيلية.

**الثاني: التشريع المدني**

عندما أسس الرسول صلى الله عليه وسلم دولته الإسلامية في المدينة باشر فيها صفتين.. الأولى: كونه نبياً يبلغ الوحي لأصحابه، وثانيها: كونه قائداً أو حاكماً سياسياً.

ولكونه قد اختص بالصفتين فإنه احتاج إلى التشريعات العملية التفصيلية فشرعت أحكام العبادات وتفصيلاتها وأحكام المعاملات كالجهاد والأسرة وحقوق الزوجين والمواريث والجرائم وحقوق الذميين والمستأمنين وعلاقات الدولة الإسلامية بالدول الأخرى في السلم أو الحرب.

واستكمل التشريع الإسلامي كل جوانب الحياة.

**الفقه في عصر الراشدين**

توسعت الرقعة الإسلامية في عصر الراشدين وتوسعت معها القضايا، وكان هناك الكثير من الأمور التي تحتاج إلى أحكام لم تكن موجودة في القرآن ولم ترد في السنة وكان لزاماً على الخلفاء أن يلجوا باب الاجتهاد خاصة وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أذن لهم فيه. فكانت أولى قضايا الاجتهاد في عصر أبي بكر الصديق "رضي الله عنه" هي مسألة جمع القرآن عندما استحر القتل بالصحابة واستشهد كثير من الحفظة.

ثم ظهرت كثير من الوقائع الأخرى التي احتاجت الاجتهاد فكـان الخليفـة يطلب من الصحابة النظر في القرآن الكريم، فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم قد أسن هذا الأمر أخذ به. فإن لم يجده سأل عوام الناس إن كان منهم من قد سـمع أو رأى النبي صلى الله عليه وسلم قد أعطى رأياً أو حكماً في هذا الأمر، فإن لم يجـد طلب من أصحابه أن يجمعوا على رأي أو يجتهدوا وكان الخليفة يجتهد برأيـه إن وجد دليلاً ولم يخالف سنة أو نصاً. وقد يختلف الصحابة في أمر ويكون لكل منهم دليله، فإن اتفق أصحابه على أمر دعي الأمر (إجماعاً). فأصبح الإجماع مـصدراً من مصادر التشريع في عهد الخلفاء يضاف إلى القرآن والسنة.

وهنالك مسائل تؤدي إلى الاجتهاد في الأحكام التي لم تـرد فـي الكتـاب والسنة. وللفقيه كما هو معروف إن أصاب في اجتهاده أجر أن وإن أخطأ فله أجر واحد. واجتهاد فقيه غير ملزم لفقيه أخر، فإن كل مجتهد بإمكانه أن يجـد الحكـم بالطرق والأدلة والعلل الشرعية. حيث أن المجتهد غير معصوم، فلا عصمة بغير الوحي. والمجتهد بشر اعتيادي قد يصيب وقد يخطئ.

**الفقه في عصر التابعين**

لم يبق الفقه حبيس عصر الصحابة وانما تعداه الى الجيل الـذي اعقبـه لأسباب كثيرة، وهذا ما يجعل الفقه الإسـلامي علماً حياً مهماً بالنسبة للمسلمين.

التابعي هو الذي تبع جيل الصحابة، ومنهم من تتلمذ على أيدي الـصحابة. أخذوا عنهم الحديث والفقه والتفسير، وتأثروا بنهجهم وطـريقتهم فـي الاجتهـاد. ويمكن حصر هذا الدور (أي دور التابعين) بين عصر نهاية الخلافة الراشدة سـنة ٤١هـ وحتى أوائل القرن الثاني للهجرة. وفي هذا الدور اتسعت الرقعة الإسلامية.

فأدى ذلك بطبيعة الحال إلى وقائع كثيرة ومتجددة احتاجت إلى الاجتهاد. وكثرت المسائل الفقهية.

وفي هذا الدور شاع الحديث وكثر. وانتشر الوضاعون. وأصبح فقهاء هذا العصر ميالين إلى مدرستين، الأولى: المدرسة التي تميل إلى الرأي والاجتهاد، والثانية: التي تميل إلى الوقوف عند ظاهر الحديث. ويمكننا أن نتحدث في هذا الدور عن ثلاثة أمور مهمة هي:

١- كثرة المسائل الفقهية والخلاف فيها.

٢- شيوع رواية السنة النبوية:

وأدى شيوع الحديث إلى كثرة استنباط الأحكام الشرعية من السنة النبوية نظراً لكثرة تداولها بين الفقهاء، وكما وأدت إلى ظهور الوضاعين الذي يختلفون لأسباب كثيرة منها الخلافات السياسية وكثرة الأديان والفرق الحاقدة على الإسلام ووجود المنافقين وذلك بنسبة الأحاديث النبوية إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

وقد ظهر في هذا العصر نوابغ العلماء وفطاحل البحث العلمي الذين انبروا لتمييز الصحيح من السقيم في السنة ووضعوا قواعد معينة ومناهج ثابتة لاستنباط الأحاديث.

وظهر علم الجرح والتعديل أو ما يسمى بعلم ميزان الرجال، والذي كان يبحث في أشخاص الرواة ووثق منهم من يؤخذ عنهم الحديث.

٣- ظهور مدرستي أهل الحديث في الحجاز وأهل الرأي في العراق:

ولغرض معرفة المدرستين المذكورتين لا بد من معرفة عوامل نشوء كل منهما ويمكننا إجمال عوامل نشوء مدرسة الحجاز بما يلي:

أ- تأثير الصحابة المقلين من الرأي والواقفين على ظواهر النص على تلامذتهم من التابعين.

ب-بساطة حياة المدينة وعد وجود التعقيدات التي واجهتها المدن المفتوحة في الأمصار الإسلامية الأخرى مما لم يستدع ظهور وقائع كثيرة يضطر الفقهاء للاجتهاد فيها.

ت-ونظراً لأن المدينة هي مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فهي إذن مركز التحديث وتكثر روايته فيها فبكثرتها يندر الاهتمام بالأخذ بالرأي.

ث-أن الوضع في الحديث كان نادراً فيها مما لم يلزمهم إلى التحري الكثير والاستنباط وغيره.

أما سبب ظهور مدرسة الرأي في العراق فيمكن إجماله فيما يلي:

أ- وجود صحابة ميالين إلى الاجتهاد كعبد الدين مسعود، أثروا في تلامذتهم من التابعين.

ب-كثرة الوقائع المتجددة بسبب كثرة الأعراف واختلاف أجناس الناس في العراق.

ت-قلة الحديث في العراق بسبب بعده عن المدينة وقلة الصحابة. ومع قلة الحديث تكثر الحاجة للاجتهاد.

ث-كثرة الوضع والوضاعين مما جعل هناك اشتراطاً لقبول الحديث كما رأينا وحيث كانت شروط قبول الحديث شديدة فقد قل الاعتماد على الحديث بسبب قلة ما يقبل منه صحيحاً. ويعتمد على الرأي في حالة الإقلال من قبول الحديث.

**في العصر الذهبي للفقه**

ويسمى هذا العصر "عصر التدوين". إذ بدأت مع مطلع القرن الهجري الثاني نشاطات عظيمة لا زال آثارها وستبقى خالدة في تاريخ أمتنا وتلك هي "التدوين" ويقصد بالتدوين، تسجيل التراث في كل تخصصاته، سواء في الفقه أو اللغة أو الأدب أو الفلسفة أو التاريخ أو أي فرع من فروع العلوم الأخرى.

ويهمنا هنا أن نركز على موضوع تدوين الفقه بالذات إذ أن حظه كان أسعد من حظوظ بقية العلوم ويمكننا أن نلخص أسباب نمو الفقه في هذا العصر وازدهاره إلى جملة من الأسباب منها:

١- اتساع سلطان المسلمين من الصين إلى الأندلس.

٢- ظهور نوابغ العلماء الذين كانت ولا زالت آثارهم باقية حية تخدم الإسلام والمسلمين، في هذا العصر ومنهم الأئمة مالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة والشافعي وجعفر الصادق "رحمهم الله" وغيرهم كثيرون ممن أفتوا في كل القضايا المطروحة عليهم. ومما يسعدنا أن فقههم قد دون ووصلنا كاملاً غير منقوص.

٣- إن السنة النبوية قد دونت بكاملها، وفي العصر العباسي الأول تخصص أعلام من الفقهاء ورجال الحديث ممن شذب وهذب مرويات الحديث والسنة فظهرت كتب الصحاح وغيرها، والتي نظمت على أساس موضوعات الفقه.

٤- تقريب الخلفاء للفقهاء ومساعدتهم في شؤونهم والاستعانة بخبراتهم.

٥- إن الرجال الذين كان يؤخذ عنهم الحديث والفقه قد حددتهم كتب الرجال وباتت كل طائفة من المسلمين تعرف عمن تأخذ تشريعاتها مما ساعد كثيراً في استقرار الفكر الفقهي وتطوره ونمائه.

**دور الركود والتقليد**

وكان أن أفتى بعض فقهاء القرن الرابع بسد باب الاجتهاد فالتزم به بقية الفقهاء وتوقفوا على اجتهادات من سبقهم من الفقهاء. وكان السبب الرئيس في سد باب الاجتهاد هو محاولة وقوف فقهاء هذا العصر في وجه العابثين الذين أرادوا استغلال الأحكام والفقه لمآربهم الخاصة. فكان الإفتاء بسد باب الاجتهاد عاملاً حقيقياً للوقوف بوجه العبث. إلا أن كثيراً من الفقهاء المعاصرين يرون أن فقهاء

ذلك العصر كان بإمكانهم فضح العابثين والتصدي لهم وعدم غلق باب الاجتهاد، لأن ذلك أدى إلى تدهور الفقه الإسلامي والفكر الإسلامي.

**استمرار التقليد والنهضة الفقهية الحديثة**

استمر التقليد للمذاهب حتى بعد سقوط بغداد، واستمر إلى العصر الحاضر. ولم يظهر في العالم الإسلامي من يخالف التقليد إلا أشخاص معدودين. ومخالفتهم له محدودة وذلك في اجتهاداتهم بترتيب الفقه على أبواب والاجتهاد في أمور محدودة. وعلى العموم فإن الركود الفقهي استمر في عالمنا الإسلامي حتى الأيام الأخيرة للدولة العثمانية، حينما طلبت الدولة العثمانية من رجال الفكر الديني والفقهاء، كتابة الأحكام الفقهية على شكل قوانين، فقننوا الفقه في (مجلة الأحكام العدلية) التي أصبحت قانوناً للدولة العثمانية تحكم به في العالم الإسلامي الذي تحت سيطرتها، وكان مقنناً على فقه الإمام أبي حنيفة (رحمه الله).

**المذاهب الفقهية**

| ان تعدد المذاهب الإسلامية هي ظاهرة صحية في حياة المسلمين حيث أن الإسلام سهل، وتعدد المذاهب يعني تعدد الطرق التي يؤخذ فيها العمل بالشريعة. |
|---|

إن اجتهادات الفقهاء نتج عنها في كثير من الأحيان اختلاف في الرأي وتعدد في المسألة الواحدة. وأن أسباب ذلك كثيرة. ولقد دعي بعض المجتهدين الذين بلغوا أوج الاجتهاد واتخذوا كمدارس فكرية اعتمدها الناس مذاهباً. والمذهب هو مدرسة فقهية لتفسير نصوص الشريعة واستنباط الأحكام فيها، مناهج فقهية في الاستنباط والتعرف على الأحكام وليست هي شرعاً جديداً ولا شيئاً آخر غير الإسلام وليست المذاهب تجزئة للإسلام. وليست هي أدياناً ناسخة للإسلام وإنما

وجوه من تفسير الشريعة وفهمها ومنافذ تطل عليها ومناهج في البحث والدراسة والفهم وأساليب علمية في الاستنباط. وكلها تريد الوصول إلى معرفة ما نزل وشرعه.

فمن من المذاهب الباقية المنتشرة حسب تسلسلها التاريخي:

**مذهب الإمام أبي حنيفة وفقهه .. (ولد عام ٨٠ وتوفي عام ١٥٠ للهجرة)**

رسم أبو حنيفة منهاجاً للاستنباط، وإذا لم يكن مفصلاً فإنه جامع لأنواع الاجتهاد، ولقد روي عنه أنه قال "آخذ بكتاب الله فإن لم أجد فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذت بقول الصحابة آخذ بقول من شئت منهم وأدع من شئت منهم ولا أخرج من قولهم إلى قول غيرهم. فإما إذا انتهى الأمر إلى إبراهيم (أي النخعي) والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب فقوم اجتهدوا، فاجتهد كما اجتهدوا[١].

ومنهج أبو حنيفة قائم على سبع أصول هي: الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والقياس والاستحسان والإجماع والعرف.

**مذهب الإمام مالك ابن أنس وفقهه.. (ولد عام ٩٣ وتوفي عام ١٧٩ للهجرة)**

أما منهاج الإمام مالك في الفقه فإنه يأخذ بكتاب الله تعالى أولاً فإن لم يجد في كتاب الله اتجه إلى سنة النبي صلى الله عليه وسلم ويدخل في السنة عنده أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتاوى أصحابه وأقضيتهم وعمل أهل المدينة ومن بعد السنة بشتى فروعها يجيء القياس وهو إلحاق أمر غير منصوص على حكمه بأمر آخر منصوص على حكمه لوصف مشترك بينهما ويكون هو علة الحكم التي بنى عليها. ومع القياس المصلحة وسد الذرائع والعرف والعادات.

---

(١) تاريخ بغداد ج١٢/٣٦٨.

ويقوم منهج مالك على ستة أصول هي: الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة وفتوى الصحابة والقياس والمصالح المرسلة والاستحسان والذرائع.

**ثم مذهب الإمام الشافعي.. (١٥٠-٢٠٤ هـ)**

أما الشافعي فيأخذ بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكان منهجه يقوم على أصول هي: الكتاب والسنة والقياس وأقوال الصحابة. يقول الشافعي "ما كان الكتاب والسنة موجودين فالعذر سمعهما مقطوع إلا باتباعهما فإن لم يكن ذلك صرنا إلى أقاويل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو واحد منهم ثم كان قول أبي بكر أو عمر أو عثمان إذا صرنا فيه إلى التقليد أحب إلينا وذلك إذا لم نجد دلالة في الاختلاف تدل على أقرب الاختلاف من الكتاب والسنة فنتبع القول الذي معه الدلالة"[١]. وإبطال الاستحسان. فالإمام الشافعي يرى أن من استحسن فقد شرع، لأن النبي صلى الله عليه وسلم ما كان يبين الأحكام الفقهية باستحسانه بل كان ينتظر الوحي في كل أمر لم يجيء فيه. ولو جاز الاستحسان من أحد لجاز من النبي صلى الله عليه وسلم "وما ينطق عن الهوى" أو لم يفعل[٢].

**ومذهب الإمام أحمد بن حنبل.. (١٦٤-٢٤١م)**

في سنة ٢١٢هـ أعلن أن المذهب الحق هو أن القرآن الكريم مخلوق وابتدأت الدولة باضطهاد كل من لا يقول ذلك وكان أحمد بن حنبل قد عذب وذاق سوء الهوان في سبيل عقيدته الرافضة لخلق القرآن. وكان المأمون على رأس الدولة وهو الذي قاد هذه الحملة. وقد امتحن كل العلماء والفقهاء ليجبرهم على القول بذلك. إلا أنه مات في السنة نفسها التي أصدر فيها هذا الإعلان. مات المأمون ومات من بعده ومن ثم ماتت الفتنة وعادت الحرية لأحمد بن حنبل والذي كان حرباً على هذه المقولة.

---

(١) الشافعي. الأم ج٧ص٢٤٧.
(٢) أنظر مناقشة ذلك في تاريخ المذاهب الإسلامية للإمام محمد أبو زهرة ص٣٧٣-٤٧٤.

**منهجه في الفقه:**

يتوزع منهج الإمام أحمد على خمسة أصول: النصوص، وإفتاء الصحابة، والرأي الموافق للكتاب والسنة، والأخذ بالمرسل والحديث الضعيف الذي لم يثبت وضعه، والقياس[1].

وكانت هنالك مذاهب اخرى غير هذه وتلك.. منها ما طواه النسيان لعدم انتشاره ومنها ما اعتراه التغيير نسبة للمواقف السياسية لاتباعها وسنذكر بعضها عند ذكر الطوائف والفرق الإسلامية المختلفة.

**العقيدة الإسلامية :**

والعقيدة مشتقة من اعتقد، واعتقد بالشيء صدقه وتدين به وعقد قلبه وضميره. وجمع العقيدة عقائد. وتعني بالدلالة على هذا المعنى المعتقد والاعتقاد. وقد تكون لفظة العقيدة أصلاً مشتقة من العقد. فيقال عقد الشيء أي ربطه وأحكمه، والعقد في المفهوم القانوني يفيد الأحكام الناتج عن اتجاه إرادتين متقابلتين ومتوافقتين على معنى قانوني واحد[2].

والاعتقاد إذن هو أحكام القلب والضمير على معنى معين وهو التصديق به والثبوت عليه.

**عقيدة الألوهية في الإسلام**

الإيمان بالله ركن أساسي في العقيدة الإسلامية. والإيمان هو التصديق والاعتقاد اليقيني بمعنى وجوب السلوك الملزم بمقتضى الإيمان بالله بربوبيته وألوهيته ووحدانيته وبطاعته وعبادته فيؤمن الإنسان بأن الله سبحانه وتعالى واحد متفرد بالخلق والتدبير، لا يشاركه في خلقه وسلطانه وعزته أحد. وأنه جل شأنه هو

---

(١) الأم محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية ص٥٢٩-٥٣٠.

(٢) عبد السلام التونجي، العقيدة في القرآن ص٨٧ نقلا عن مصادر الالتزام في القانون المدني الليبي.

الفعال المتصرف وهو رب كل شيء ومالكه وخالقه ومتفرد باستحقاق العبادة والتقديس ولا يستعان إلا به ولا يخضع إلا إليه ولا يماثله في أسمائه وصفاته أحد.

وتتضمن الشهادة (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) كمال العقيدة المتمثلة في الله من جهتي الربوبية، والألوهية.

وعلى هذا فيمكن القول بأن الإسلام يجد أن كل من شهد ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله مخلصاً في قلبه، فإنه يكون قد أتى عملاً مصدقاً لما وقر في قلبه ويكون ذلك قد آمن وأسلم.

| الأصل في الشريعة الإسلامية، ان المسلم يؤمن باله واحد خلقه وهو المعبود الحق. |
| --- |

وهذه العقيدة تعني أن الله سبحانه وتعالى هو الخالق والمدبر والمتصرف ولا يتمتع بهذه الصفات غير الله تعالى، وينبثق معنى الوحدانية عنها. أي أن الرب الواحد لا بد وأن يكون واحداً. وهي تعني انفراد الخالق وحده في الخلق ولا رب سواه، قال تعالى [الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار] (الرعد/١٦).

فأول مقتضى الإيمان بالله. الإيمان بوحدة الله، أي أن الله واحد منفرد في ذاته لا شريك له في خلقه وملكه وسلطانه وعزته. قال تعالى [قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد] (الإخلاص/١-٤). وقال تعالى [قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين، قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء] (الأنعام ١٦٢-١٦٤).

وهي تعني توحيد الذات الإلهية أي الإيمان بأن الله عز وجل واحد وهو الحق المعبود. يخضع الإنسان إليه ويتجه نحوه بالعبادة. لأن العبادة تعبير عن الطاعة وحب الانقياد والخضوع لله عز وجل، فالمؤمن بالله يقتضي إيمانه توحيد الله في ألوهيته بالاتجاه إليه في جميع عبادته وتقديسه وحبه وتفضيل عبادته على كل شيء في الدنيا. فالله وحده يستحق الطاعة ولا طاعة لسواه[1].

وتستلزم طاعة الله وجوب الإخلاص له من دون الناس جميعاً كما تستوجب الرغبة إلى الله الرهبة منه.

ويقتضي التوحيد الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره[2].

وهذا الإيمان يقتضي الاقرار بصفات الكمال لله سبحانه وتعالى. وصفات الله لم يصل العقل إلى إثبات شيء عن كيفية اتصافه ببعضها سبحانه وتعالى، فهي مجهولة.

فالله سبحانه وتعالى موجود ومتصف بالعمل والإرادة والقدرة وبالحياة وبالسمع وبالبصر وبالجمال وبالحكمة. وهو لا يشبه الكائنات أزلي أبدي حي عالم مريد قادر متفرد في وجوب وجوده وفي كمال صفاته وفي صنع خلقه وأنه متكلم سميع بصير وما يتبع ذلك من الصفات التي جاء بها الشرع بإطلاق أسمائه عليها.

وكل ذلك يعني :

١- تنزيه صفات الله وأسمائه عن النقص.

٢- ثبوت صفات الله وأسمائه. فلا يجوز تجاوزها إلى صفات أخرى فالله أعلم بصفاته وأسمائه التي تليق بكمال شأنه وعظمته.

---

(١) العقيدة في القرآن. عبد السلام التونجي ص١٨٩.

(٢) انظر العقيدة في القرآن ص١٩٢.

والأسماء والصفات التي ذكرها القرآن الكريم عن الله سبحانه وتعالى هي:

الواحد، الأحد، الصمد، القدوس، الحي، الغني، العليم، القدير، السميع، البصير، الأول، الآخر، الخالق، البارئ، المصور، البديع، القاهر، الولي، الحافظ، رب، رحمن، رحيم، رؤوف، ودود، لطيف، خبير، حليم، رزاق، وهاب.

٣- عدم جواز السؤال والبحث عن كنه صفات الله وأسمائه..

| اشتغل الكثير من المتكلمين في الكلام عن صفات الله. ويمكن للمسلم المهتم بعلم الكلام ان يتعلم هذه الصفات ليتعرف عليها عند كل متكلم. |
| --- |

# النبوة في الإسلام

ان من اركان الايمان ان يؤمن المسلم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره. وللنبوة في الإسلام شروط وصفات لابد من توافرها في الشخص الذي يختاره الله ويصطفيه لهذه المهمة.

الأنبياء هم صفوة الناس وخيرة الله في خلقه. قال تعالى [الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس..] يقول الشهرستاني "فكما يصطفيهم في الخلق قولاً بالرسالة والنبوة يصطفيهم في الخلق فعلاً بكمال الفطرة ونقاء الجوهر وصفاء العنصر وطيب الأخلاق[1].

والنبوة عند المسلمين.. رياسة عامة على الخلق أجمعين من قبل الله تعالى. وهي موهبة ربانية لا تدرك بالجد والتعب ولا تنال بكثرة الطاعة والعبادة، وإنما تنال –فقط– بمحض الفضل الإلهي.

ويذكر الشهرستاني أن النبوة ليست صفة راجعة إلى النبي إلى درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه. ولا استعداداً نفسياً يستحق به اتصالاً بالروحانيات، بل رحمة يمن بها الله على من يشاء من عباده[2].

أما الرسول فهو من أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبليغه للناس والرسالة عبارة عن سفارة بين الحق تعالى وبين عباده ليزيح بها عللهم فيما قصرت عنه عقولهم.

---

(١) محمود رشيد رضا. الوحي المحمدي. مكتبة القاهرة ١٩٦٠.
(٢) الشهرستاني. المصدر السابق ص٤٦٣. وانظر الروضة. د. سلامة حسين كاظم ص٧.

والرسول عند المسلمين إنسان أوحى الله إليه بشرع وأمره بتبلغيه والرسالة هي تكليف الله أحد عباده بإبلاغ الآخرين بشرع أو حكم معين[1].

والرسول من له كتاب ومعجزات أو معجزة. والنبي من لا كتاب له والرسول مأمور بالتبليغ بينما النبي غير مأمور بذلك.

وقد ينعم الله تعالى بالأمرين على شخص واحد. كما أنعم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة. (النساء/٧٩).

فقد نبأ الله محمداً صلى الله عليه وسلم بوحيه وأرسله إلى الناس ليبلغهم رسالة ربهم. فهو نبي الله وهو رسول الله[2].

ويتبين من شخصية الرسل أن هناك شرطان للنبوة:

الشرط الأول أن يكون الرسول من جنس الإنسان.

الشرط الثاني: أن يكون هذا الإنسان ممتازاً عن سائر أفراد النوع بأمر فائق ليكون امتيازه بهذا الأمر الفائق دليلاً للممتاز بأنه يتحدث عن الله تعالى وليكون شعور من حوله بهذا الامتياز سبباً في طمأنينة أنفسهم.

ويحدد الإسلاميون مهمة الرسل فيما يلي:

١- الهداية إلى الله تعالى.. فالنبوة ضرورية لتعريف الناس بخالقهم وأن بعثتهم حاجة من حاجات العقول البشرية ليبينوا للناس ما اختلفت عليه عقولهم وشهواتهم وتنازعت مصالحهم ولذاتهم[3].

٢- الهداية إلى أمر الآخرة: قد جاءت الرسالات السماوية تقييم الدلالة على اليوم الآخر.

٣- التشريع والتقنين.. فالشريعة تضع الحلال في موضعه وتبين الحرام وتوصل الإنسان إلى معرفة الواجب والمباح والمكروه والخير والشر..

---

(١) د. سلامة حسين كاظم ص١٠.

(٢) مفهوم النبوة في الديانات الثلاثة. د. سلامة حسين كاظم ص١٥.

(٣) راجع محمد عبده/ رسالة التوحيد ص١٢.

**صفات الأنبياء:**

للأنبياء صفات عديدة تتمثل في:

١- العصمة: وتعني الحفظ أو الصيانة، وقيل المنع كقوله تعالى [قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء] (هود/٤٣) أي يمنعني من الغرق. والمعصوم هو الذي لا يمكنه بالمعاصي.

٢- الذكورة: لقوله تعالى: [وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم] (يوسف/١٠٣)[١].

٣- السلامة من النقائص: أي من نقص الخلقة فهم أكمل الناس خلقاً والسلامة من العيوب المنفردة والسلامة من الدناءة ومن الفظاظة والغلطة لأن النقائص تؤدي إلى النفرة وانصراف الناس عن قبول قوله[٢].

٤- الصدق.. حيث أن الصادق لا يفتري على الله الكذب ويكون صدق النبي في الدعوة للرسالة وصدق في تبليغ الحكام وصدق فيما ينطق به في أمور الدنيا قال تعالى [وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى] (النجم/٣-٤).

٥- التبليغ: أن إيصال الأحكام التي أمر الرسول بتبليغها إلى المرسل إليهم إلى سعادة الدارين.

٦- الفطانة: أي التيقظ والتفطن وحدة العقل وقوة الحجة وسداد الرأي[٣].

هذا وأن الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين واجب على كل مسلم ومسلمة واتفق علماء المسلمين على كفر من كفر أو كذب نبياً معلوم النبوة وكذا من سب نبياً أو انتقصه. وجعل الله سبحانه وتعالى للذين يؤمنون بالرسل جميعاً أجراً

(١) رياض ناصر/ النبوة والعقل ص١٠١. علماً بأن القرطبي والأشعري وبعض أهل الظاهر لم يشترطوا الذكورة في النبي وقالوا بنبوة مريم مستدلين بقوله تعالى "فأرسلنا إليها روحنا" (مريم/١٧) وقوله في أم موسى "وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه" (القصص/٧).

(٢) د. سلامة حسين كاظم ص١٣٠-١٣١.

(٣) رياض ناصر ص٩٩.

عظيماً. قال تعالى [والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً].

**اليوم الآخر:**

الايمان بالاخرة، من أركان الايمان. وقد وردتنا الكثير من الاخبار عنها في القرآن والسنة .

وهناك جانبان للحاجة للإيمان باليوم الآخر.

الأول: جانب نفسي. يمثل في أمل الإنسان في الحصول على حياة أفضل في عالم حر مليء بالأفراح، مستقل عن حدود هذا العالم ومشاكله.

الثاني: جانب أخلاقي: إذ لا يمكن للمؤمن المحسن المطيع الذي لا يحصل على أجره في الدنيا. أن يخسر إيمانه وإحسانه وطاعته. ولا يمكن أن تذهب مجاهدته لنفسه هدراً. وكذلك فإن الظالم لم يقتص أحد من ظلمه في الحياة الدنيا أن يبقى من دون عقاب. فلا بد إذن من (العدالة) في يوم يقتص من الظالم ظلمه ويثبت المحسن على إحسانه. وذلك هو اليوم الآخر.

لقد عنى القرآن الكريم بترسيخ عقيدة الآخرة في ذهن الإنسان. فجاءت منها آيات كثيرة ومعنى اليوم الآخر في الدين الإسلامي أن الناس يبعثون بعد موتهم ويحاسبون على ما قدموا من أعمال فيجازون عليها. فالجنة لمن آمن وعمل صالحاً والنار لمن كفر وأساء في الدنيا. قال تعالى {فمن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرةٍ شراً يرى} (الزلزلة/٧-٨).

وحكم الإيمان باليوم الآخر. أنه ركن من أركان الإيمان. يكفر من لا يؤمن به بالإجماع[1] والإيمان باليوم الآخر هو نتيجة الإيمان بالله. فلا معنى إذن للإيمان باليوم الآخر من غير الإيمان بالله وأنبيائه[2].

(١) أصول الدين الإسلامي ص ٤٢٠.
(٢) المصدر السابق نفسه ص ٤٢٣.

ولفهم الآخرة في الإسلام .. يجب معرفة المصطلحات التي ترافق معناها:

اليوم الآخر: يسمى باليوم الآخر لأنه متصل بآخر أيام الدنيا لأنه ليس منها.

يوم القيامة: لقيام الناس فيه من قبورهم وقيامهم بين يدي خالقهم وقيام الحجة لهم وعليهم.

البرزخ: الحاجز بين الدنيا والآخرة قال تعالى {ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون} (المؤمنون/١٠٠). وفيه سؤال القبر ويراد به أن الله تعالى يحي العبد المكلف في قبره يرد الحياة إليه ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه ليعقل ما يسأل عنه وما يجيبه ويفهم ما أتاه من ربه وما أعدّ له في قبره من كرامةٍ أو هوان(١). والإيمان بسؤال القبر في الإسلام واجب وهو مذهب الجمهور(٢) وكذلك فإن عذاب القبر حق والإيمان به واجب وهو قول الجمهور(٣).

البعث: هو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها.

النشور: يرادف البعث في المعنى يقال: نشر الميت.. إذا عاش الموت وانتشره الله: أحياه وهو المعاد.

وقد توعد الله تعالى منكري البعث واليوم الآخر بالعذاب الأليم لكفرهم. فقال ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ وَأُوْلَئِكَ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدونَ﴾ (الرعد/٥) وقد اختلف المسلمون في كيفية المعاد فقالوا:

١- المعاد روحاني فقط لأن النفس جوهر باقٍ لا سبيل إليه للفناء. أما البدن فينعدم بصورهِ وأعرافه. وهو قول الفلاسفة.

---

(١) التذكرة ص١٢٤ وأنظر الدين الإسلامي ص٤٣٣.
(٢) أصول الدين الإسلامي ص٤٣٥ نقلاً عن شرح عبد السلام على الجوهرة ص٢٢٠.
(٣) التذكرة ص١٢٤ وأنظر أصول الدين الإسلامي ص٤٣٥.

٢- المعاد جسماني فقط وهو جمهور المسلمين لأن الروح جسم سارٍ في البدن سريان النار في الفحم والماء البارد في الورد.

٣- المعاد روحاني وجسماني معاً[١].

الساعة: اليوم العظيم الذي يضطرب فيه العالم ويفسد نظامه فتهلك جميع الأحياء. قال تعالى ﴿وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل﴾ (الحجر/٨٥) وقال ﴿وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم﴾ (سبأ/٣).

وقد أخفى الله سبحانه وتعالى العلم بموعد الساعة عن المخلوقات لأن إخفاءها أصلح للعباد لئلا يتباطأوا عن التوبة والتأهب والاستعداد لليوم الآخر. وفي حديث الإيمان والإسلام "سأل جبريل الرسول ﷺ: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل"[٢].

وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم أن مجيء الساعة بغتة فقال ﴿بل تأتيهم بغتة فلا يستطيعون ردها ولا هم ينظرون﴾ (الأنبياء/٤٠).

ويوم تقوم الساعة لا يقبل إيمان من كافر ولا معذرة.

---

(١) شرح المقاصد ص٢-٢١١. أنظر أصول الدين الإسلامي ص٤٤٣.
(٢) متفق عليه. رواه البخاري ومسلم في كتاب الإيمان.

## الطوائف الإسلامية :

### ١- أهل السنة والجماعة:

| هل يعني ان المسلم قد يكون من غير اهل السنة؟ وهل يمكن أن يخالف المرء السلف الصالح؟ ان لأهل السنة صفات وأفكاراً معينة وان غيرهم كان يرى في الاسلام افكـــاراً اخرى غير ما يراه اهل السنة والسلف الصالح. |
|---|

المراد بالجماعة طريقة الصحابة والتابعين وفقهاء الأمة والمحدثين وأئمة السلف. ويجتمع معظم أهل السنة حول الأشعري لذلك كان يطلق عليهم اسم الأشاعرة. وكان الأشعري يقول بالفاعل المختار في كل شيء ويقرر أن العقل لا يوجب المعارف قبل الشرع. وإذا كانت العلوم قد حصلت بالعقل فإن الشرع يجب البحث عنه بالسمع وأن الله تعالى لا يجب عليه كل شيء وهو عالم بعلم وعمله واحد وقادر بقدره وقدرته واحدة ومتكلم بكلام وسميع بسمع وبصير ببصر وإن صفاته هذه أزلية قائمة بذاته تعالى وهي راجعة إلى اعتبارات في كلامه لا إلى الكلام نفسه. وإن للألفاظ المنزلة على لسان الملائكة إلى الأنبياء دلالات على الكلام الأزلي والدلالة هي العبارات وهي قراءة مخلوقة ومحدثة. والمدلول وهو القرآن المقروء قديم أزلي وهناك فرق في القراءة والمقروء والتلاوة والمتلو. فالذكر محدث والمذكور قديم وإن الكلام هو معنى قائم بالنفس والعبارة دالة على ما في النفس وقال أن جميع أفعال العباد مخلوقة ومبتدعة من الله تعالى مكتسبة للعبد[١].

(١) فاروق الدملوجي، هذا هو الإسلام ص٥٨-٥٩.

لقد أنكر الأشعري على المعتزلة تأويلاتهم، كما أنكر على المشبهة تشبيهاتهم وأنكر على الحشوية مقالاتهم، وأنكر على الشيعة ما قالوه في أئمتهم وقال: تثبت الإمامة بالاتفاق والاختيار دون النص والتعيين إذ لو كان نص لما خفي والدواعي تتوافر على نقله[١].

وقال الأشعري: أن كلام الله هو القائم بذاته وهو قديم. وقال ليس للعبد تأثير في توجيه مقدوراته فإن القدرة والمقدور من أفعال الله وإرادته يستند بذلك من قوله {والله خلقكم وما تعلمون}. وأن جميع الحوادث بقضاء الله وقدره وجعلها عقيدة لأهل السنة والجماعة وقال الإيمان هو التصديق بالقلب والقول واللسان. وقال لا يتصور من الله ظلم ولا ينسب إليه جوز. ولا ينتفع (الله) بشكر شاكر ولا يتضرر بكفر كافر ومعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء كلها صدق وحق. وقد أثبت التنزيه المطلق لله تعالى وقد أثبت التشبيه أيضاً بإسناده السمع والبصر واليدين والوجه لله تعالى كما هو مدلولها عند البشر كصفات جبرية مع ترك التأويل فكان منزهاً ومشبهاً وكان قدرياً وجبرياً بوقت واحد.

لقد تميز الأشعري في توحيد الصانع وقدمه وقدم صفاته وفي عدله وكلمته وأسمائه وفي إجازة رؤيته من غير تشبيه ولا تعطيل مع الإقرار بكتبه ورسله والاعتقاد بالحشر والنشر وسؤال الملكين في القبر وفي النبوة والإمامة وفي سائر أصول الدين والإقرار بالحوض والميزان والصراط وبشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم.

ويعاب على الأشعرية أنهم جادلوا في قواعدهم سد باب الاجتهاد والتوقف عن استنباط أحكام جديدة وعن أخذ قواعد حديثة من القرآن فجمدوا على المنقولات والروايات[٢].

---

(١) المصدر السابق نفسه ص٥٩.
(٢) فاروق الدملوجي، هذا هو الإسلام ص٥٨-٦١.

## ٢- السلف الصالح :

هل ان السلف الصالح من اهل السنة أم انهم ليسوا منهم؟ كيف نميزهم عن بقية أهل السنة؟ وما هو اختلافهم مع بقية الفرق الاسلامية؟

ظهروا في القرن الرابع الهجري نسبوا أنفسهم إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل وتجدد ظهورهم في القرن السابع الهجري بعد ظهور الشيخ ابن تيمية. ثم تجدد ظهورهم في القرن الثاني عشر الهجري بعد ظهور محمد بن عبد الوهاب.

تعرض هؤلاء الحنابلة للكلام في التوحيد وصلة ذلك بالأضرحة، تكلموا في آيات التأويل والتشبيه. وكانت المعارك العنيفة التي تقوم بينهم وبين الأشاعرة[١].

يدعو السلفيون إلى أن تعود دراسة العقائد إلى ما كانت عليه في عهد الصحابة والتابعين فلا يأخذونها إلاّ من الكتاب والسنة فيأخذون من القرآن الكريم أصل العقيدة والدليل الذي بنيت عليه العقيدة.

يرى ابن تيمية أن العقائد تؤخذ من النصوص ولا تؤخذ أدلتها إلا من النصوص. وبمعنى آخر عدم إيمانه بالعقل ولا بالأدلة التي يومئ إليها النص، لأن النص وحي أوحي له إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم. ولا ضرورة لفهم النص عن طريق الأساليب العقلية لأن السلف كان يفهم العقيدة ويدركها على الوجه الأكمل دون تلك الأساليب فالقرآن والسنة المبينة له هما مصدرا فهم العقيدة والتأويلات العقلية لا سبيل لها لذلك. واعتبار العقل شاهداً لا حاكماً ويكون مقرراً مؤيداً لا ناقضاً ولا رافضاً ويكون موضحاً لما اشتمل عليه القرآن الكريم من الأدلة أي بمعنى أن يسير العقل خلف النقل يعززه ويقويه ولا يستقل بالاستدلال[٢].

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص١٨٨.
(٢) الشيخ محمد أبو زهرة ص١٨٩.

وكان ابن تيمية يجمع بين التفسير والتفويض فهو يفسر بالمعنى الظاهر وينزه عن الحوادث ويفوض في الكيف والوصف، فهو يرى أن الصحابة كانوا يعلمون معاني الآيات المتشابهات التي فيها وصف باليد والرجل والوجه والاستواء والنزول وغير ذلك ويعلمونها على معانيها الظاهرة ولا يحاولون تعرف كيفها وحقيقتها كما لا يحاولون معرفة حقيقة الذات.

وفي مناقشتهم للصفات لا يرى ابن تيمية أن ثمة تلازماً بين أن يكون القرآن كلام الله غير مخلوق وأن يكون قديماً، ويرى أن صفة الكلام قديمة وأن كلام الله الذي يخاطب به خلقه كالقرآن الكريم والتوراة والإنجيل لا يعد مخلوقاً لله ولا يعد قديماً[١].

أما بالنسبة للوحدانية في العبادة فقد اتسم الفكر السلفي بثلاثة أمور هي:

أ- منع التقرب إلى الله تعالى بالصالحين والأولياء.

ب-منع الاستغاثة والتوسل بالموتى وغيرهم.

ج- منع زيارة قبور الصالحين والأنبياء للتيمن والتقديس[٢].

**٣- الشيعة**

معنى الشيعة لغة الأتباع والأنصار. وكل قوم اجتمعوا على أمرٍ فهم شيعة.

أما اصطلاحاً: فقد غلب الاسم على كل من يتولى علياً وأهل بيته رضي الله عنهم، حتى صار اسماً خاصاً لهم. ويطلق الاسم على مذهب الذين يتولون علياً رضي الله عنه.

| من المفكرين من يرى ان الشيعة الأوائل هم أهل السنة الذين وقفوا الى جانب الامام علي رضي الله عنه "فهل يختلف الشيعة المعاصرون عن الذين سبقوهم؟ وكيف؟ |
|---|

(١) نفس المصدر السابق ص١٩٧.
(٢) المصدر السابق نفسه ص٢٠٦.

يقول الشيخ المفيد (١٠٢٢/٤١٣) والتشيع في أصل اللغة هو الأتباع على وجه التدين والولاء للمتبوع على الإخلاص. فأما إذا أدخل فيه علامة التعريف (الشيعة) فهو التخصيص لأتباع على (رضي الله عنه) على سبيل الولاء والاعتقاد لإمامته بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وتنفي الإمامة عمن تقدمه في مقام الخلافة[١].

وقد عرفها ابن حزم (١٠٦٥/٤٥٦) بقوله "من وافق الشيعة في أن علياً رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالإمامة وولده من بعده فهو شيعي. وأن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعياً[٢].

أما الشهر ستاني فيعرفهم بالقول: هم الذين شايعوا علياً عليه السلام على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصاية إما جلياً وإما خفياً واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وأن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقيه من عنده[٣].

ومن التعاريف المذكورة نجد أن التشيع اصطلاحا، الاعتقاد بأن علياً وذريته أحق بالخلافة. وأن النبي صلى الله عليه وسلم عهد له بها من عنده وترى الشيعة أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بتعيينها، بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام. ولا يجوز لنبي إغفالها أو تفويضها إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم ويكون معصوماً من الكبائر والصغائر. وأن علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله وسلامه عليه[٤].

فالإمامة عند الشيعة أصل من أصول الدين لا يتم الإيمان إلا بالاعتقاد بها[٥].

---

(١) المفيد، أوائل المقالات، ص٢-٤ (بتصرف).
(٢) ابن حزم: الفصل في الملل والنحل ١١٣/٢.
(٣) الشهر ستاني: الملل والنحل ١٩٥/١.
(٤) ابن خلدون: المقدمة ص٩٥.
(٥) محمد رضا المظفر: عقائد الإمامية ص٤٩.

هل كانت الفرق الشيعية، موجودة زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وهل كانت افكارهم مطروحة امام المسلمين آنذاك؟

ان الفرق الشيعية اليوم هي:

١- **الإمامية الإثنى عشرية:** وهو الأكثرية الساحقة من الشيعة إليهم ينصرف الذهن عند إطلاق لفظ الشيعة[١] والذي يميزهم من غيرهم من الفرق الشيعية:

أ- قولهم بوجوب الإمامة ووجودها في كل زمان. فمن أنكر الإمامة عندهم أنكر ركناً من أركان الدين.

ب-قولهم بالنص والتعيين: وترى أن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم قد نص على خلافة الإمام علي رضي الله عنه إما نصاً جلياً واضحاً أو خفياً بالتلميح والإشارة في حياته كقوله في غدير خم (من كنت مولاه فهذا على مولاه). وقوله كما ذكر الطبري (هذا أخي وخليفتي من بعدي) وقوله (أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لا نبي من بعدي)[٢].

ج- عصمة الأئمة: والمعصوم هو الذي لا يتمكن من الإتيان بالمعاصي. وإن إمام الدين لا يكون إلا معصوماً من الخلاف لله تعالى لا تصدر عنه صغيرة ولا كبيرة لا عمداً ولا سهواً ولا نسياناً ولا خطأً في

(١) عرفان عبد الحميد. ص٣٢.
(٢) كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها ص٩٦ والظفر، عقائد الشيعة الإمامية ص٦٠.

التأويل ولا للإسهاء على الله تعالى وذلك ليكون مقبول القول ولا تسقط هيبته من القلوب[1].

د- عدد الأئمة: واتفقت الاثنى عشرية على أن عدد الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم اثنا عشر إماماً ابتدأ بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه ثم الحسن والحسين رضي الله عنهما ومن بعده في ولد الحسين رضي الله عنه دون أخيه الحسن رضي الله عنه حتى الإمام الثاني عشر وهو المهدي المنتظر.

**٢- الزيدية:**

| جواز اتباع المفضول بوجود الفاضل للضرورة . |
|---|

أتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم قتله نصر بن سيار صاحب خراسان أيام هشام بن عبد الملك الأموي. وكان الإمام زيد قد خرج على الخلافة الأموية عندما بويع له في العراق. وقد دفن في العراق بعد قتله. وقد جوّز الزيدية (عدا الجارودية منهم) أن يكون كل فاطمي عالم زاهد شجاع سخي خرج بالإمامة إماماً واجب الطاعة سواء أكان من أبناء الحسن أم من أبناء الحسين ولم يشترطوا في الإمام أن يكون معصوماً ولم يعترفوا بمبدأ الوراثة المباشرة في الإمامة واعترفوا (عدا الجاروية) بإمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وذلك بتجويزهم إمامة المفضول مع قيام الفاضل.

يرى الإمام محمد أبو زهرة أن زيداً كان ملتزماً بالجماعة ولا يخرج عليها وكانت صلاته بعلماء عصره قوية وهو إمام وفقيه له كتاب (المجموع).

واشترط الزيدية أن يكون الإمام من نسل فاطمة دون اشتراط الوراثة التي عليها الاثنى عشرية. ويجوز الزيدية مبايعة إمامين لإقليمين مختلفين بحيث يكون

(١) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١١/٧.

لكل واحد منهما إماماً للإقليم الذي هو فيه ما دام متصفاً بالأوصاف التي ذكروها ومادام اختياره حراً من أولي الحل والعقد. وكان زيد على صلة قوية بواصل بن عطاء وبالمعتزلة[١] والمذهب الزيدي قائم إلى اليوم باليمن.

**٣- الإسماعيلية:**

| هل الاسماعيليون من الفرق الباطنية؟ هل هم من الغلاة ؟ أم انهم فرقة شيعية بين بين |
|---|

ينتسب هذا المذهب إلى إسماعيل بن جعفر الصادق يتفق مع الاثنى عشرية في الإمامة لغاية جعفر الصادق ثم يختلفان من بعده يمررون الإمامة إلى إسماعيل بينما يمررها الإثنا عشرية إلى الإمام موسى الكاظم لأن إسماعيل توفي في حياة أبيه فلا يجوز أن يكون إماماً وأبوه حي عند الإثنا عشرية. تنسب رسائل إخوان الصفا إليهم ومعظم كتاباتهم لا يعرف كتبتها. وسمّوا بالباطنيين لاستخفائهم عن الناس ومن أسباب تسميتهم بالباطنية أنهم قالوا أن الإمام مستور فقد استمر مستوراً إلى أن أنشئت دولة لهم في المغرب ثم انتقلت إلى مصر وإنهم يقولون، أن للشريعة باطناً وظاهراً وأن الناس يعلمون علم الظاهر والإمام عنده علم الباطن ويستر الإسماعيليون كثيراً من آرائهم ولا يعلنون إلا ما تسمح الأحوال بإعلانه ولا يكشفون كل ما يرتأون حتى في الوقت الذي كانت لهم فيه دولة وسلطان في شرق وغرب.

والأئمة في مذهبهم معصومون يغمرهم الفيض الإلهي ولا يلزم أن يكون الإمام ظاهراً وهو ليس مسؤولاً أمام أحد من الناس ولا يجوز للناس تخطئتهم لأنهم معصومين[٢].

---

(١) تاريخ المذاهب الإسلامية ص٤٥.

(٢) تابع ذلك في كتاب تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة ص٥٤-٥٧.

**الغلاة أو الفرق الغالية:**

| وبعد ان عرفنا الشيعة ومعناها هل يمكن ان يكون الغلاة منهم؟ وهل كان الغلاة من بين الشيعة فقط؟ |
| --- |

وينسبون إلى الشيعة إلا أنهم بعد غلوّهم لا علاقة لهم بالشيعة إطلاقاً. وسموا كذلك لأنهم غلوا في عليّ وقالوا فيه قولاً عظيماً[1] أو هم الذين نسبوا علي بن أبي طالب عليه السلام إلى الألوهية والنبوة ووصفوه من الفضل في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا فيه الحد وخرجوا عن القصد وهم ضلال كفار حكم عليهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بالكفر والقتل والتحريق بالنار وقضت الأئمة عليهم السلام بالإكفار والخروج عن الإسلام.

أما أهم سمات الأفكار الغالية فهي:

فكرة الحلول والتجسيد فمعظمهم فرقهم تؤمن بألوهية الإمام علي رضي اللع عنه وبحلول الجزء الإلهي وتجسده فيه.

١. تتمثل في بعضها فكرة التشبيه والتجسيم.
٢. تعتقد بعضها بفكرة التناسخ.
٣. اعتقدت بعض دوائرهم فكرة الموت الظاهري.
٤. ظهرت في بعض دوائرهم فكرة النبوة المستمرة التي مفادها أن النبوة فيض دائم وسلسلة دورية لا تنقطع وأن الأنبياء لا ينقطعون.
٥. ظهرت في بعض دوائرهم نزعات الإلحاد والإباحية والتحلل من النواميس الخلقية.
٦. ظهرت في بعض دوائرهم نزعة تقديس الأرقام والأعداد.

---

(١) الأشعري، مقالات الإسلاميين ٦٦/١.

الغلاة من الباطنية، أي الذين يظهرون غير ما يخفون من العقائد والممارسات.

هذا وأن الغلاة لا يظهرون عقائدهم بصورة علنية وإنما لهم عقائدهم الباطنية وقد يتسترون بالعقائد المعروفة كما هي الحال في كثير ممن تسمى ملل "العلي الهية" المنتشرة في شمال إيران والعراق وجنوب تركيا.

**الخوارج:**

هل اجمع عموم الخوارج على اكفار بعض المسلمين

الخوارج اسم سياسي لفرق دينية كثيرة أصلها أتباع للإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فخرجوا عنه بعد التحكيم. ويطلق الخوارج على أنفسهم هذه اللفظة بمعنى "الخروج في سبيل الله" مستشهدين بقوله تعالى ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ المَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ (النساء/١٠١) وكان لهم أسماء أخرى "الحرورية" و"المحمكة" و"الشراة" و"المارقة".

**آراء الخوارج الدينية:**

١- إكفار علي وعثمان وعمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري "الحكمين" وإكفار أصحاب الجمل عائشة "أم المؤمنين" وطلحة والزبير وكل من رضي بتحكيم الحكمين.

٢- تكفير مرتكب الكبيرة واعتباره كافراً مخلداً في النار "وهم يختلفون في هذا".

٣- وجوب الخروج على الإمام الجائر.

٤- جواز أن تكون الإمامة في غير قريش "خلافاً لأهل السنة" وبالانتخاب الحر "خلافاً للشيعة" الذين قالوا أن الإمامة تكون بالنص والتعيين.

ويرى الدكتور عرفان عبد الحميد أن الخوارج لم يجمعوا إلا على إكفار علي وعثمان والحكمين وأصحاب الجمل أما ما عدا ذلك فقد اختلفت فرق الخوارج فيه اختلافاً كبيراً(١).

**الأباضية:**

وهم أتباع عبد الله بن أباض. وهم أكثر الخوارج اعتدالاً "ومن الفرق التي لا زالت لها أرضية ووجود في العالم الإسلامي وينتشرون في شمال أفريقيا وجنوب جزيرة العرب.

يختصر الإمام أبو زهرة آراءهم بما يلي:

أ- إن مخالفيهم في المسلمين ليسوا مشركين ولا مؤمنين ويسمونهم كفاراً ويقولون أنهم كفار نعمة لا كفار في الاعتقاد وذلك لأنهم لم يكفروا بالله ولكنهم قصروا في جنب الله.

ب-دماء مخالفيهم حرام ودارهم دار توحيد وإسلام.

ج- لا يحل من غنائم المسلمين الذين يحاربون إلا الخيل والسلاح.

د- تجوز شهادة المخالفين ومناكحتهم والتوارث بينهم وبين الخوارج ثابت(٢).

**التصوف في الإسلام**

| التصوف هو عملية تزكية النفوس وتصفية الاخلاق عند المسلم |
|---|

(١) دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية ص٧٩.
(٢) محمد أبو زهرة، تاريخ المذاهب الإسلامية ص٧٨.

**التصوف علم وعمل :**

التصوف الحق في الإسلام كما يراه أصحابه علم وعمل، به يتوصل المسلم إلى أعلى درجات الإيمان، وهو لون من ألوان المعرفة الإسلامية، ومذهب من مذاهب السلوك الإنساني الرفيع، لذلك احتل جانباً مهماً من جوانب الفكر الإسلامي، وله شأن عظيم، فقد قاد أهله حركات ثورية جهادية كان لها دور فعال في تاريخ الإسلام والمسلمين[١].

| العلم الحقيقي عند الصوفي لا يحصل الا بالوجد والاستغراق حتى يصل المؤمن الى حالة الفناء في الله . |
|---|

عرفه الشيخ زكريا الأنصاري بأنه "علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية"[٢].

وهو الدخول في كل خلق سني، والخروج من كل خلق دني[٣].

ويقول السري السقطي لأتباعه "التصوف اسم لثلاث معان: هو الذي لا يطفئ نور معرفته نور ورعه، ولا يتكلم بباطن ينقض الكتاب والسنة، ولا تحمله الكرامات على هتك محارم الشريعة"[٤].

**تاريخ التصوف :**

والصوفية عند البعض من الطرق الدينية السرية الفلسفية عرفت عند المسلمين مع الرعيل الأول. ولها تأثير محسوس على العقائد الإسلامية متمثلة

(١) بكر السيد عبد الرزاق السيد محمود السامرائي، الصحبة عند الصوفية، رسالة ماجستير تقدم بها إلى الجامعة الإسلامية في بغداد عام ١٩٩٧ ص٣.
(٢) الأنصاري، شرح الرسالة القشيرية ج١/٩٦.
(٣) الصحبة عند الصوفية. ص٤٦.
(٤) فتاح، الفلسفة والتصرف. حضارة العراق، مطبعة الحرية، بغداد ١٩٨٥ ج٨/٢٨١ وانظر الصحبة عند الصوفية ص٤٩.

بالزهد والعبادة والتقوى ولباس الصوف. تعمل في تفسير النصوص والأحاديث حسب العقل لتخفيف ما يعتري الناس من هول الحساب والصراط وجحيم العذاب، مقيمة محبة الله[1].

**الصوفية والأمام الغزالي رحمه الله :**

ولم يكن للتصوف أثر كبير قبل ظهور الإمام الغزالي رحمه الله حيث وضع قواعد جديدة للصوفية ضمن نطاق القواعد الإسلامية وسعى إلى إقامة فلسفة دينية أخلاقية بكتابه "تهافت الفلاسفة" و"المنقذ من الضلال" وفي تدريساته بالنظامية في بغداد وكان قصده الوصول إلى الحقيقة بالطرق النفسانية والتمسك بالزهد والتقوى والخلوة والرياضة ومجاهدة النفس وتزكيها وتهذيب الأخلاق حتى يصل إلى تخلية قلبه من غير الله تعالى. وإلى نور يشرق في نفسه من مصدر علوي أو نور يقذفه الله في صدره. فقال قولته الشهيرة "لقد رأيت بوضوح أن الصوفية أرباب أحوال لا أصحاب أقوال"[2].

ويرى الصوفيون أن العلم الحقيقي لا يحصل إلا بالوجد والاستغراق حتى يصل المؤمن إلى حالة الفناء في الله. وأن الفناء خاص بهذا الوجود وأما البقاء فهو الرجوع إلى الله بعد الوفاة. يقول أبو زيد البسطامي: شاهدت أن الحب والمحب والحبيب واحد لا جزء له لأن الكل في عالم الوحدة واحد.

يقول الحسن البصري "مثقال ذرة من الورع السالم خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة.

ويقول معروف الكرخي: أن محبة الله شيء لا يكتسب بالتعلم وإنما هي هبةً من الله وفضل.

---

(١) فاروق الدملوجي، هذا هو الإسلام، ص٩٦.
(٢) المصدر السابق. ص٩٦.

**تعريف التصوف :**

أما تعريف التصوف: فهو ذوق أو نزعة روحية أو خلجات وجدانية مبتناه على صفات النفس توصل صاحبها إلى التجرد من الدنيا والحلول والاتحاد بالمحبوب. ولا يمكن الوصول إليه بالتعليم ولا يوصف بالألفاظ بل الذوق والحال وتبدل الصفات والسلوك.

**بعض المصطلحات الصوفية :**

(أهل الكشف) من الصوفية هم في أسمى مرتبة الكمال يشاهدون الحقائق ببصيرتهم وبنور يقذفه الله في قلوبهم فيشهدون الله في كل شيء وفي أنفسهم وإن لم تكن نظائر لله فهي شبيهة به، وتبلغ النفس سعادتها متى أحست بفنائها في الله وعند هذا الحد لا خير ولا شر ولا طاعة ولا معصية فلا خوف من عقاب ولا رجاء ثواب.

(والزهاد) وهم أقل مرتبة من العارفين بالله فهؤلاء يتركون لذائذ الدنيا وطيباتها بأهل الوصول إلى أحسن منها وإلى ثواب أخروي أطيب منها ويرجون ثواب الله في اليوم الآخر كأنهم يستبدلون خرقه صوف بجبة خز فلا فرق بينهم وبين المتمسكين بالمحسوسات والرسوم الدينية الظاهرية. وفريق آخر يسمى (العبّاد) وهم المواظبون على العبادات بأنواعها وأشكالها عمال يعملون لأجرة يأخذونها في الآخرة. (وأهل التقوى) أولئك الذين يعملون الطيبات. (والأبدال) المحدثون بآلاء الله وأهل الله. وهم المطلعون على أسرار التصوف وتأويل النصوص(١).

واعتبروا (القطب) هو مدار العالم في سلمه وحربه وصناعته وتجاربه وما يحدث من حل وربط وخراب وعمران، فصادر عن عمد علمه وراجع إلى تدبيره.

(١) فاروق الدملوجي: هذا هو الإسلام ص١٠١.

وأن (الغوث) هو الذي بيده تقاليد الأمور خيرها وشرها. يغيث المستجيرين وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف عنه السوء.

وأن (الولاية) خاصة بأولئك الذين يتولاهم الله بعنايته ويعصمهم من المعصية فيشاهدون الله بقلوبهم فيكشف لهم ما لا يكشفه لغيرهم وهم في حالة (جذب) دائمة لا يصحون من سكرهم إلا وقت الصلاة ويحفظهم الله بعنايته من المعصية في حالة سكرهم[1].

وأن (الولي) هو الذي يصل إلى مقام الفناء عن ذاته وإرادته ويمكث بالإرادة الإلهية فترتفع بينهما الحجب فيصبح لا (أين) أي لا مكان له.

وأن (الأبدال) و (الأبطال) هم الذين تتعدد صورهم في الوجود وروحهم واحدة. وهؤلاء هم الخواص من أهل الله.

**حالات التصوف :**

وللصوفي ثلاث حالات:-

الأولى: حالة الصحو وهي حالة الشعور والوعي ويشترك معهم فيها كافة البشر.

الثانية: حالة فقدان الوعي والشعور.

الثالثة: وتسمى حالة الشهود أو حالة الصحو الثانية وتعقب حالة السكر فيشعر الصوفي أنه باتحاد مع الإله[2].

**أسس الصوفية:**

أولاً: الحب، فهم يظهرون الحب لكل ما هو جميل أينما تألق لعيونهم.

ثانياً: الذوق الحال، والذوق هو معرفة الله وهو نور يقذفه الله في قلوب أوليائه وبه يفرقون بين الحق والباطل دون التماس معلم أو سماع كتاب.

---

(١) المصدر السابق نفسه ص١٠٢. وانظر الصحبة عند الصوفيين ص٥٥.

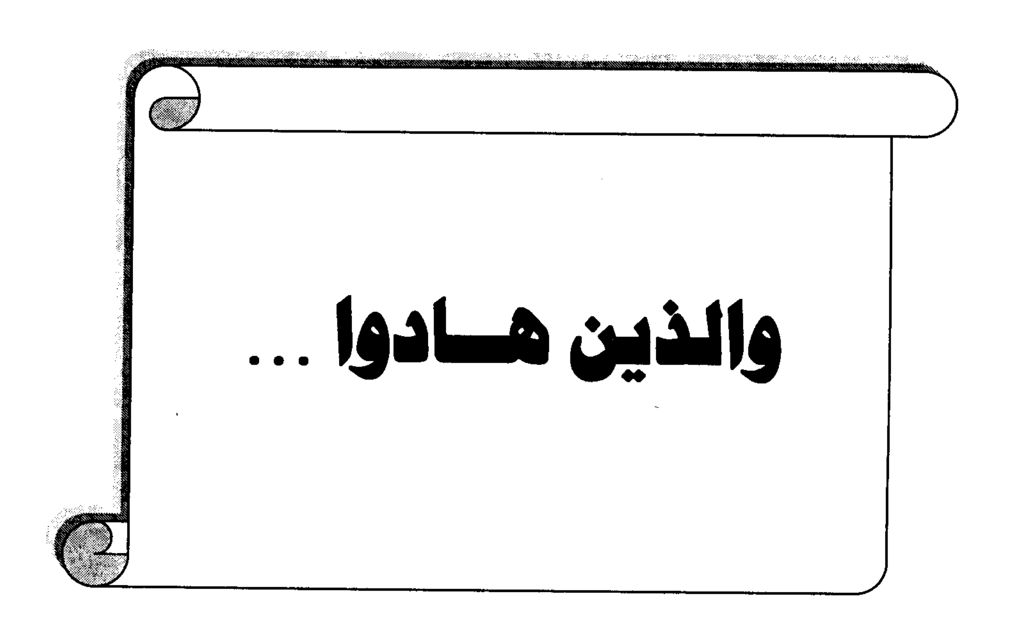
(٢) فاروق الدملوجي: المصدر السابق ص١٠٢.

ثالثاً: التجرد والشك وهي تجرد الذات عن كل وهم وفكرة ومعتقد وتقليد والتوجه بالكلية إلى اليقين للوصول إلى الحقيقة بل الاتصال بالله ولا يحصل اليقين إلا بالشك والتدقيق والزهد عن الحاجات والفقر فيدخلون الاعتكاف ويعتزلون العالم سنوات لترويض النفس حتى الوصول إلى أعلى الدرجات في المراتب الصوفية (اليقين) الذي ينشدونه والحقيقة التي يبحثون عنها[١].

وفي نهاية المطاف، فإن الصوفية الحقة تتحقق بالصحبة الحقة بمعانيها الزاكية السامية وحكمها العالية وأبعادها العميقة، فهي بالنسبة إلى التصوف كنسبة الرأس إلى الجسد فلا تصوف بلا صحبة. ويعرفها المتصوفة بأنها "خدمة الرجال وموافقة أهل الكمال لمعرفة الخالق وفائدتها وثمرتها تهذيب النفوس وتطهير القلوب لمعرفة علام الغيوب وهي: الاجتماع بالعارفين والاستماع منهم بطريق السلوك للوصول إلى الله سبحانه وتعالى.[٢]

التصوف ذوق وخلجات وجدانية بنيت على صفات النفس لتوصل صاحبها إلى التجرد من الدنيا والحلول والاتحاد في المحبوب .

(١) فاروق الدملوجي: المصدر السابق ص١٠٢-١٠٣.
(٢) الصحبة عند الصوفية، ص١٨.


والــذيـن هـــادوا ...

# الديانة اليهودية

أفرد الله تعالى ذكر اليهود بعد ان ذكر الذين آمنـــوا .. وقـــد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى عنهم "كلما جاءهم رســول بما لا تهوى انفسهم، فريقاً كذبوا وفريقاً يقتلــون (المائــدة/ ٧٠) وكذلك قوله عنهم "فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنــا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظــاً ممــا ذكروا به" (المائدة/ ١٣) وهي صفات لابد وانها غير صفات "الذين آمنوا" والتي قصرناها على الحنيفيين والمسلمين.

بعث الله تعالى النبي موسى عليه السلام ليعلم بنـــي اســـرائيل التوحيـــد ويخبرهم بالشريعة. وكان لابد لهذا الرسول الكريم من تعريفهم بمـــآلهم، حيث لا يمكن أن يكون قد بلغهم بالرسالة دون أن يذكر لهم بان هنـــاك آخرة وان هنالك جنة وناراً وهو الهدف من العبـــادة والتـــزام التعـــاليم الالهية. لكننا سوف نرى ان اليهود بعدئذ قد اتخذوا الهة لهم دون سواهم أي أنهم اشركوا بالله تعالى . وأن النبوة لم تعد محترمة عندهم لأنهم قتلوا انبياء الله وان مفهوم الاخرة قد نسي تماماً ولم نجد له ذكراً في توراتهم المحرفة – كما سنرى- فهل يمكن أن تكون الرسالة التي نزلـــت مـــن السماء عليهم بهذا الشكل؟

اليهودية هي ديانة بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيداً بالتوراة ليكون لهم نبياً[1]. يطلق اليهود على أنفسهم عدة تسميات منها ما وردت في كتبهم أو في كتب التاريخ وبيان ذلك بالتفصيل كما يلي:

**١- بنو إسرائيل:**

وهي تسمية أطلقها القرآن الكريم عليهم في كثير من آياته الكريمة نسبة إلى أبيهم إسرائيل نبي الله وهو يعقوب بن إسحاق فأطلق الاسم على جميع الأسباط من عقبه. ثم إلى فئة منهم إلى أن انقرضت فعمهم الاسم جميعاً[2].

قال تعالى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ﴾[3].

(١) الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب المعاصرة، ص٥٦٥.
(٢) انظر واليهود في القرآن، ص١٣. وسورة الإسراء وبنو إسرائيل، ص٥٦.
(٣) سورة آل عمران، ٩٣.

وقوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾[1].

وقد أجمع المفسرون أن المقصود بـ(إسرائيل) هو يعقوب. ولفظة بني إسرائيل قد وردت في القرآن في عدة مواضع من سور ذلك القرآن:

قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ﴾[4].

إن لفظ بني إسرائيل أطلق على أولاد يعقوب عليه السلام وقد عاشوا في القرن السابع عشر قبل الميلاد، واستمرت هذه التسمية لمدة (١٤٠٠) سنة ولغتهم في اللغة الآرامية وهي نفس اللغة التي يتكلم بها الكنعانيون والعموريون في فلسطين[5].

وبنو إسرائيل هم أولاد يعقوب الذكور الاثنا عشر ولداً وهم: راؤبين، شمعون، لاوي، يهوذا[6]، يساكر، زبولون، يوسف، بنيامين، جاد، أشير، دان، نفتالي. ومن أبناء يعقوب عليه السلام، وذرياتهم من بعدهم تكونت أمة بني إسرائيل ونسبت إليه[7].

ويقرر الدكتور دروزة أن اسم إسرائيل حسب ما يفيده سفر التكوين قد أطلق على ذرية يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الذي كان (إسرئيل) اسماً ثانياً له سماه به ملك الرب على ما جاء في الإصحاح (٣٢) والذي رحل هو وأولاده وأسرهم إلى مصر على ما جاء في الإصحاح (٤٧)[8].

---

(١) سورة مريم، ٥٨.
(٢) سورة البقرة، ٤٠.
(٣) سورة آل عمران، ٤٩.
(٤) سورة الإسراء، ٤. وانظر سورة الإسراء وبنو إسرائيل، ص٥٦، ٥٧.
(٥) انظر تاريخ الديانتين، ص١٥.
(٦) من اسمه أخذت كلمة (يهود).
(٧) انظر سورة الإسراء وبنو إسرائيل، ص٥٧. وانظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٥٦.
(٨) انظر تاريخ بني إسرائيل وأسفارهم، ص٣٥.

ويقرر القرآن الكريم أيضاً بأن التسمية (بنو إسرائيل) وجدت قبل أن تنزل التوراة، فإسرائيل وأولاده وأحفاده يدعون الإسرائيليين وليس هناك ما يدعى إسرائيليون قبل ذلك الوقت كما جاء في القرآن:

في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رُسُلاً كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقاً كَذَّبُوا وَفَرِيقاً يَقْتُلُونَ﴾[1].

**٢- اليهود:**

استعمله القرآن الكريم كلفظ آخر إلى جانب بني إسرائيل في كثير من سوره فمن ذلك:

قوله تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[3].

وأصل هذه التسمية مأخوذة من هاد يهود إذا تاب ورجع.

قال صاحب لسان العرب: الهود: التوبة، هاد، يهود، هوداً: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد.

قال تعالى: ﴿وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ﴾[4]. أي تبنا ورجعنا إليك.

ويقال: هاد فلان إذا تحرى طريقة اليهود في الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾[5].

ومن ثم جاءت لفظة "هادوا" علماً وصفة لليهود في عدة مواضع من القرآن منها:

---

(١) سورة المائدة، ٧٠. وانظر الرؤية العربية لليهودية، ص٣٢، ٣٣.
(٢) سورة البقرة، ١٢٠.
(٣) سورة المائدة، ٨٢.
(٤) سورة الأعراف، ٥٦.
(٥) سورة البقرة، ٦٢.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ﴾[1]. أي الذين دخلوا اليهودية وهود الرجل: حوله إلى اليهودية. وهاد يهود إذا صار يهودياً.

وقال الإمام البيروني: وإنما سموا باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسباط، فإن الملك استقر في ذريته وأبدلت الذال المعجمة دالاً مهملة، لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء أعجمية إلى لغتهم غيروا بعض حروفها[2].

وأطلقت تسمية اليهود على بقايا جماعة يهوذا الذين رحلهم نبوخذ نصر إلى بابل في القرن السادس قبل الميلاد إلى مملكة يهوذا المنقرضة[3].

ويرى عباس العقاد أن المفهوم (يهود) جاء نسبة إلى الابن الرابع ليعقوب (يهوذا) بينما الدتور أحمد سوسة يقرر أن هذا خطأ شائع بين المؤرخين العرب. وأن هذا الاسم (يهود) لم يعرف قبل السبي البابلي وسقوط مملكة يهوذا. أما الدكتور شلبي فيقرر في كتابه عن اليهودية أن هذا الاسم لم يعرف قبل تأسيس مملكة يهوذا بعد سقوط مملكة سليمان[4].

والذي يظهر لنا في سبب تسمية بني إسرائيل (اليهود) هو ما أخبر عنهم القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾[5] من أنهم تابوا ورجعوا إلى الله من عبادة العجل، وبقيت هذه التسمية لازمة لهم بعد نسخ شريعتهم بشريعة الإسلام.

قال الإمام الشهرستاني: وإنما لزمهم هذا الاسم لقول موسى عليه السلام (إنا هدنا إليك) أي رجعنا وتضرعنا وهم أمة موسى وكتابهم التوراة وهو أول كتاب نزل من السماء[6].

---

(١) سورة الحج، ١٧.
(٢) انظر سورة الإسراء وبنو إسرائيل، ص٥٨.
(٣) انظر تاريخ الديانتين، ص١٦.
(٤) انظر الرؤية العربية لليهودية، ص٣٥، ٣٦.
(٥) سورة الأعراف، ١٥٦.
(٦) انظر الملل والنحل للشهرستاني، ٢/٥٠.

**٣- العبرانيون**

حيث يقال لهم: عبرانيون وعبريون من العبر. أي من عبور نهر الفرات أو عبور الصحراء على أصح الأقوال كما سيأتي[١]:

وقد جاءت هذه التسمية في الكتب المقدسة على لسان العلماء وكتاب التاريخ ويعدونها أقدم تسمية أطلقت على بني إسرائيل بزعمهم وإن كانوا قد اختلفوا في سبب إطلاقها عليهم على أقوال منها:

أنه سموا بالعبريين نسبة إلى إبراهيم نفسه، فقد ذكر في سفر التكوين "إبراهيم العبراني" لأنه عبر نهر الفرات وأنهاراً أخرى[٢]. ففي هذه التسمية فإن الإصحاح (١٤) من سفر التكوين سمي إبراهيم الذي يعتبره بنو إسرائيل جدهم الأعلى (أبرام العبراني) حيث يمكن أن يقال: أن بنو إسرائيل كانوا يتداولون فيما بينهم أن جدهم الأكبر كان يوصف العبراني، وأنهم احتفظوا بهذا الوصف لأنفسهم ولغتهم[٣].

أنهم سموا بالعبريين نسبة إلى (عبر) وهو الجد الخامس لإبراهيم.

ويرى الدكتور ولفنسون، أن كلمة عبري ترجع إلى الموطن الأصلي للآراميين وذلك أنهم كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها للبحث عن الماء والمرعى.

وكلمة (عبري) في الأصل مشتقة من الفعل الثلاثي عبر، بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر من عبره عَبْرِه. أو عبر السبيل: شقها. وكل هذه المعاني موجودة في هذا الفعل سواء في العربية أو العبرية، وهي في مجملها تدل

---

(١) انظر لليهود في القرآن، ص٣٤.
(٢) انظر سورة الإسراء وبنو إسرائيل، ص ٥٩.
(٣) انظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٣٠، ٣١. والمعروف أن إبراهيم عليه السلام هو أبـو الأنبياء جميعاً. فهو الجد الأعلى للعرب أيضاً.

على التحول والتنقل الذي هو من أخص ما يتصف به سكان الصحراء أو البادية[1].

ويرى الباحث أحمد سوسة سبب هذه التسمية إلى أن هناك قبائل كانت تنتقل في شمال الجزيرة العربية وأرض كنعان كانت تسمى (العبيرو) أو (الهبيرو)، وهي كلمة تطلق على القبائل العربية الرحل التي كانت تجوب الجزء الشمالي من الجزيرة العربية أيضاً. وقد انضمت إلى القبائل الآرامية وصارت هذه الكلمة بعد أن صحفت إلى عبري وعبراني تطلق على أتباع موسى[2].

ولذلك فإن نعت إبراهيم الخليل عليه السلام (بالعبراني) كما ورد في التوراة إنما أريد به معنى (العبيرو) وهم القبائل البدوية ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم عليه السلام نفسه، لذلك يجب التمييز بين العبري من جهة وبين الإسرائيلي أو اليهودي من جهة أخرى عند الحديث عن اليهودية، وليس لإبراهيم عليه السلام أي علاقة باليهود لأنه سبق وجود اليهودية[3].

وقد ذكر في القرآن وفي سور مختلفة أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً، بل كان حنيفاً مسلماً من ذلك قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[4].

**اليهود في التاريخ**

يمكن تقسيم العصور والأدوار التاريخية التي مرت بها اليهودية والتي وردتنا في التوراة إلى الأقسام الآتية:

(١) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٤٦.
(٢) انظر العرب واليهود في التاريخ، ص٢٤٧.
(٣) انظر تاريخ الديانتين، ص١٤. وانظر العرب واليهود في التاريخ، ص٢٤٧.
(٤) سورة آل عمران، ٦٧. وانظر الرؤية العربية لليهودية، ص٣٨.

### ١- عصر الآباء الجوالين:

ان موسى عليه السلام كان سليل الانبياء. وقد وصف ابراهيم عليه السلام الجد الاكبر لموسى عليه السلام بأبي الانبياء، حيث قد انحدر منه كل الرسل الذين خلفوا لنا كتباً سماوية، بعضها قد حُرّف وتعهد الباري – عز وجل– بحفظ آخرها وهو "القرآن الكريم". وفي هذا المقطع من الفصل سوف نرى تسلسل ظهور الانبياء وأزمانهم.

وهو العصر الذي عاش فيه إبراهيم الخليل وحفيده يعقوب وهؤلاء كانوا يدينون بدين إبراهيم عليه السلام. وقد انتهى هذا العصر بعد أن هاجرت أسرة يعقوب إلى مصر، وانضمت إلى يوسف فاندمجت وذابت في البيئة المصرية كلياً، وترجع حوادثه إلى القرنين التاسع عسر والثامن عشر قبل الميلاد، ولغة هذا العصر اللغة السامية العربية الأم. والديانة وحدانية إبراهيم الخليل الخالصة[١].

كان ابراهيم عليه السلام قد ابتدأ عصر "الجوالين" وهم الآباء الذين لم يستقروا في مكان معين.

وكان إبراهيم قد نشأ في أور الكلدانيين وكان أبوه تارح (أو آزر) وقومه يزاولون عمل الأصنام فسخر إبراهيم من عملهم هذا ويروي القرآن الكريم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا

(١) انظر العرب واليهود في التاريخ، ص١٦٠.

﴿كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ * فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾(١).

**هجرة النبي ابراهيم عليه السلام نحو كنعان :**

ثم تحولت السخرية إلى عمل ضد هذه الأصنام، فقام بتحطيمها إلا صنماً كبيراً كان أعظمها شكلاً وأكبرها حجماً، فلما عادوا من عيدهم جن جنونهم لما رأوا بآلهتهم وصاحوا يا إبراهيم: أأنت فعلت هذا بآلهتنا؟ فأجابهم بل فعله كبيرهم هذا فأسئلوهم. فقالوا في ثورة كيف نسألهم وهم لا ينطقون. وكان ذلك من إبراهيم مطلع ثورة على الفكر والسلطان في بلاد الكلدان، ولم يستطع إبراهيم أن ينشر الحق فهاجر من أور الكلدانيين إلى أرض كنعان هرباً من شرهم ومعه زوجته سارة وابن أخيه لوط وبعض الأقارب وأطلق أهل كنعان على إبراهيم ورفاقه (العبريين) لعبورهم نهر الفرات أو لأنهم بدو متجولون يعبرون من واد إلى واد.

ويرى أكثر الباحثين أن هذه الرحلة تمت حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م، ويرجح بعضهم حدوثها حوالي سنة ١٨٥٠ ق.م.

وقد عاش العبرانيون وحدهم وآثروا العزلة في أرض كنعان، وبالتالي نظر الشعب لهم نظرة ريبة فلم يتم اختلاط بينهم لاعتبارهم بدو لا ثقافة لهم نزلوا بين أقوام لهم تاريخ وحضارة. ومن ثم ترتب على هذه العزلة اعتبارهم من حولهم من الأمم أعداء لهم.

وعندما وصلوا إلى أرض كنعان كانت اللغة التي يتكلمون بها عبارة عن لهجة آرامية أقرب ما تكون إلى العربية. ولكن العبريين كانوا ينطقون هذه اللهجة متأثرين بقواعدهم ومفرداتهم اللغوية، وقد أصطلح على تسمية هذه اللهجة العبرية(٢).

---

(١) سورة الشعراء، ٦٩-٧٧.
(٢) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٤٨، ٤٩، بتصرف.

وفي أثناء عهد الهكسوس بمصر أصاب القحط أرض كنعان فاستأنف العبرانيون (إبراهيم وقومه) تحركاتهم تجاه مصر حيث وفرة الزرع وخصب الأرض ولقي إبراهيم من الهكسوس كثيراً من الترحيب والتقدير، ولكن ملك الهكسوس طمع في زوجته سارة، فقفل راجعاً إلى أرض كنعان ومعه (هاجر) وهي جارية مصرية، أهديت لسارة وقد دخل إبراهيم بهاجر وأنجب منها ابنه الأول إسماعيل الذي نشأ في مكة.

**ابناء ابراهيم عليه السلام :**

وبعد مولد إسماعيل بحوالي أربعة عشر سنة ولدت سارة لإبراهيم ابنه الثاني إسحاق، ثم توفي إبراهيم وترك ابنه الأكبر إسماعيل الذي استوطن الحجاز، وابنه الأصغر إسحاق بأرض كنعان وأنجب إسحاق ولدين هما (عيسو ويعقوب) المسمى إسرائيل وإليه ينسب بنو إسرائيل [(١)].

وجاء من يعقوب الأسباط الاثنا عشر. وكان يوسف الابن الحادي عشر لراحيل، قد بيع في مصر ونال حظوة في بلاد الفرعون، وبعد أن عاش أحفاد يوسف وأحفاد أخوته في مصر ما يزيد عن أربعة قرون خرجوا كما تقول التوراة إلى فلسطين بقيادة النبي موسى عليه السلام. وهذه هي بداية الهجرة الثالثة التي ينسب اليهود إليها تاريخهم وأصلهم[(٢)].

**٢- عصر الخروج:**

| كان عصر الخروج هو العصر الذي بدأت فيه شخصية الاسرائيلي "الشخص المعارض المشاكس الذي لا يطيع سيّده" . |
| --- |

(١) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٥٦.
(٢) انظر تاريخ الديانتين، ص٢٣. وانظر قصو يوسف وأخوته، مقارنة الأديان (اليهوديـــة)، ص٥٦-٥٨. واليهود في القرآن، ص٦٩-١٣١.

أي خروج بني اسرائيل من مصر إلى سيناء. فكما نعلم بأن بني إسرائيل كانوا قد استقروا بمصر، وتكاثروا تكاثراً واسعاً وسريعاً وكانوا لا يزالون في عزلتهم. ولكن العزلة آنذاك أصبحت تلفت نظر المصريين وتثير خوفهم وأصبح لهم قوة ومنعة، وغدوا يكونون دولة داخل دولة كما يقال في الاصطلاح الحديث.

**العلاقة بين بني اسرائيل والمصريين :**

ويرى بعض الباحثين: أن شعب مصر اكتشف بالفعل أن بني إسرائيل كانوا يتآمرون عليه. وذلك نتيجة للوضع الجديد في مصر، فإن بني إسرائيل تعودوا الحياة الممتازة منذ عهد يوسف. ونالوا الكثير من رعاية الهكسوس وإيثارهم، ثم من جاء من الفراعنة من طلب من بني إسرائيل حراثة الأرض والاشتراك في تشييد المباني وإقامة العمران، لا أن يختصوا بصياغة الذهب والفضة وتجارتهما، وتنمية المواشي، فثار بنو إسرائيل لفقدان امتيازاتهم وقاوموا الحكم الجديد.

وهكذا تنكر بنو إسرائيل لسادتهم المصريين فخانوا عهدهم واستنزفوا أموالهم ورموهم بكل فاحش من القول، وهكذا تأزمت العلاقات بينهم وأصبحت الكراهية والحذر طابعها. واستشار فرعون الكهنة والحكماء وتدارس الجميع الأمر وانتهوا فيه إلى أن عزلة بني إسرائيل هي مصدر الخطر، وأن تكاثر رجالهم يهدد الدولة. فاستقر الرأي على التخلص من الأطفال الذكور واستبقاء الإناث(١).

وكان موسى عليه السلام رجلاً من بني إسرائيل من مواليد هذه الفترة ولد في مصر أيام فرعونها رمسيس الثاني (١٣١٠-١٢٣٤ ق.م) وقد تربى في قصر هذا الفرعون بعد أن ألقته أمه في النهر وهو داخل التابوت(٢).

وفي القرآن الكريم تصوير رائع لطفولة موسى قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ

---

(١) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٦٠، ٦١، بتصرف.
(٢) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص٥٦٥.

﴿الْمُرْسَلِينَ * فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ﴾[1]، فقالت امرأة فرعون لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً واستجاب لها فرعون[2].

وعندما شب موسى رأى ذات يوم خلافاً بين مصري، وعبراني فهتف به العبراني أن يساعده ففعل، وسقط المصري قتيلاً بضربة من موسى. وثار المصريون ضد العبرانيين ثم اتجهت الثورة ثورة المصريين لتصبح ضد موسى عندما اعترف عليه العبراني الذي استغاث به بالأمس. ولم يجد موسى بداً من الهرب فاتجه إلى مدين مقر بني الله شعيب. وهناك تزوج ابنته وكان في صداقها خدمته لأبيها ثماني حجج، وبعد أن أتم موسى الميقات فكر في الرجوع إلى مصر أملاً أن يكون القوم هناك قد نسوا خطيئته فسار مع زوجته في طريق العودة حتى وصل إلى طور سيناء، فأبصر ناراً تشتعل في جانب الطور الأيمن، ﴿إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى * فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى * إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى * وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى * إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾[3].

| وفي مرحلة الخروج بدأ موسى "عليه السلام" دعوته الى الله تعالى والى التوحيد الذين يبعدهم عن عبودية الفرعون . |
| --- |

**بداية رسالة موسى عليه السلام :**

وبذلك بدأت رسالة موسى فقام بعرضها فدعا موسى فرعون إلى توحيد الله والسماح لبني إسرائيل بالهجرة عن مصر حيث كانوا يعيشون تحت ذل عبودية

---

(١) سورة القصص، ٧-٨.
(٢) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٦٢.
(٣) سورة طه، ١٠-١٤. وانظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٦٢.

الفراعنة لهم ولكن فرعون لم يعترف بها، وظل فرعون يعامل بني إسرائيل بما كان يعاملهم به من القسوة والحذر، ولما يئس موسى عليه السلام من فرعون قاد بني إسرائيل باتجاه البحر للذهاب إلى فلسطين[١].

ولما خرج موسى ببني إسرائيل تبعهم فرعون ومعه فريق من جنده ليمنعهم من مواصلة السفر فلحق بهم وقد بلغوا شاطئ خليج السويس. ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾[٢]. فأغرقهم الله سبحانه وتعالى ونجا موسى وبنو إسرائيل.

وفي الطريق إلى فلسطين ترك موسى بني إسرائيل بناء على أمر ربه ليصعد إلى جبل الطور ليتلقى من الله الألواح التي فيها الوصايا[٣] العشر والتعليمات التي يسير عليها هو وشعبه.

ولكن لما عاد موسى إلى قومه بعد تسلمه الألواح وجدهم قد عكفوا على عجل من ذهب صنعه لهم السامري، فزجرهم موسى وغضب غضباً شديداً ولما أمرهم بدخول فلسطين امتنعوا عليه وقالوا له: إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها ما داموا فيها، فأذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولم يستجب لموسى أحد سوى أخيه هارون، فغضب الله عليهم وتركهم يتيهون في الصحراء أربعين سنة، ومات هارون ثم موسى في فترة التيه، ودفن هارون في جبل هور، ودفن موسى في كثيب أحمر، حيث كان يرى أرض فلسطين دون أن يدخلها[٤].

---

(١) تاريخ الديانتين اليهودية، والمسيحية، ص٢٣.
(٢) سورة الشعراء، ٦١-٦٦. وانظر مقارنة الأديان ، ص٦٤.
(٣) انظر وصايا العشر، محاضرات في اليهودية والنصرانية، ص٥.
(٤) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان، ص٥٦٦. وانظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٦٨-٦٩.

ويعين المؤرخون تاريخ خروج موسى وأتباعه من مصر إلى أرض كنعان (فلسطين) في حوالي سنة ١٢٩٠ ق.م يوم كان رمسيس الثاني على عرش مصر (١٣٠٠-١٢٣٣ ق.م) وقدر بعض الباحثين عدد هذه الجماعة آنذاك بحوالي ٦٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ نسمة عند خروجهم من مصر[١].

**٣- عصر القضاة**

كان الواجب الأول لقائد بني اسرائيل ان يقضي في منازعاتهم ويقيم العدل فيهم، لذلك جاءت كلمة "القاضي" بديلة عن مصطلحات الزعامة والرئاسة والملكية المعهودة بين الناس

وتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل وكان أحد أصفياء موسى وقد اختاره موسى قبل موته لقيادة بني إسرائيل، فاتجه يوشع بأتباعه إلى الشمال شرقي نهر الأردن، وأخذ يعد العدة لعبور الأردن ونزل بفلسطين، فلما عبر بنو إسرائيل كانت أول المدن التي استولوا عليها مدينة أريحا فاقتحموها وقتلوا كل ما بها من إنسان أو حيوان وأحرقوا المدينة كلها[٢].

كانت التوراة "التي كتبها اليهود" قد اساءت الى يوشع بن نون بان وصفته بابشع الصفات وأنه قد صار قائداً جزاراً.

وكان وصفه في التوراة أبشع جزار في عمر البشرية إذ اقتحم فلسطين وبدأ مجازره بمدينة أريحا. وأحرقوا بالنار مع كل ما بها[٣]. وكان ذلك أول العهد ببني إسرائيل في فلسطين، وامتد سلطان يوشع عقب ذلك ويذكر المؤرخون أن الذين عاصروا موسى من بني إسرائيل قد هلكوا جميعاً في الصحراء، ولم يدخل منهم

---

(١) انظر العرب واليهود في التاريخ، ص٢٤٨. وانظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٦٧-٦٩.
(٢) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٧٠.
(٣) انظر تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٢٥.

فلسطين إلا اثنان كان يوشع[1] واحداً منهما، أما باقي الجيش الذي اقتحم فلسطين فكان من الأبناء الذين ولدوا في فترة التيه[2].

**بنو اسرائيل والحضارة الكنعانية :**

وعندما استقرت جماعة موسى (بني إسرائيل) في فلسطين أخذت بالحضارة الكنعانية وتقاليدها وعاداتها، كما أخذت بلغتها الكنعانية. ثم أخذوا يمارسون الزراعة والأعمال الأخرى المتصلة بالحياة المستقرة عن الكنعانيين. وقد تأثروا بالديانة الكنعانية وقلدوا الكنعانيين في طقوسهم وشعائرهم الدينية وخاصة فيما يتعلق بالخصب والغلة والتذرع إلى الآلهة الكنعانية. وفي مقدمتهم الإله (بعل) الذي كان أشهر الآلهة في بلاد العرب إذ كان اليهود يقلدون الكنعانيين بتسمية أبنائهم (بعل) تبركاً به. وكذلك أخذوا يمارسون الشعائر الخاصة بتقديم القرابين والعطايا، وهي عادة قديمة متبعة في جميع الشرق الأدنى.

ومن ذلك يتضح أنه لم يكن لبني إسرائيل أية مساهمة في تقديم الحضارة الإنسانية وأن مدوناتهم الدينية وغير الدينية مأخوذة عن الثقافات القديمة[3].

وهكذا انتهى بنو إسرائيل إلى فوضى عارمة شملت الحياة الدينية والسياسية وقد أطلق اليهود على ذلك العصر اسم عصر الاستيطان والفوضى الذي ينتهي بيوشع صاحب موسى عليه السلام[4].

وقد سمي عهد يوشع ومن بعده بعصر القضاة، حيث دعي يوشع القاضي الاكبر[5]، لأن الزعماء والقواد الذين تزعموا أو قادوا بني إسرائيل بعد يوشع سموا قضاة. وسفر القضاة يأتي بعد سفر يوشع مباشرة، وهو واحد وعشرون فصلاً، ويجعل حقبة القضاة نحو (٣٥٠) سنة[6].

---

(١) كانت وفاة يوشع سنة ١١٣٠ ق.م، انظر الموسوعة الميسرة، ص٥٦٦.
(٢) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٧٠.
(٣) انظر تاريخ الديانتين (اليهودية والمسيحية)، ص٢٥، ٢٦.
(٤) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٧٠.
(٥) يرى كثير من المؤرخين أن عصر القضاة يبدأ بيوشع بن نون حيث كان يسمى القاضي الأكبر.
(٦) انظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص١٢٢.

ويرى الدكتور أحمد سوسة أنه بعد موت يوشع أصبحوا مهددين بالفناء، وقد اضطروا أن يخلوا بعض المدن التي استولوا عليها، فضاق بهم الأمر جداً حتى أقام لهم الرب قضاة ليخلصوهم من يد أعدائهم. ولذلك سمي هذا العهد بعصر القضاة الذي استمر حسب تقدير المؤرخين حوالي قرن كامل بين سنة ١١٢٥-١٠٢٥ ق.م.

وكان عهد القضاة عهداً مضطرباً تخللته عدة نكسات كانت تهدد الموسوبين في فلسطين بالفناء، إذ تعترف التوراة أن الكنعانيين والفلسطينيين أصبحوا من القوة بحيث تمكنوا من إخضاع الإسرائيليين (الموسويين) تحت حكمهم في فترات متواصلة قبيل وخلال عهد القضاة[١].

## حكام بني اسرائيل في عهد القضاة :

وكان حكام بني إسرائيل في هذه الفترة قضاة من الكهنة ينتخبهم كبراء الشعب، وكان بعض القضاء نساء أحياناً، ويتكلم سفر القضاة عن قاضية في بني إسرائيل اسمها دبورة. ولم يكن في بني إسرائيل ملوك في تلك الأيام، ولا كانت إطاعة القضاة واجبة، وقد تسبب عن ذلك بالإضافة إلى تقسيم الأرض المفتوحة بين الأسباط أنه لم تتألف من بني إسرائيل أمة واحدة متماسكة، بل ظلوا زمناً طويلاً يؤلفون اثني عشر سبطاً يستقل كل منها عن الأسباط الأخرى استقلالاً واسعاً أو ضيقاً. وكان نظام الحكم عندهم لا يقوم على أساس الدولة، بل على أساس الحكم الأبوي في الأسرة فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شؤون القبيلة، وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى، فإذا فشل التقاضي أمام هؤلاء لجأ المتقاضون إلى القاضي الذي كان يمثل الرئيس في الجماعات اليهودية وقد استمر عهد القضاة حوالي أربعة قرون بناء على حساب سفر القضاة[٢].

---

(١) انظر العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٣.
(٢) انظر مقارنة الأديان (اليهودية)، ص٧٢.

ولكن المحقق محمد عزة دروزة يقرر أن عهدهم لا يزيد عن قرن واحد، فإن موسى خرج ببني إسرائيل حوالي ١٢١٠ ق.م وتزعمهم هو ويوشع حوالي ثمانين عاماً أي حتى سنة ١١٣٠ ق.م وهي السنة التي مات بها يوشع وبدأ بذلك عهد القضاة الذي استمر حتى سنة ١٠٢٠ ق.م[١].

إن عهد القضاة شغل بوجه التقريب الربع الأخير من القرن الثاني عشر ق.م وهؤلاء القضاة كانوا رؤساء قبليين برزوا أزمان الشدائد لقيادة شعبهم في الحرب مع الأقوام المجاورة منهم شمشون الجبار، على عهد صموئيل آخر القضاة انتهت الردة الدينية والزندقة فأعيدت عبادة يهوه، وفي هذا العهد وقعت بين بني إسرائيل والأقوام الفلسطينيين حروب طويلة انتهت سنة ١٠٥٠ ق.م بهزيمة بني إسرائيل وتشتت قواهم وتمكن الفلسطينيون من أسر تابوت عهد الرب[٢].

وفي هذا العهد وضع الأساس للحياة اليهودية، وقد اشترك في وضع هذا الأساس العناصر الداخلية والخارجية اليهودية، والتأثيرات التي حملها اليهود معهم أو انفعلوا بها حين نزلوا بفلسطين، وعلى هذا بدأت حياتهم تتغير خلال عهد لقضاة، فانتقلوا من حياة البدو إلى حياة الاستقرار، وكان الكنعانيون أساتذة لهم في الاستقرار وبناء القرى والزراعة والصناعة، فأخذوا عن الكنعانيين تطوير الأسلحة، وصنع آلات الزراعة. وبالإضافة إلى هذا التأثير في مطالب الحياة اليومية، فإن الإسرائيليين تأثروا بالكنعانيين في عباداتهم تأثراً كبيراً[٣].

---

(١) انظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص١٤٨، بتصرف.

(٢) انظر تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٢٦.
تابوت عهد الرب: هو صندوق خشبي طوله ذراعان ونصف ذراع وعرضه ذراع ونصف ذراع وكذلك ارتفاعه.وتغطيه من الداخل والخرج صفائح ذهبية، وبه أربع حلقات من الذهب في قوائمه الأربع وبه عصاتين من الخشب المغشى بالذهب تدخل في الحلقات الجانبية ليحمل التابوت بهما، وتوضع في التابوت الوصايا العشر. انظر تاريخ الديانتين، ص٢٦.

(٣) انظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٧٢، ٧٣، بتصرف.

## ٤- عصر الملوك

كان لابد للاسرائيليين من اللحاق بالحضارات التي كانت حولهم. وكان لابد لشكل الحكم الذي ارسوه ان يأخذ مجرى آخر شبيهاً بما كان معهوداً عند غيرهم آنذاك.

انهار عهد القضاة أمام مطالب الحياة الملحة، فقد كان خطر سيطرة الفلسطينيين على اليهود عاملاً هاماً في محاولة جمع الأسباط كلهم في وحدة شاملة بعدما نالهم من إخفاق في عهد القضاة وبعدما شاع من فسق القضاة وأخذهم الرشوة كان آخر القضاة صموئيل فاختار لهم شاؤول ليكون أول ملك عليهم(١).

إن ذلك كان في حدود سنة ١٠٢٠ ق.م. وكان شاؤول قد عرف في قومه بالقوة والبطولة، فكان أطول من كل الشعب وتذكر التوراة أن شاؤول لم يكن كفؤاً لتحمل أعباء الحكم فأخفق في إنقاذ قومه من نفوذ الفلسطينيين(٢).

**شاؤول الملك الأول :**

وشاؤول هو الذي يسميه القرآن (طالوت) وهو الذي قادهم في معارك ضارية ضد من حولهم، وكان داود واحداً من جنوده وفي إحدى المعارك تغلب داود على جالوت قائد الفلسطينيين ومن هنا ظهر داود كقائد له أهميته، ومنذ ذلك الحين أخذ يزاحمه على الملك، ومن ثم أخذ يطارده مطاردة شديدة، ولجأ داود إلى الفلسطينيين مرتين هارباً من شاؤول، وانتهز الفلسطينيون فرصة هذا الخلاف فهاجموا بني إسرائيل وأوقعوا بهم الهزائم العظيمة وسقط شاؤول في إحدى هذه المعارك(٣).

---

(١) انظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٧٣.
(٢) انظر تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص ٢٦-٢٧.
(٣) انظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٧٤.

وكان حكم شاؤول قد استمر ١٥ سنة بين (١٠٢٥-١٠١٠ ق.م)[1]. ثم تقلد الحكم الملك داود خلفاً لشاؤول الذي وحد البلاد وأصبح الملك الثاني لبني إسـرائيل بعد (شاؤول) وقد بقي الملك في بلاده وراثياً، واتخذ من أورشليم (القدس) عاصمة ملكه مشيداً الهيكل[*] المقدس ناقلاً إليه التابوت. وقد دام حكمه أربعين سنة[2].

**داود عليه السلام الملك الثاني :**

وقد تقلد الملك داود الحكم خلفاً لشاؤول فاستطاع هذا الملك أن يخضع أكثر المدن الفلسطينية كما تمكن من إخضاع دويلات أدوم، وموآن وعمون، واسـتولى على مملكة صوبا الآرامية، وقد اتخذ داود أورشليم بعد استيلائه عليها معبداً للإلـه يهوه، وقد استمر حكم داود زهاء ٤٠ سنة بين ١٠١٠ وسنة ٩٧١ ق.م

**سليمان عليه السلام الملك الثالث:**

ثم انتقل الحكم إلى سليمان بن داود الذي اشتهر ببناء الهيكل في أورشليم[3]، وذلك ليستقر فيه تابوت عهد الرب الرمز المقدس لبني إسرائيل الأقدمين، وكان قبل بناء الهيكل يوضع في خيمة كبيرة وينقل من مكان مرتفع إلى آخر، وكانت القرابين تقدم عادة للرب في عدد من الأماكن المرتفعة المختلفة، وأصبحت القرابين منذ هذا العهد تقدم على مذبح الهيكل[4].

| كان عصر سليمان عليه السلام – كما تمثله التوراة – يمثل بداية لعصر الانقسام والميل إلى القبيلة، حيث قد قام بتوزيع المملكة على قبائل بني اسرائيل. |
|---|

(١) انظر العرب واليهود في التاريخ، ص٢٩٦.

(*) الهيكل: هو البناء الذي أمر به داود وأقامه سليمان، فقد بنى بداخله المحراب، وهيا بداخله مكاناً يوضع فيه تابوت عهد الرب. انظر الموسوعة الميسرة، ص٥٧١. (ولم يرد له ذكر في القرآن الكريم).

(٢) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان، ص٥٦٦.

(٣) انظر اليهود في التاريخ، ص٢٩٦. (علماً بأن الكثير من الباحثين يشكك في مكـان الهيكـل إذ لا يعقل أن يبني المسلمون مساجدهم على معابد أهل الكتاب).

(٤) انظر تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٧٢.

وقسم سليمان بلاده إلى اثني عشر قسماً إدارياً وتعمد أن تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الأسباط الاثني عشر وكان يرجو من وراء هذا أن يضعف النزعة الانفصالية بينهم، وأن يؤلف منهم شعباً واحداً ولكنه أفلس في هذا وأفلست بلاد اليهود معه[1].

**٥- عصر الانقسام**

| لم يرض الاسرائيليون ان يكونوا موحدين في دولة تمثلهم فمالوا الى الاعتزاز بالقبيلة، فانقسموا وصاروا دولتين مشتتين. |
|---|

بعد وفاة سليمان حوالي سنة ٩٣٥ ق.م أعلن رحبعام نفسه ملكاً على دولة اليهود وبايعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم على ذلك إلا أنه لم يحظ بمبايعة الأسباط فمال عنه بنو إسرائيل إلى أخيه يربعام ليكون ملكاً مما أدى إلى انقسام المملكة إلى قمسين:

جنوبية واسمها يهوذا، وعاصمتها أورشليم (وقوامها سبطا يهوذا وبنيامين).

شمالية واسمها إسرائيل، وعاصمتها شكيم (وقوامها الأسباط الباقية).

وتعرضت هاتان الدولتان إلى الضغط من جهة الشمال للقضاء على القوة اليهودية الداخلية في المنطقة من جهة وللمنافسة بين العراق ومصر من جهة أخرى[2].

وتولى الحكم في الأولى رحبعام بن سليمان، كما تولى الحكم في الثانية يربعام بن نباط، وكانت الحرب سجالاً بين المملكتين منذ البداية واستمرت طيلة وجودهما مما أضعف كلتيهما[3].

---

(١) انظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٨٠.
(٢) انظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٨١، ٨٢.
(٣) انظر العرب واليهود في التاريخ، ص٣٠٢.

ومع أن دولة إسرائيل كانت تمثل أكثرية الأسباط، وكانت أوسع مساحة ورقعة وأكثر قابلية مادية من دولة يهوذا. إلا أنها كانت في معظم حياتها مضطربة كثيرة الانقلابات بعكس دولة يهوذا التي كانت أكثر استقراراً وهدوءاً وأطول عمراً، ومن أجل هذا تقلب على عرش مملكة إسرائيل ملوك من أسر متعددة وتغيرت عاصمتها مع الانقلابات أكثر من مرة، أما دولة يهوذا فقط ظل الملك بها في سلسلة متصلة بدون انقطاع في ذرية سليمان وظلت عاصمتها أورشليم، وتساوى عدد الملوك هنا وعددهم ١٩ ملكاً، خلافاً لسلسلة ملوك يهوذا التي كانت من أسر وأسباط مختلفة[١].

وفي سنة ٧٢١ ق.م وقع اليهود الإسرائيليون تحت قبضة الأشوريين في عهد الملك سرجون الثاني ملك آشور، فمحت يد الآسر الأشوري مملكة إسرائيل من الوجود وزال شعبها من التاريخ زوالاً تاماً وسبي سكانها اليهود إلى أماكن بعيدة. وحل سكان من غير اليهود محلهم، وظلت مملكة يهوذا تكافح حتى سقطت تحت قبضة البابليين سنة ٥٨٦ ق.م[٢].

**٦- عصر التشتت والتشرد**

وفي سنة ٦٠٨ ق.م زحف فرعون مصر على مملكة يهوذا، فاحتلها واستمر في زحفه فاحتل مملكة إسرائيل، التي كانت قد سقطت تحت سلطة الأشوريين، وقد ثار لذلك ملك بابل (نبوخذ نصر) (بختنصر) الذي آل له السلطان على آشور، وزحف على فلسطين فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل، ثم احتل مملكة يهوذا ونهب أورشليم ودمرها ودمر معبد سليمان وسبى أكثر السكان إلى بابل، وفر بعضهم إلى مصر وغيرها من الأقطار. وأقام بختنصر على فلسطين

---

(١) انظر تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص٧٧. وانظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٨٣.
(٢) انظر العرب واليهود في التاريخ، ص٣٠٥. والموسوعة الميسرة، ص٥٦٦، ومقارنة الأديان (اليهودية)، ص٨٣.

والياً من قبله، وانتهى بذلك ملك اليهود بفلسطين ويعرف هذا بالأسر البابلي وهـذا هو التدمير الأول للمدينة والمعبد[1].

لا عجب ان يتشتت اليهود في اقطار العالم.. فاعمالهم سابقاً قد جعلـتهم يتشتتون ايضاً فقد قال عنهم الباري عز وجل في تحريم أرض فلسطين عليهم "فإنها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الأرض".

المائدة / ٢٦

**قورش وعودة اليهود إلى فلسطين :**

وفي سنة ٥٣٨ ق.م احتل قورش[2] ملك الفرس بلاد بابل ومن ثم أصبح له السلطان على أرض فلسطين، وأطلق الفرس على بني إسرائيل اسم اليهود، وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية ومن ذلك التاريخ أصبحت كلمة (اليهود) تعني من اعتنق اليهودية، ولو لم يكن من بني إسرائيل، وهذا هو الفرق بين اليهودي والإسـرائيلي وسمح قورش لليهود بالهجرة إلى فلسطين، واستئناف عهد الحرية بها فـي ظلـه، ولكن لم تقبل الهجرة إلى فلسطين إلا قلة قليلة. وقد أعاد هؤلاء بناء المدينة المقدسة كما بنوا بها معبداً صغيراً مكان الهيكل بتصريح من قورش، وكانت هجرة اليهـود من المنفى هجرة الجموع وليست عودة الدولة، فقد صاروا جماعة تابعـة للحكـم الفارسي وخاضعة له، وكانت المناوشات لا تنقطع بينهم وبين حكامهم الفرس ومن أجل ذلك رحبوا بالإسكندر الأكبر عندما زحف على فلسطين سنة ٣٢٠ ق.م وقد آل حكم فلسطين إلى البطالسة بعد الإسكندر[3].

---

(١) انظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٨٤.

(٢) ونعتوا قورش الذي سمح لهم بالهجرة إلى فلسطين بالمخلص الإلهي أو المسيح المنتظـر تقـول التوراة، (سفر أشعيا) هكذا يقول الرب لمسيحية قورش الذي أمسكت بيمينه لأدوس أمامه. انظـر تاريخ الديانتين، ص٣٠.

(٣) قائد الثورة المكابية.

وقد تسامح الإسكندر معهم في موافقتهم وترك لهم حرية التعبير عن معتقداتهم الدينية وإنمائها وتطويرها كما يشاؤون، وتمتع اليهود بتسامح مماثل في عهد البطالسة الذين خلفوا الإسكندر في حكم الممالك التي فتحها إلا أن يهود مصر الخاضعين للبطالة تأثروا تلقائياً بالفلسفة، وأخذت يهود على نفسها التبشير بالثقافة الإغريقية، وترجمت التوراة إلى اليونانية إلا أن أثر الثقافة اليونانية بلغ أوجها عند بعض اليهود فترك بعضهم الالتزام بأحكام التوراة، وبدأ العهد المقدس ينتشر من جديد بين اليهود وعملت فئة من اليهود المرتدين بفرض ثقافتهم على اليهود المحافظين المتشددين وفرض عقوبة الموت على من يلتزم بأحكام التوراة، وأحرقت الكتب المقدسة وحول المعبد والهيكل إلى معبد وثني للإله زوس رأس الآلهة الإغريقية، وعلى كل حال فإن هذه الفترة شهدت حملات اضطهاد وقسوة قلما شهد اليهود نظيراً لها في التاريخ، وكان رد الفعل على ذلك أن قامت ثورة فكرية وسياسية عرفت باسم زعيمها (ميتاس)[1] اشتركت فيها الجماعات اليهودية رغبة في الحفاظ على التقاليد الموروثة والقضاء على البدع والوثنية، وانتهت هذه الثورة من غير مقاومة[2].

## ظهور المسيح عليه السلام :

> وصارت القدس العاصمة الدينية للمسيحية وصار التهود بدعة دينية وجريمة سياسية يستحق صاحبها العنت والاضطهاد وبظهور الاسلام عاد لليهود أمنهم وحريتهم.

وبظهور السيد المسيح انقسم اليهود على أنفسهم إلى جماعتين: الأولى يهودية مسيحية أيدت المسيح وناصرت دعوته وأخرى عارضته وبقيت على شريعة

(١) انظر مقارنة الأديان اليهودية، ص٨٦، ٨٧، بتصرف.
(٢) انظر محاضرات في اليهودية والنصرانية، ص١٢، ١٣.

التوراة، وكانت الجماعة الأولى لا تختلف في بادئ الأمر عن بقية ليهـود إلا فـي اعتقادها بأن عيسى هو المسيح المنتظر، وفيما عدا ذلك التزمـت بتقاليـد الـدين اليهودي وأحكامه، ولما تطورت العقيدة المسيحية انتهت هذه الجماعة إلى تـشكيل دين جديد له ملامحه المميزة.

وعاش اليهود في ذلك الوقت فترة عصيبة حتى سنة ٧٠م حيث ثار اليهود على السلطات الرومانية، فقام تيتوس بتدمير أورشليم وحرق الهيكل وبنـى معبـداً للإله (جوبيتر) محله، وانتقاماً لذلك قامت السلطات الرومانية بقتل الكثير من اليهود في مذبحة عمة تفرقوا إثرها في الأقطار المختلفة وبدأت فترة الـضياع الحقيقيـة لليهود، والتجأ من نجا منهم إلى شمالي جزيرة العرب حيث سكنوا الواحات الغربية في فدك وتيماء وغيرها.

ثم لما صارت المسيحية الديانة الرسـمية للدولـة الرومانيـة فـي عهـد الإمبراطور قسطنطين سنة ٣١٣م، وصارت القدس العاصمة الدينية للمسيحية صار التهود بدعة دينية وجريمة سياسية يستحق صاحبها العنت والاضـطهاد، وبلغـت الحياة العامة لليهود حداً لا يطاق، وعلى مدى القرون الوسطى أظهر المـسيحيون عداء مفعماً بكل صور الاضطهاد لليهود حتى أجبروا على الحياة في أوروبا فـي مناطق مخصوصة عرفت بالجيتو (أي المناطق الفقيرة)(١).

وفي العراق أيضاً حل باليهود على أيدي الفرس الـساسانيين الاضـطهاد والقسوة، وذلك خلال عهد الملك الفارسي يزدجرد الثاني سنة ٤٣٨م الذي أصـدر أوامره بإنزال العقوبات بيهود بابل.

## اليهود وظهور الإسلام :

وبظهور الإسلام عاد لليهود أمنهم وحريتهم وأخذ اليهـود يقبلـون علـى فلسطين بعد أن حرموا منها قرون طويلة، واستمر حال اليهودية في النمو والتطور

---

(١) انظر تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٣٢.

بفضل سماحة الإسلام والمسلمين وهكذا ارتفع شأن اليهودية وعلا حيث ساد حكم الإسلام، وقد بلغ التسامح أوج صوره في مصر وفلسطين حيث كان الحكام البيزنطيون قبل الإسلام ينظمون الشؤون الدينية لليهود ويتدخلون حتى في شؤونهم الدينية البحتة.

وفي الأندلس الإسلامية انتقل الحال باليهود من قتل وتشريد وظلم وحرمان إلى رجاء وطمأنينة لم ير اليهود مثلها قط، وبلغت الثقافة اليهودية في ظل العرب المسلمين هناك درجة من النضج والتألق لم تعرفه من قبل.

وفي العصور الحديثة قامت في أوروبا حركة فكرية بين اليهود واستطاعت بما لها من قوة ونفوذ أن تحمل رجال الثورة الفرنسية سنة ١٧٩١م، على الاعتراف لليهود بحق المواطنة الكاملة اجتماعياً وسياسياً وعقائدياً ومنح نابليون نفس الحقوق والامتيازات ليهود إيطاليا وغرب ألمانيا.

وهكذا ظلت اليهودية في مهب الريح تتقاذفها الأمواج العاتية عبر التاريخ فظلت صريعة حركة فكرية قامت فيها شقتها إلى فئتين متخاصمتين محافظة بزعامة سمسون روفائيل، ومتحررة بزعامة تلامذة مندلسون[١].

وجاءت أخيراً في سنة ١٨٩٧م لحركة الصهيونية الجديدة لليهود وبمعاونة الاستعمار العالمي لبناء دولة إسرائيل على أرض فلسطين بحجة حقوق اليهود التاريخية في فلسطين ونجحت في تحقيق حلمها الخبيث.

ومنذ نهاية القرن الميلادي التاسع عشر ما يزالون يجمعون أشتاتهم في أرض فلسطين تحرضهم وتشجعهم على ذلك الصهيونية والاستعمار[٢].

---

(١) انظر محاضرات في اليهودية والنصرانية، ص١٥، ١٦.
(٢) انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص٥٦٧، ٥٧٤.

الصهيونية: مشتقة من لفظة (صهيون) اسم رابية في أورشليم، وقد أطلقت تسمية الصهيونية على منظمة دولية إرهابية أسسها يهود روسيا البارزين، وسمي أعضاؤها (عشاق صهيون وأحباء صهيون) وقامت هذه المنظمة الصهيونية بالاهتمام بفلسطين وتسعى لاستعمارها لتنظيم حركة يهودية سياسية بتأسيس وطن قومي لليهود في فلسطين. وكان أول مؤتمر دولي للصهاينة قد عقد في مدينة بازل السويسرية سنة ١٨٩٧م، تمخض عنه تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية وحدد هذا المؤتمر أهداف المنظمة. انظر العرب واليهود في التاريخ، ص٣٤٨.

**الكتب المقدسة عند اليهود**

عندما منع الفرس اليهود من تأسيس دولة لهم بعد هجرتهم من العراق، انشغلوا بجمع التوراة.

**أولاً : العهد القديم**(١)

وهو مجموعة الأسفار التي جمعها رجال السنهدرين الذي تأسس عقب رحلة أحفاد المرحلين سبباً الى بابل، الذين رغبوا في الهجرة الى أورشليم بعد سقوط بابل على يد كورش الملك الفارسي سنة ٥٣٨ ق. م وكان السنهدرين مؤلفاً من مائة وعشرين عضواً بينهم عزرا ونحميا وزورو بابل (حفيد يهوياكيم) آخر ملوك يهوذا، ودانيال وحجاي وزكريا وملاكي ومردوخاي وقد كان اليهود يأملون أن يسمح لهم كورش الفارسي أن يعيدوا بناء دولة يهوذا، إلا أنه منعهم عن ذلك فانشغلوا بجمع التوراة وبناء الهيكل المقدس(٢).

(١) إن أول من أطلق لفظ العهد القديم هو بولص الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (إصحاح ٣/١٤). انظر التوراة الهيروغليفية د. فؤاد حسنين، القاهرة، "بدون تاريخ".

(٢) تاريخ الآلهة، الكتاب الثالث، خ/٩٥، مفصل الغرب واليهود في التاريخ، ص٤٠٨، وما بعدها.

وقد جمع هذا الكتاب في عهد عزرا الكاتب الهاروني ومجموع أسفاره تسعة وثلاثون سفراً يطلق عليه لفظ العهد القديم تمييزاً له عن العهد الجديد انجيل المسيحيين، وقد يحسب كل سفر مزدوج مثل صموئيل الأول والثاني والملوك الأول والثاني والأحابر الأول والثاني سفرا واحدا وعزرا ونحميا واسفار الملوك الإثنى عشر سفرا واحدا، فيكون مجموعها أربع وعشرين سفراً ومجموع إصحاحاتهما ٩٢٩ إصحاحاً.

أ – التوراة

| التوراة اسم عبراني بمعنى الشريعة . |
|---|

وهي القسم الأول من العهد القديم وتعرف في العبرانية بـــ (تورا)، وقد ناقش المؤرخون العرب اصل معناها، فقال بعضهم بأنها "علم اخترع ووسع ليدل على الوحي الذي نزل على موسى عليه السلام، هذا قول الشافعي رحمه الله، ومنهم من قال أنها مشتقة من الورى اي الزند يرى وريا إذا خرجت ناره، أن التوراة ضياء ونور معتمداً على قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾[١] وهذا رأي الفراء أما القاسمي في تفسيره (٤-٧٤٩) فقد قال بأن التوراة اسم عبراني بمعنى (الشريعة)، هذا هو الصواب كما نص عليه علماء الكتابيين في مصنفاتهم.

ومصطلح (التوراة) في العبرانية يضم الأسفار الخمسة (البنتاتك) فقط ويضم معنى العهد القديم بأقسامه الثلاثة أيضاً.

أما الأسفار الخمسة الأولى أو كتب موسى فهي:

١- سفر التكوين أو الخليقة : ففيه قصة تاريخ العالم منذ تكوين السماوات والأرض وحتى استقرار أولاد يعقوب أو إسرائيل في ارض مصر، مع

(١) سورة المائدة، ٤٤.

تفصيل في قصص آدم وحواء ونوح والطوفان ونسل سام بن نوح عليه السلام، وخاصة إبراهيم وإسحاق ويعقوب ويوسف والأسباط من الذين يربط اليهود تاريخهم بهم. وفيه إشارات إلى إسماعيل عليه السلام وأمه هاجر.

٢- سفر الخروج : فيعرض تاريخ بني إسرائيل في مصر ثم خروج موسى مع قومه الى سيناء ورحلة (التيه) التي قضوها في الصحراء والتي استغرقت أربعين عاماً والتي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، وكانوا يحاولون الوصول الى كنعان إلا أنهم عصوا ربهم فحرم الله عليهم تلك الأرض[١]. وبجانب هذه القصص يشتمل سفر الخروج على طائفة من أحكام الشريعة اليهودية في العبادات والمعاملات والعقوبات وإنزال الألواح الى موسى عليه السلام والتي تتضمن الوصايا العشر.

٣- سفر اللاويين : فيتناول شؤون العبادات وخاصة ما تعلق منها بالأضحية والقرابين والمحرمات من الحيوانات والطيور. واللاويون هم نسل لاوي أو (ليفي) أحد أبناء يعقوب عليه السلام. ومن نسلهم جاء موسى عليه السلام وهارون وأصبح اللاويون فيما بعد سدنة الهيكل والمشرفين على شؤون المذبح والضحية والقرابين والقوامين على الشريعة الموسوية ومن ثم نسب إليهم هذا الكتاب الذي شغل معظمه بما يشرفون عليه من العبادات والمعاملات والفرائض والحدود.

٤- سفر العدد : ومعظمه إحصائيات لقبائل بني إسرائيل وجيوشهم وأموالهم وكثير مما يمكن إحصاؤه من شؤونهم ويضم كذلك أحكاماً تتعلق بطائفة من العبادات والمعاملات وفي أخبار موسى عليه السلام وقومه في التيه وقصة العجل. وغير ذلك.

---

(١) قال تعالى (قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ)، سورة المائدة، ٢٦.

٥- سفر التثنية : ويضم أحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة وشؤون الاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات وغيرها. وسمي التثنية، لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى عليه السلام من ربه وأمر بتبليغها الى أتباعه وفيه ذكر عناية الله بشعبهم واقوال موسى عليه السلام في الحوادث والأخبار المهمة والوصايا والفرائض التي أوصى بها الله والإنذارات ونشيد موسى للشعب وبركته.

**ب- الأنبياء :**

أما القسم الثاني من العهد القديم فيتألف من واحد وعشرين سفراً منها ستة تسمى اسفار الأنبياء الأول، وتبحث أسفارهم في تاريخ أتباع موسى عليه السلام بعد وفاته إلى خراب الهيكل وأورشليم[١].

**ج- الكتب والصحف :**

أما القسم الثالث من العهد القديم فانه يعنى بالحكم والأمثال والمزامير والأخبار التاريخية الخاصة بالهيود بعد خراب الهيكل[٢] .

| التوراة كوثيقة تاريخية يتعرض اليها اكثر من شك. ففيها التحريف وفيها الزيادة والحشو والنسيان، وهي كوثيقة تاريخية مليئة بالمخازي التي لا يتصور عقلاً نزولها من الله سبحانه وتعالى . |
|---|

(١) وهذه الأسفار هي يوشع، القضاة صموئيل الأول والثاني، والملوك الأول والثاني. ويلي هذا القسم أسفار الأنبياء الآخرين وعددها خمسة عشر سفراً وهي أشعيا وأرمياء وحزقيال وهوشع ويوئيل وعاموس وعوبديا ويونس وعاموس وعوبديا وميخا وناحوم وحبقوق وصفنيا وحجي وزكريا وملاخي.

(٢) إن هذه الكتب أو الصحف سبعة كبيرة وهي: مزامير الأمثال: أيوب ودانيال وعزرا ونحميا وأخبار الأيام الأول والثاني وخمسة صغيرة هي: روث، نشيد الأنشاد، الجامعة، المراثي، استير. ويشمل هذا القسم أسفار يوشع والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال ونشيد الإنشاد، ومعظم أسفار الأنبياء وأن قسما آخر منها قد الف في الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد ويشمل هذا القسم اسفار يونس وزكريا وقسماً من سفر دانيال.

## رأي العلماء المسلمين في العهد القديم :

أما علماؤنا قديما وحديثاً، فكانت لهم آراء فيه منها:

أن التوراة كلها أو أكثرها مبدلة مغيرة هي ليست التوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وتعرض هؤلاء لتناقضها وتكذيب بعضها لبعض، وممن ذهب إلى هذا الرأي ابن حزم الأندلسي في كتابه (الفصل).

وذهبت طائلة أخرى من رجال الحديث والكلام والفقه كالبخاري (رحمه الله) في صحيحه والرازي (رحمه الله) في تفسيره إلى أن التبديل وقع في التأويل لا في التنزيل وهو كلام مردود في القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾[1].

وطائفة أخرى منهم ابن تيمية (رحمه الله) ذكر بأنه قد زيد في التوراة وغيرت ألفاظ يسيرة منها، لكن أكثرها باق على ما أنزل عليه والتبديل وقع في قليل منه. يقول القاسمي في تفسيره (٢٠٨٥/٦). شرائع هذه الكتب وأوامرها ونواحيها هي اقل اقسامها تحريفاً وأكثر التحريف في القصص والأخبار والعقائد وما ماثلها.

وذكر صاحب تفسير (المنار) (١٥٦/٣) قائلاً: التوراة في عرف القرآن هي ما أنزله الله تعالى من الوحي إلى موسى عليه السلام، ليبلغه قومه لعلهم يهتدون به. فهي كوثيقة تاريخية يتعرض إليها أكثر من شك، ففيها التحريف وفيها الزيادة والحشو والنسيان لكثير في كلام الله تعالى وهي كوثيقة دينية، مليئة بالمخازي التي لا يتصور عقلاً نزولها من الله سبحانه وتعالى واتهامات بالمجون والخلاعة والردة للأنبياء[2].

وقد استغرق جمع وتدوين محتويات العهد القديم فترة زمنية طويلة تزيد على الألف عام (١٢٠٠ ق.م الى ١٠٠ ق.م) وقد نقلت معلوماته شفاها بالتواتر

---

(١) سورة المائدة، ١٣.

(٢) تاريخ الآلهة: الكتاب الثالث، ص٤٣، وما بعدها.

حتى تمكن رجال السنهدرين من تدوينه وتنظيمه على صورته الحالية، ونسب الكتاب بعد تدوينه الى موسى والأنبياء عليهم السلام من بعده، إلا أن آراء معظم الباحثين تنتهي إلى الإنكار التام لصحة ما ورد في التوراة منسوبة إلى موسى عليه السلام وقد جرت تنقيبات آثارية بعد الاستيلاء على البحر الميت عام ١٩٦٧ انتهت بالعثور على مخطوطات عرفت بمخطوطات البحر الميت أو (مخطوطات قمران) فيها ما يشير الى صحة بعض المعلومات المنسوبة إلى موسى وإن كانت لا ترقى إلى رأي علمي قاطع.

يعتقد اليهود بأن التوراة المحرفة هي كتاب سماوي أنزله الله على موسى عليه السلام .

فإذا اعتبرنا أن أهم أسفار العهد القديم هي أسفار القسم الأول التي ينسبها اليهود الى موسى عليه السلام ويعتقدون أنها بوحي من الله وأنها تتضمن التوراة فقد ظهر للمحدثين من الباحثين من خلال ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشريعات وكذلك البيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير[1]، وأن معظم سفري التكوين والخروج قد الف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد (أي بعد موسى بنحو أربعة قرون ونصف القرن) وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد وأن سفري العدد واللاوين قد ألفت في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد أي بعد السبي البابلي (سنة ٥٨٧ ق.م) وأنها جميعها مكتوبة بأقلام اليهود وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف

(١) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٣٣٩، وما بعدها، ص٥٥٧، وما بعدها.

الأدوار فهي إذن تختلف كل الاختلاف عن التوراة التي يذكر اليهود بأنها كتاب سماوي أنزله الله على موسى عليه السلام.

**نتيجة الدراسات العلمية للتوراة الحالية :**

وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة نفسها يرجح الباحثون أن قسماً كبيراً منها مما يسمو عنها مقام النبوة، ومرد كل هذا إلى الفترة الطويلة التي استغرقت أكثر من الف عام والتي جمعت ورتبت فيها التوراة.

**ثانياً: التلمود**

| التلمود لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم وهو يتقدم في التشريع عندهم على أي كتاب آخر. |
|---|

يخطيء من يتصور ان التلمود هو "الكتاب الثاني" لليهود بعد "التوراة" وأنه يعتبر المصدر الثاني للتشريع. لان التشريعات اليهودية معظمها من التلمود. والتلمود عندهم كتاب الله الشفوي الذي نزل على موسى (عليه السلام). أي أن هناك توراة مكتوبة واخرى شفوية أي ان التلمود قد نزل مع التوراة في نفس الفترة – كما يقولون – فالتوراة هو الشريعة المكتوبة بينما التلمود هو الشريعة الشفوية لليهود، ولم يعر المؤرخون العرب القدماء أهمية كبيرة لهذه الشريعة فيما مضى، رغم أنها توضح عقيدتهم أكثر من كتابهم المقدس (التوراة)، حتى أن قسماً كبيراً من فلاسفتهم وحكمائهم يعتبر الشريعة الشفوية أكثر أهمية من التوراة نفسها، إذ لا أهمية لليهودي بدون معرفة أحكام التلمود[١]، والتلمود كلمة مشتقة من كلمة "لوميد" العبرية التي تعني "دراسة" وهي شبيهة بكلمة تلميذ "العربية" وقد تألف من بحوث أحبار اليهود وربانييهم وفقهائهم المنتمين الى فرقة الفريسيين (أشهر فرق اليهود كما سيأتي ذكر ذلك) في شؤون العقيدة والشريعة والتأريخ المقدس وما إلى ذلك

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه، ص٣٩، وما بعدها.

ثلاثة وستون سفراً ألفت في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد وأطلق عليها اسم "المشناه" بمعنى المثنى أو المكرر أي أنها تكرار وتسجيل للشريعة. ثم شرحت هذه المشناه فيما بعد وأطلق على هذه الشروح اسم الجماراه أي الشرح أو التعليق والفت هذه الشروح في فترة طويلة امتدت من القرن الثاني إلى أواخر السادس بعد الميلاد، وتألف من المتن والشرح (أي من المشنا والجمارا) ما أطلق عليه لفظ (التلمود) بمعنى التعاليم. والمشنا كلمة مشتقة من فعل شانا العبري بمعنى يثني والفعل الآرامي (تانا) بمعنى يدرس، ويعني لفظ المشناه -الشريعة المكررة- أي تكرار شريعة موسى عليه السلام وهي أول لائحة قانونية وضعها اليهود لأنفسهم بعد (المقرا) أو (العهد القديم). كما وأنها خلاصة "القانون الشفوي" الذي تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسيين، لكنهم يزعمون أنه نزل على موسى عليه السلام في طور سيناء وفي المعتقدات اليهودية أن الشريعة الشفوية لم يكن جائزاً لأحد أن يكتبها طالما كان هيكل سليمان قائماً، فلما تهدم الهيكل ولم يعد هناك مركز لليهود يجتمعون ويرجعون إليه، جاز لهم تدوين المشناه.

وتتكون المشناه من ستة مباحث تسمى سيداريم، أي أحكام، وهي كما يلي:

١- زراعيم: أي البذور والإنتاج الزراعي، ويتضمن إحدى عشرة رسالة في اللوائح الزراعية ونصيب الحاخام من الثمار والمحصول.

٢- موعيد: أي الأيام المقررة ويحتوي على اثني عشر رسالة في لوائح الأعياد والصيام والسبت والأحكام الخاصة بها.

٣- ناشيم: أي المرأة ويتضمن سبع رسائل في قوانين الزواج والطلاق والنذور وعلاقة اليهود بالوثنيين.

٤- نزيقين: أي الأضرار، وهي عشر رسائل في القوانين المدنية والجنائية ويتناول الأحكام المتعلقة بالأشياء المفقودة والبيع والمبادلة والربا والغش والاحتيال كما يعني هذا الكتاب بالحديث عن عصر المسيح ومحاكمته

وصلبه. وهذا الكتاب موضع اهتمام الذين حاولا إرجاع ما يسمى بـ "الأخلاق اليهودية" إلى تعاليم التلمود.

٥- قداشيم: أي المقدسات وهي إحدى عشرة رسالة في قوانين الصلاة والشرائع الخاصة بالطقس القرباني وخدمة الهيكل.

٦- طهاروت: أي الطهارة، وهي اثنتا عشرة رسالة في قوانين الطهارة والنجاسة والحمام والمغاطس ونجاسة المرأة. وأحكام المشناه أما عامة مجهولة المصدرة وتسمى "أحكام مقبولة" أو آراء الحاخامات (الحكماء اليهود) وهي المفضلة في حالة وقوع تعارض مع الأولى في مسألة ما[١].

أما الجماراه: فمعناها الإكمال وهي تفسير وشروحات للمشناه.

> المشناة واحدة في التلمودين الاورشليمي والبابلي. اما الجمارا فهما كتابان يمثلان عقلية بابل وعقلية اورشليم. ويعتمد البابلي لطوله الذي يبلغ خمسة اضعاف الجمارا الاورشليمية .

## شروحات اورشليم وبابل للتلمود :

وهناك شرحان للمشناه، هما جمارا أورشليم وجمارا بابل، لذلك أطلق على التلمود اسم التلمود البابلي والتلمود الأورشليمي، لأن المشناه واحدة بينما الاختلاف في الجمارا. أما شروحات التلمود الأورشليمي فقد نشأ في طبرية بين طبقة من العلماء يدعون (الأمورائيم) فكانوا يشرحون المشناه التي دونها قبلهم طبقة من المعلمين تدعى (التنائيم) والأموارئيم اي الأساتذة المحدثون درسوا المشناة والقوا عليها شروحات وافية تتناول شرائع اليهود وتقاليدهم وطقوسهم وتاريخهم وقد

---

(١) فضح التلمود، ص٢٦-٢٧. التلمود تاريخه وتعاليمه، ص١٥-١٦.

جمعت هذه التعليقات والشروح في مجموعة اصبحت تعرف بالتلمود الأورشليمي. وكان الفراغ منه في أواخر القرن الثالث الميلادي، وقد فقد قسم كبير منه.

ولما اشتد ضغط الرومان على اليهود في فلسطين، لم يعد باستطاعة الرابيين الاستمرار على الدرس والبحث بحرية وأمان فاضطر عدد كبير منهم إلى الهجرة إلى العراق حيث أنشأوا مدارس كبرى للأموارئيم أن يشرحوا المشناه شرحاً أكثر تفصيلاً وأتم موضوعاً مما اضطلع به علماء فلسطين، فصارت مجموعة الشروح العراقية تعرف بالتلمود البابلي الذي تم وضعه سنة ٤٩٠ق. م وبها انتهى دور الأمورائيم[١].

## موسى بن ميمون والتلمود

وكان موسى بن ميمون، الفيلسوف اليهودي القرطبي الأندلسي (١١٣٩-١٢٠٥م) الذي كتب مؤلفاً بعنوان (دلالة الحائرين) قد استعان فيه بالمشناه وشروحها أي بالتلمود.

وكانت أول طبعة كاملة للتلمودين الفلسطيني والعراقي بعد ظهور وسائل النسخ تلك التي طبعت خلال سني ١٥٢٠-١٥٢٤م، في البندقية وقد أحرق في إيطاليا سنة ١٥٥٣م[٢] (إذ أن المسيحيين حرموا تداوله سابقاً حيث يسيء اليهم إساءة كبرى) ويبلغ التلمود في اللغة الإنجليزية بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته ٣٦ مجلداً. وقد نقل الجزء الأول إلى العربية سنة ١٩٠٩ والعثور على نسخ كاملة من التلمود صعب للغاية نظراً لما حذفه المتأخرون من العبارات، فقد قرر المجمع الذي انعقد في بولونيا سنة ١٦٣١م، بالإجماع أن العبارات التي تهين الأغيار يجب حذفها، وأن التعاليم التي تهين المسيحيين لا يجوز نشرها[٣].

---

(١) د. أحمد سوسة، مفصل تاريخ العرب واليهود، ص٣٦٣-٣٦٤.
(٢) Jowish Encyclopedia Handbook, N. Y. Vol I. P. 218.
(٣) د. أحمد سوسة، المصدر السابق، ص٣٦٩.

وفي التلمود تأكيد على مبدأ الاستعلاء والتفوق العنصري اليهودي على بقية الشعوب وجعل الناس عبيداً لليهود باعتبارهم الشعب المختار وأن الله قد اصطفاهم من دون سواهم من شعوب الأرض. ويصور التلمود بأن اليهود خلقوا من طينة أرفع من طينة بقية الجنس البشري غير اليهودي.

وينص التلمود على أنه يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع تسلط باقي الأمم في الأرض حتى تصير السلطة لليهود وحدهم.

وجاء في التلمود كثير من العبارات التي تطعن وتشتم المسيحيين والسيد المسيح عليه السلام وأمه العذراء عليها السلام، واستباحته للدم البشري الذي يعجن بالفطير ويأكله اليهود في أعيادهم(١)؟

ويقول التلمود بالتناسخ وهو فكر تسرب من الهند إلى بابل وأخذه الحاخامات من المجتمع البابلي(٢).

والاعتراف بأحكام التلمود مسألة مختلف فيها بين بعض الطوائف والفرق اليهودية، إذ أن هناك من نادى بعدم الاعتراف بها وسنأتي إلى ذكرها في الحديث عن الفرق اليهودية.

## عقائد اليهود

ان أهم المسائل الاعتقادية التي ندرسها هي "الالهيات والنبوات والسمعيات" وهذا ما سوف نتناوله هنا:

### الألوهية عند اليهود:

| يذكر سفر التكوين ان يعقوب عليه السلام قد التقى بالخالق تعالى ذات ليلة وصارعه حتى بزوغ الشمس. وانتصر يعقوب في المبـــارزة فباركه الله وسماه اسرائيل "اي عبد الاله". |
|---|

(١) أفاض مؤلف الكنز المرصود في تفصيل ذلك، وننصح بمراجعته.

(٢) انظر د. أحمد سوسة، المصدر السابق، ص٣٦٦-٣٦٧.

إن فكرة الألوهية ظلت مضطربة في عقولهم إلى نهاية المرحلة التي تم فيها تدوين سفري التكوين والخروج (أي إلى ما بعد موسى عليه السلام بأربعة قرون). فصوروا الله في صورة مجسمة ووصفوه بكثير من الصفات التي لا تليق به كالنقص والضعف والكذب والغفلة والجهل، فمن ذلك ما يرويه سفر التكوين بأن الله حين نهى آدم وحواء عن الأكل من شجرة المعرفة، أراد أن يمنعهما من مشاركته أهم صفة من صفاته وهي المعرفة وإبقاءهما جاهلين فلما أغرى الشيطان حواء بالأكل من هذه الشجرة وأنساق معها زوجها أدركا ما كانا يجهلانه من قبل. فعرفا أنهما مكشوفا السوءتين وإنه لا يليق أن يقابلا ربهما على هذه الصورة. ولما قدم الإله نحوهما مخترقاً طرق الجنة وسمعا صوته وحركته في أثناء سيره تخفياً حتى لا يراهما عريانين وأخذا يخصفان على عورتيهما من ورق الجنة فناداهما ربهما وأخذ يستجوبهما، واستنتج من فعلتهما ومن استجوابهما أنه لا بد أن يكونا قد أكلا من شجرة المعرفة. وأن ذلك قد جعلهما يعرفان حقيقة أمرهما وأن الإنسان قد اصبح بذلك "أحد الآلهة" لتمييزه بين الحسن والقبح. وأنه قد اصبح لزاماً أن يطرد الإنسان من الجنة حتى لا تمتد يده إلى شجرة أخرى هي "شجرة الخلد" فيكفل لنفسه أرقى صفات الإله وهو البقاء[(١)]. ومن ذلك أيضاً ما يذكره سفر التكوين من أن لله تعالى أولاداً من الذكور وأن هؤلاء الذكور قد فتنهم جمال بنات الآدميين اللائي كان عددهن قد كثر في الأرض فاتخذوهن خليلات وولد لهم منهن نسل امتاز ببسطة كبيرة في الجسم وهم الجبابرة الذين سكنوا الأرض قبل الطوفان[(٢)].

---

(١) الإصحاح الثالث من سفر التكوين.

(٢) الإصحاح السادس من سفر التكوين فقرات ١-٥.

## لقاء يعقوب عليه السلام بالباري عز وجل :

ومن ذلك ما يذكره سفر التكوين عن يعقوب عليه السلام وعن لقائه بالخالق ذات ليلة ومصارعته إياه حتى بزوغ الفجر وبسبب انتصار يعقوب عليه السلام عليه باركه الله وسماه منذ ذلك اليوم (إسرائيل) لأنه كان قوياً على الله[١].

ويستدل من أقدم أسفارهم كذلك على أنهم كانوا يعتقدون بتعدد الآلهة فكانوا يرون أن ثمة إلهاً خاصاً بشعب إسرائيل يختلف عن آلهة الشعوب الأخرى[٢] وأنهم هم أولاده وأحباؤه. إلا أنه يتصف بصفات البشر فيجادل ويأمر وينهى ويتدخل في شؤون الأمة التافهة منها والهامة ويندم ويتذكر ويخاصم ويقهر ويعقد العقود والمواثيق ويشتد غضبه ويتشفى ويحقد ويفتقد ذنوب الآباء في الأبناء وفي ابناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضيه ثم يعفو ويصفح وقد يراه الناس بعيونهم ويعتريه الوهن والكسل والوسن والخمول الخ[٣].

| ان معنى الاله عند اليهود قد أخذ بالتطور جيلاً بعد جيل. وبهــذا فــان اليهودية لم تحافظ اذن على دين موسى عليه السلام والذي اوضح لهم بطبيعة الحال معنى التوحيد . |
|---|

## تطور صفات الله عند اليهود :

وقد تطورت صفات الإله على يد الأنبياء المتعاقبين، فقد جاء في كتاب النبي أشعيا (أنا الأول وأنا الآخر ولا إله غيري، أنا الرب صانع كل شيء ناشر السموات باسط الأرض لا إله سواي مصدر النور خالق الظلمة صانع السلام خالق

(١) الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين، وفي الوقت الذي يصف المسلمون به موسى عليه السلام بانه "كليم الله". فان اليهود يجعلون من الالتقاء بالله مسألة هينة. فالانبياء جميعاً يلتقون به ويحدثونه تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

(٢) د. علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص٣٥.

(٣) فاروق الدملوجي، تاريخ الإله، الكتاب الثالث، في الديانة العبرية،ن ص٨٩.

البشر أنا الرب صانع كل هذه أنا صنعت الأرض وخلقت الإنسان عليها ، يداي أنا نشرت السموات).

وتطورت معاني الألوهية على يد النبي أرمياء الذي قال على لسان الرب (إذا اختبأ إنسان في أماكن مستقرة أما أراه يقول الرب أما أملأ السماوات والأرض يقول الرب)[1]. وتطورت على يد النبي أيوب أكثر فقال (أنا الذي بيده أنفس كل حي وروح كل البشر ١٢/١١) وقال النبي حزقيال (النفس التي تخطئ هي تموت، الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل من إثم الابن بر البار عليه يكون وشر الشرير عليه يكون ١٨/١٩) وأخيراً جاء في سفر ملاخي (أليس أب واحد لكلنا، أليس الله واحد خلقنا ٢/١٠ ملاخي).

وقد تطور معنى الألوهية عند اليهود في عقليات مفكريهم وفلاسفتهم، فجاء في كتاب (دلالة الحائرين) الذي ألفه الفيلسوف موسى بن ميمون ذاكراً أركان الدين اليهودي والتي هي:

١- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه: موجود وخالق ومدبر كافة المخلوقات وهو وحده صنع ويصنع كل الأعمال.
٢- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه، وحيد ليس لوحدانيته مثيل على أي وجه كان.
٣- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه، ليس جسداً، وهو منزه عن أعراض الجسد وليس له شكل مطلقاً.
٤- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن به وحدة تليق الصلاة والعبادة ولا تليق بغيره.
٥- أنا أؤمن إيماناً تاماً أن الخالق تبارك اسمه، هو الأول والآخر.

---

(١) المصدر السابق، ص٩١-٩٢.

**النبوة عند اليهود :**

**ما معنى النبي عند اليهود ؟**

**كيف كان اليهود ينظرون إلى الانبياء ؟**

**ما هو موقع الانبياء في المجتمع اليهودي ؟**

كان عدد الانبياء عند اليهود غزيراً حتى ان تلك الكثرة قد اضاعت المعنى الحقيقي للنبوة عندهم .

يتبين من التوراة أن أكثر الرسل قد اختيروا من بني إسرائيل، وبنوا إسرائيل أمة صغيرة ضعيفة لم تكن لها منزلة كبرى بين الأمم.. وكان عدد أنبياء اليهود كبيراً، وكان معظمهم رجالاً مصلحين أو نساء يلقين على أنفسهن صفة النبوة وذلك كوسيلة من الوسائل التي يلجأ إليها السياسيون لتخليص الدولة والشعب من الفوضى والتبلبل والتردي والانحلال السياسي والأخلاقي وقد زاد عدد الأنبياء عند انقسام الموسويين إلى دولتين يهوذا وإسرائيل فكان وجودهم قد ساعد في تثبيت الأمل وتقوية روح المقاومة ورفع النزاع بين الدولتين ورفع شأن أمتهم الضعيفة المتخاذلة[1] أمام الدولة الكبرى في بابل وصيدا ومصر.

**البعث والقيامة عند اليهود:**

**هل جاء ذكر القيامة واضحاً في التوراة؟**

**هل كان اليهود يخافون اليوم الآخر؟**

**كيف تطور معنى الآخرة عندهم ؟**

(١) فاروق الدملوجي، المصدر السابق، ص١٤٧.

أن فكرة البعث والقيامة عند اليهود فكرة ساذجة ولا يتمكن الانسان من الوصول الى فهمها عن اي طريق .

لم تذكر التوراة نصاً يدل على فكرة البعث والنشور في حياة أخرى أو لدار العقاب ودار الثواب في العالم الآخر، فالثواب والعقاب زمني في الدار الدنيا جاءت بعض نصوص في التوراة تدل على ذلك منها مثلاً:

أ – "وفي الظلام يذهب واسمه يغطي بالظلام"[١].

ب– "أليس إلى موضع واحد يذهب الجميع"[٢].

استخدمت التوراة لفظ (سلاه) بمعنى (الهاوية) فجاء فيها "الذي ينزل إلى الهاوية لا يصعد" (أي: ٩/٧) وجاء فيها (سلاه أبعدت عني معارفي جعلتني رجساً لهم، أغلق علي فما أخرج (مز ٨:٨٨).

وظهرت جماعة من اليهود كانت تنكر البعث والنشور والقيامة وهم الصدوقيون إلا أن فكرة العقاب عند اليهود وخاصة الفريسيين نشأت في وقت لاحق فقال بعضهم بوجود سبع دور متناوبة الدرجات ورأي بعضهم إن للعقاب دارين داراً عليا وأخرى سفلى واحدة لعقاب الجسد في هذه الحياة وأخرى لعقاب النفس في الآخرة، ولهذه سبع درجات متفاتة حسب تفاوت الذنوب، ومنهم من قال أن الناس يقسمون بعد الموت ثلاث فرق، فرقة صالحة حسناتها تربو على سيئاتها تتمتع بالسعادة الأبدية حالاً وفرقة طالحة تزيد سيائتها على حسناتها تعذب عذاباً أبدياً، وفرقة ثالثة بين بين، تعذب في جهنم مدة حتى تطهر من ذنوبها فتصعد إلى السماء[٣].

---

(١) جا (٤/٦).
(٢) جا (٦/٦).
(٣) د. أحمد سوسة، المصدر السابق، ص٤٢٥.

لقد تجنى اليهود على التوراة ونسبوا اليها الكثير من الافكار التي لا يمكن لكتاب سماوي ان يبشر بها .

**الشعب المختار وأرض الميعاد:**

ويضاف هذا الاعتقاد إلى مجموعة عقائدهم الرئيسية في الالوهية والنبوات واليوم الآخر "السمعيات". فاليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار الذي اصطفاه الخالق لنفسه وفضله على العالمين جميعاً، ولئن غضب الله عليه مدى من الزمن، فإنه لا ينساه[١] وجاءت أسطورة الشعب المختار من نصوص التوراة التي تحدثت عن العهد الذي قطعه الله مع إبراهيم عليه السلام والذي كان يتضمن الاعتقاد بإله واحد قدير اختار بني إسرائيل من بين الأمم لحمل رسالته ووعده أرض كنعان لنسله تقول التوراة "وقال له أنا الرب الذي أخرجك من أور الكلدانيين لعيطيك هذه الأرض وترثها"[٢] وقال له "أنا الله القدير، سر أمامي وكن كاملاً فاجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً "[٣].

والبشر بعقيدة اليهود بهائم (اليهود بشر، لهم إنسانية، أما الشعوب والأمم الأخرى، فهي عبارة عن حيوانات)[٤].
(إن المرأة اليهودية التي تخرج من الحمام، عليها أن تستحم ثانية إذا وقع نظرها الأول على نجس كالكلب والحمار والمجنون وغير اليهودي والجمل والخنزير والحصان والأبرص)[٥] وانظر إلى هذه النصوص: (إذا جرؤ غير اليهودي على أن يضرب اليهودي فإنه يستحق الموت)[٦].

---

(١) فاروق الدملوجي، تاريخ الآلهة اليهودية، ص١٦٩.
(٢) تكوين ١٥-٨.
(٣) تكوين ١٧/٨. انظر بين التوراة والقرآن خلاف، ص١٩-٢٠.
(٤) كتاب (اليهود، ص١٦٧، نقلاً عن كتابي التلمود والكابالا المقدسين لدى اليهود).
(٥) فضح التلمود، ١٧٢، (عن نص التلمود).
(٦) كتاب اليهود، ص١٣٨.

والتوراة كتابهم المقدس يعلن مقاطعة الضيف وعدم الكلام معه إن كان غير يهودي (إذ أنزل عند غريب في أرضكم فلا تكلموه). (لاويين ١٩/٣٢). (يجوز لكم- اليهود) أن تتظاهروا بصفاء النية وحسن الجوار، ويجوز لكم أيضاً أن تدينوا بدينهم في الظاهر حتى يستنيموا إليكم فإذا تثقلوا في النوم تجعلون المباتر في أيديهم وتقومون إليهم، وتضربون الأوتاد في أصداغهم حتى تنفذ إلى الأرض ) "قضاة ٤/١٨-٢١" وهدم معابدهم (فيعتبر عملاً طيباً إذا أحرق كل يهودي معبداً للأغيار أو دمره أو أزال اي شيء يخص هذه المعابد، ثم يذري في الجهات الأربع أو في الماء ما أحرق...). واستباحة أعراض (الأغيار، الكوييم) فيعلق التلمود على نص التوراة:

لا تشته امرأة قريبك، ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبة يستحق الموت) بما نصه (لم يحرم على اليهودي ارتكاب الفحشاء إلا مع امرأة قريبة اليهودي فقط. أما نساء الأجانب فمباحة له[1]. وتوراتهم تبيح لهم التآمر على سيادة الدول وثرواتهم (أما أنتم فتدعون كهنة الرب، تسمون خدام الهنا، تأكلون ثروة الأمم وعلى مجدهم تتآمرون)[2]. بل إن قتل الأغيار عقيدة مقدسة[3] (من يسفك دم الكفار بيده يقدم قرباناً مرضياً لله[4] بل إن الذبائح البشرية لتعجن دماؤهم بخبز الفطير ليأكله اليهود في (عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية) و (مراسيم ختان أطفالهم) وكذا في عيد (البوريم) وعيد (الفصح).

---

(١) اليهودية ، ص١٦٩، عن نصوص التلمود، زوهار، ٦٤/١١ ب.
(٢) التوراة، أشعيا ٦١/٤-٧.
(٣) اليهود، ص١٧٠.
(٤) المصدر السابق.

**المسيح المنتظر:**

**هل المسيح بن مريم هو المسيح المنتظر ؟**

**هل ظهر مسيح اليهود الى الآن؟**

رسم اليهود صورة للمسيح المنتظر تفوق الخيال .

يؤخذ من مجمل تفسيرات التلمود التي تعود لنصوص التوراة أن المسيح المنتظر هو إما من نسل داود وإما من نسل يوسف عليه السلام ويعتبر اليهود أن مجيئه تحديداً للعالم، فلا بد أن يسبق مجيئه عودة للفوضى وسيعم السلام ويختفي البكاء والأنين من العالم عند مجيئه ويرى البعض أن فكرة المسيح المنتظر برزت في الفكر اليهودي في وقت متأخر ولم تظهر إلا بعد سقوط دولة يهوذا وترحيل اليهود إلى بابل[١]. جاء في التوارة "يولد لنا ولد ونعطى ابناً وتكون الرياسة على كتفه ويدعى اسمه عجيباً ويكون إلهاً قديراً وأباً أبدياً رئيس السلام، لنمو رياسته يجلس على كرسي داود وعلى مملكته ليثبتها ويعضدها بالحق والبر من الآن وإلى الأبد، غيرة رب الجنود تفعل هذا[٢].

وقد رسم اليهود الصورة التي تخيلوها للمسيح المنتظر فذكروا أن الناس في ظله لن يعيشوا وحدهم في العالم الجديد في سلام وسعادة فحسب بل يشاركهم في ذلك كل أنواع الحيوانات. ويكون في ذلك اليوم أن السيد يمد يده ليقتني بقية شعبه التي بقيت من آشور ومن مصر ومن... ويرفع راية للأمم ويجمع منفيي إسرائيل ويضم مشتتي يهوذا من أربعة أطراف الأرض[٣].

وقد رفض اليهود الاعتراف بعيسى بن مريم عليه السلام مسيحاً، بل وحاربوه وأتباعه فكلمة المسيح لا تعني عندهم ما تعني عند المسيحيين من أنه

---

(١) د. أحمد سوسة، المصدر السابق، ص٣٧٥.
(٢) أشعيا (٩/٦-٧).
(٣) د.أحمد شلبي، مقارنة الأديان اليهودية، ص٢١٩، ٢١٢-٢١٣.

(ملكوت الله وابن الله وأحد الأقانيم الثلاثة المتجسد لحمل خطيئة البشر) بل هو القائد الذي يخلصهم من الذل ويعيد إليهم كرسي داود وسليمان وملكهم ومجدهم الغابر، فكانوا ولم يزالوا ينتظرون مثل هذا المسيح المخلص الزمني[١].

**أعياد اليهود**

لليهود أعياد كثيرة منها ماله خلفية تاريخية ومنها ما يمثل العقيدة الدينية وقد وردت أكثر هذه الأعياد في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر اللاويين وسنتناول بعضها بشيء من الإيجاز:

**١- السبت (شبات)** [٢]:

وهو من الأيام المقدسة عند اليهود ويجب مراعاة حرمة هذا اليوم، إذ لم يكن عند اليهود خطيئة أعظم من عدم حفظ يوم السبت إلا عبادة الأوثان، فعلى اليهود أن يصوموا عن الكلام في ليلة السبت ولا يوقدوا النار في منازلهم وأن يمضوا نهار السبت عاطلين عن العمل كلياً منقطعين إلى الصلاة.

و(شبات) في العبرانية بمعنى الراحة، لأنه اليوم الذي استراح فيه الرب – في عقيدتهم– وقد جاءت تسمية هذا اليوم والعادة المتبعة فيه من البابليين، إذ كانوا يطلقون على أيام الصوم وايام الدعاء (شبتو)، وجاء في التوراة في تقديس السبت (أذكر يوم السبت لتقدسه، ستة ايام تعمل وتصنع جميع عملك وأما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك، لا تصنع عملاً ما أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك، الآن في ستة ايام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقدسه (خروج ٢١/٨-١٢).

(١) فاروق الدملوجي، تاريخ الآلهة اليهودية، ص١٨٠.
(٢) مقارنة الأديان، اليهودية، ص٣١٢.

### ٢- عيد الفصح اليهودي (السدر)[1]:

ويسمى (عيد الفطير)، يقع في الرابع عشر من نيسان وعدته ثمانية أيام، يأكل اليهود فيه الفطير، ولا يستبقون خبز الخمير في بيوتهم: ويعتقدون أن الله خلص فيها الموسويين من يد فرعون وأغرقه في هذه الأيام، وكانوا يأكلون اللحم والخبز الفطير ويسرعون في أكلهم الخبز الفطير وأوساطهم مشدودة وينتعلون أحذيتهم ويمسكون عصيهم في أيديهم، ولا يخرجون في النهار تشبهاً بقوم موسى ثم يحرقون ما فضل من عشائهم.

ويسمى هذا العيد في التلمود (عيد البكور) لأن يهوة كان يقضي على بكور المصريين ويرش الدماء على بيوت اليهود، ويعتبر اليوم الأول من هذا العيد أهم الأيام إذ يراس كل أب أداء الصلاة لأسرته المجتمع عنده ويؤدي مراسيم تذكرهم بأيام موسى عليه السلام العصيبة.

### ٣- عيد المظال (العرازيل) [2]:

وهو ثمانية أيام من الخامس عشر من تشرين الأول وحتى الثاني والعشرين منه وهو يوم حج لهم يجلسون خلاله تحت ظلال سعف النخيل وأغصان الزيتون ويسميه يهود العراق (عيد العرازيل) وهي الخيام المصنوعة من سعف النخيل أو القصب تخليداً لإضلال الله لأجدادهم في أيام التيه عند خروجهم مع موسى في سيناء.

### ٤- عيد صوماريا (الصوم العظيم)[3]:

ويسمى (الكيبور) ومدة الصوم فيه خمسة وعشرين ساعة تبدأ قبل غروب الشمس في التاسع من شهر تشرين وينتهي ساعة بعد غروب اليوم العاشر، ويسمونه أيضاً (العاشور) ولا يفطر اليهودي إلا عند رؤيته لثلاثة كوكب معينة، ولا

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص٣٠. وانظر مقارنة الأديان، اليهودية، ص٣١١.
(٢) مقارنة الأديان، اليهودية، ص٣١٣.
(٣) موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٤٠.

يجوز أن يقع هذا اليوم خلال يوم الأحد أو الثلاثاء أو الجمعة، وفي هذا العيد يغفر الله جميع ذنوبهم عدا الزنا بالمحصنة وظلم الرجل لأخيه وجحوده لربوبية يهوة.

أما الذنوب التي تغفر فهي اضطهاد الجار، اقتراف الخطأ في سفاح القربى، الفسق والفجور، الاجتماع لاقتراف الزنى الجماعي، شهادة الزور، العنف، الربا، الابتزاز، الاغتصاب، الغطرسة، التكبر، الوقاحة، المشاكسة، خيانة الجار، الجحود والكذب، منح الرشاوي، الافتراء، القسم بأيمان كاذبة، الاختلاس والسرقة[١].

**٥- عيد رأس السنة[٢]:**

أو عيد رأس هيشا، أي رأس الشهر، وهو اليوم الأول من تشرين الأول، وهو اليوم الذي أمر الله تعالى إبراهيم الخليل أن يذبح ولده، (وعندهم أن الذبيح هو إسحاق عليه السلام)، ومظاهر الاحتفال بهذا العيد أن اليهود ينفخون في قرن حمل أحياء لذكرى نزول التوراة ودعوة الناس إلى التوبة من الذنوب.

كذلك يعتبر اليهود مساء رأس السنة إلى اليوم العاشر من تشرين الأول أيام توبة وتكفير، وهم يصومون ويصلون في جميع تلك الأيام عدا اليوم التاسع منه، وإذا جاء اليوم العاشر (يوم الغفران) المسمى (يوم هاكيريم) يمتنعون عن الأكل أو الشرب أو القيام باي عمل من مطلع الشمس إلى مغيبها ويتجهون فيه إلى معابدهم للصلاة استغفاراً للذنوب، وفي هذا اليوم يعود اليهودي طاهراً تغفر له سيئاته وذنوبه.

**٦- عيد الفوز[٣]:**

يقع في الرابع عشر من شهر آذار ويعتقدون بأن موسى قد ولد فيه وتوفي فيه، ومن مظاهر هذا العيد عندهم تبادل الزيارات واللهو والمجون.

---

(١) راجع كتاب التلمود لظفر الله خان إذ أفاض في تفصيل ذلك.
(٢) موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٤٠.
(٣) موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٤٢.

٧- **عيد الحنكة أو (التكريس)** [١]:

ومدته ثمانية أيام من الخامس والعشرين من تشرين الأول وحتى الثاني من تشرين الثاني، وكان اليهود يوقدون في كل ليلة على أبوابهم سراجاً، حتى تصبح ثمانية سروج في الليلة الثامنة، ويسمونه (الحنكة) اي التنظيف لأنهم نظفوا الهيكل من أقذار أحد الجبابرة الذين سيطروا على بيت المقدس وقتل الكثير من اليهود. واعتدى على أبكارهم، لذلك يسميه البعض عيد (التبريك) لأن فيه استتمام نزول التوراة، وسلمت إلى الحاخامات لتوضع في الهيكل بعد تنظيفه من الدنس.

٨- **عيد الأسابيع (العنصرة)** [٢]:

ويسمى أيضاً (عيد الخطاب) ويقع بعد سبعة أيام من عيد الفصح، وهو اليوم الذي تجلى الله لموسى على الجبل في سيناء ونزلت فيه الشريعة والوصايا العشرة. وهناك أعياد أخرى لهم لم يرد ذكرها في التوراة منها.

ويتبين من خلال ما تقدم أن الأعياد المذكورة لم تكن من تعاليم النبي موسى عليه السلام بل أنها شرعت من قبل الحاخامات لأنها تمس حدثاً معيناً من أحداث العصور التي مر بها الموسويون واليهود بعد موسى عليه السلام .

**الحج إلى بيت المقدس** [٣]:

وهو فرض على كل يهودي ذكر رشيد، إذ عليه أن يحج بيت المقدس مرتين في العام وأن يستقر بها أسبوعاً كل مرة ابتداء من يوم الجمعة، وتقام خلاله احتفالات يحضرها الحجاج ويقودها الكهنة من اللاويين.

---

(١) موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٤٢.
(٢) المصدر السابق.
(٣) مقارنة الأديان، اليهودية، ص٣١٠.

وقبلة السامريين جبل يقال له (عزيزيم) بين بيت المقدس ونابلس، وقالوا أن يهوة أمر داود أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلم الله موسى فيه فتحول داود الى المقدس وبنى البيت فيه مخالفاً أمر الرب، وهم يتوجهون إلى تلك القبلة مخالفين بذلك بقية اليهود.

**الطوائف اليهودية :**

> هنالك طوائف يهودية دينية قديمة كثيرة قد لا تجد لها أثراً في المجتمع اليهودي المعاصر. بينما يمتليء المجتمع اليهودي بطوائف معاصرة تحمل المعنى السياسي اكثر من المعنى الديني.

**أولاً: الطوائف القديمة :**

عرف عن اليهود – بضعة فرق مهمة هي: فرقة الفريسيين وفرقة الصدوقيين، وفرقة السامريين، وفرقة الحسيديين وفرقة القرائين وفرقة الإصلاحيين.

**الأولى: فرقة الحسيديين (الحسيديم) :**

ظهرت هذه الفرقة حوالي القرن الثاني قبل الميلاد وتختلف عن بقية فرق اليهود اختلافاً كبيراً سواء في العقيدة أم العبادة أم النظم أم التقاليد. ومن أهم مميزات هذه الفرقة:

أنها تحرم الأضحية والقرابين على عكس بقية الفرق التي تجعل ذلك من المقدسات.

تميل الى السلم مع بقية الناس.

تحرم هذه الفرقة الملكية الفردية وتدعو إلى جعل الملكيات جماعية.

تحرم الاشتغال بالتجارة وصناعة الأسلحة والتعامل بالذهب والفضة.

تميل الى الزهد والتقشف والبعد عن متع الجسد، لذلك كانت تدعو إلى التبتل والابتعاد عن الزواج قدر الإمكان[1] وبالنظر لما كانت عليه هذه الفرقة من خطر كبير على مستقبل الديانة اليهودية، فإن هذه الفرقة بقيت حبيسة القرن الذي ظهرت فيه وانقرضت في أواخر القرن الأول الميلادي[2].

وتسمى هذه الفرقة الأسينيين أو المغتسلين[3]

**الثانية: فرقة القرائين :**

تنسب فرقة القرائين إلى عنان داود[4]، الذي أسسها في بابل في القرن الثامن للميلاد، ومن أهم معتقداتها:

١- عدم الاعتراف بالتلمود كمصدر من مصادر التشريع اليهودي.

٢- كانوا يخالفون الربانيين في جانب التشريع فقط وليس في الجانب العقائدي.

٣- التمسك بظواهر النصوص، وتحريمهم للتأويل.

٤- يتميزون بالتعنت والتصلب في طقوس العبادة.

٥- يميلون إلى الجبر في مسائل القضاء والقدر.

**الثالثة: فرقة الفريسيين[5]:**

يذكر المؤرخ اليهودي يوسفوس، إن هذه الفرقة قد تكونت في عهد يوناثان الذي كان صديقاً حميماً لداود عليه السلام، وتعتبر هذه الفرقة أهم فرقة يهودية وأكثرها عدداً. وأهم مميزات هذه الفرقة التي كانت تميل إلى السلم ومعاشرة الناس بالحسنى.

---

(١) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٦٢.

(٢) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٤٨.

(٣) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص٨٢.

(٤) انظر د. علي عبد الواحد وافي، ص٥٨، مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٢٦٥. وقد جرت محاولات كثيرة في الوقت الحاضر لإخراجهم من حضيرة اليهودية وعدم الاعتراف بهم وبفرقتهم الدينية.

(٥) ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، ج١، ص٨٢.

١- تعترف بجميع اسفار العهد القديم والتلمود، وأن الربانيين -وهم فقهاء هذه الفرقة - هم الذين جمعوا وألفوا اسفار التلمود.

٢- تؤمن بالبعث والحساب واليوم الآخر.

٣- تؤمن بالمسيح المنتظر وتزعم أنه سيأتي لينقذ الناس ويدخلهم في ديانة موسى.

٤- أما بالنسبة للألوهية فهم يقولون بأن الله واحد وهو رب العالم أجمع.

**الرابعة: فرقة الصدوقيين[١]:**

وهي الفرقة المهمة عند اليهود وتكاد تكون مغايرة للفرقة السابقة الفريسية في معتقداتها فهي:

١- لا تعترف غلا بالعهد القديم وترفض الإعتراف بالتلمود.

٢- إنها لا تؤمن بالبعث ولا باليوم الاخر، وتعتقد بأن العقوبات والمثوبات تحصل في الحياة الدنيا.

٣- وفي تصورهم للألوهية، فإنهم كانوا يقولون بأن لإسرائيل ربهم الخاص (يهوه) فهو الذي اختارهم، وهم شعبه، وكانوا يميلون إلى سياسة العنف مع الشعوب الأخرى.

ويذكر ابن حزم بأن مؤسس هذه الفرقة رجل كان يقال له صدوق[٢].

**الخامسة: فرقة السامريين[٣]:**

| لأسباب سياسية، اخرج اليهود فرقة السامريين من جماعة اليهود مع ان اعتزازهم بالتراث الموسوي اهم من اهتمامات الاخرين به. |
|---|

وهي فرقة تؤمن بنبوة موسى ويوشع عليه السلام فقط ويبطلون كل نبوة أخرى، وهي فئة قليلة من اليهود. لا تعترف من العهد القديم إلا بالأسفار الخمسة

(١) د. علي عبد لاواحد وافي، ص٥٨-٦١.
(٢) مفصل العرب واليهود في التاريخ، ص٨٠٢.
(٣) العرب واليهود في التاريخ، ص٨٦٥.

الأولى، أسفار موسى عليه السلام وينسبون الى السامرة، وكانوا يسكنون شكيم (نابلس حاليا) وعندهم نسخة قديمة من الأسفار الخمسة ترجع الى ما قبل عهد المسيح. ولا زالت بقية قليلة لهذه الفرقة في نابلس في الوقت الحاضر، أما بقية الفرق اليهودية فلا تعترف بالسامريين كفرقة يهودية.

**ثانياً: الطوائف المعاصرة :**

**الأولى: الفرقة الاصلاحية :**

من الفرق الحديثة التي نشأت على يد موسى مندلسن في ألمانيا في القرن الثامن عشر. وكان يدعو إلى ترك المحرمات القديمة كتحريم الخنزير وتقديس السبت ويميل الى التخفيف في الطقوس الدينية، ودعا إلى استخدام اللغات المحلية في الصلوات كبديل عن اللغة العبرية، وأنكر جمع من الإصلاحيين أية قيمة للتوراة والتلمود في مجال التشريع[١].

وتتلخص افكار مندلسن بما يأتي:

١- التوفيق بين المواطنة في أي قطر من الأقطار وبين الانتماء إلى اليهودية.
٢- استعمال اللغات المحلية بدل العبرية في العبادات اليهودية.
٣- استخدام الالات الموسيقية في الصلاة.
٤- انكار أية قيمة تشريعية للتلمود والتوراة.
٥- التخفيف من الطقوس الدينية .
٦- الغاء المحرمات القديمة كتقديس السبت وتحريم الخنزير.
٧- الخوض في اصلاح بعض التشريعات.
٨- تعديل قوانين الزواج والطلاق.
٩- انكار فكرة المسيح المنتظر.
١٠- انكار بعص الاجساد.

(١) موجز الديانتين اليهودية والمسيحية، ص٢٧-٢٨، موسوعة الاديان والمعتقدات القديمة، ص٢٠٤-٢٠٧ .

١١- تغيير مواعيد الصلاة والغاء عطلة السبت.

١٢- علمنة فكرة الشعب المختار بحيث لا تبقى مقصورة على بني اسرائيل.

**الثانية: الطائفة الارثوذوكسية :**

وتعني الارثوذوكسية الطريقة السليمة أو المستقيمة وهو لقب اتخذته الكنيسة الشرقية عندما انسخلت عن الكنيسة الكاثوليكية.

وقد حذا اليهود حذو المسيحيين في ذلك. الا ان ثورتهم لم تكن ضد اليهود التقليديين لانهم حافظوا على عقائد الفريسيين في الاعتقاد بأن التوراة والتلمود من الله تعالى.

بدأت التسمية هذه للرافضين لاصلاح مندلسن وقاد هذه الطائفة الحاخام اليهودي هرش ومعظم اتباعها الان في اسرائيل وامريكا. وتتلخص آراء هذه الطائفة بما يأتي:

١- الدين اليهودي نظام حياة وليس نظام عقيدة وذلك ما يجعل الخلاف بالعمل وليس بالايمان.

٢- الايمان بالتلمود كتوراة شفوية سلمها الله الى موسى في طور سيناء.

٣- تجبر اعضاءها على لبس القبعة والشال في الصلاة .

**الثالثة: فرقة الحسيديم:** وهي احياء لفرقة الحسيديين القديمة والتي تدعو إلى الاحسان وعمل الخير. وهي أشبه بالفرق المتصوفة وتنتشر في كل بلدان العالم. وتتشدد هذه الفرقة في تطبيق الشريعة اليهودية ولهجتهم في العبادة تدعى "البديش" وهي خليط من العبرية والالمانية القديمة.

**الرابعة: المتناجديم** وتعني المعارضون ولا يعرف عنهم غير معارضتهم للحسيديم المعاصرين. وهي فرقة تدعو لتطبيق التشريعات الموسوية وهي متشددة في ذلك وتنسب إلى مجموعة الارثوذوكس حيث يؤمنون بكل الكتب اليهودية المقدسة والتي تحوي تشريعات وشروحات تحويهما التوراة والتلمود .

**الخامسة: المحافظون** ويقفون بين تشدد الارثوذوكس وبين انفتاح الاصلاحيين واهدافهم:

١- اقامة شعائر السبت.

٢- تقوية معرفة اليهودي باللغة العبرية.

٣- نشر التربية اليهودية.

٤- مساعدة اليهود للهجرة الى الأرض المحتلة.

٥- الغاء التراتيل في الصلاة.

٦- لبس القبعة والشال في الصلاة.

٧- السماح للجنسين بالجلوس إلى جانب بعضهم اثناء تأدية الشعائر.

٨- جواز الصلاة باللغات المحلية القومية والوطنية.

٩- تساوي الجنسين في العبادة .

١٠- تربية النشيء تربية دينية لتتقوى صلتهم بدينهم.

١١- الاجتهاد في دراسة تاريخ بني اسرائيل وفي التوراة . [١]

---

(١) مقارنة الاديان، د. سعدون الساموك، دار وائل، عمان ٢٠٠٤ .

# والصابئيـــن ..

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ..﴾..

البقرة/ ٦٢

# الصابئــون

ظلت الطائفة الصابئية مجهولة الهوية الا من ذكر الباري عز وجل لها في كتابه الكريم، وقد اعتقد البعض من المفكرين انها طائفة حنيفية، واعتقد آخرون انها من عبدة الكواكب. وقد اطلق العراقيون وهم الذين يحتضنون الصابئة عدة أسماء عليهم جهلاً بهويتهم.. الا ان ذكرهم في الآية الكريمة بين اليهود والنصارى دليل على انهم اصحاب دين سماوي.. اتضحت معالمه باعتلاء شيخهم الحالي مسؤولية قيادتهم الدينية حيث الغى (الباطنية) التي اتصفوا بها، واصبحت معابدهم تستقبل المسلمين وغيرهم وكذلك بحضور هؤلاء افراحهم واعيادهم وغير ذلك، مما يمكننا من خلال ذلك التحدث عنهم بكل وضوح.

**الصابئة في اللغة :**

"الصابئون لغة: جمع صابئ وهو من انتقل إلى دين آخر وكل خارج من دين كان عليه إلى آخر غيره سمي في اللغة صابئاً.

وصبأ الرجل في دينه يصبأ صبؤا، إذا كان صابئاً وصبأ ناب الصبي يصبأ صبئاً إذا طلع، وصبأت عليهم تصبأ صبئاً إذا طلعت عليهم. فكان معنى الصابئ التارك دينه الذي شرع له إلى دين غيره كما أن الصابئ على القوم تارك لأرضه ومنتقل إلى سواها.

**الصابئة في المصطلح :**

قال سيد قطب – رحمه الله– في تفسيره[1]: والصابئون: الأرجح أنهم تلك الطائفة من مشركي العرب قبل البعثة الذين ساورهم الشك فيما كان عليه قومهم من عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا إلى التوحيد وقالوا: أنهم يتعبدون على الحنيفية الأولى، ملة إبراهيم واعتزلوا عبادة قومهم دون أن تكون لهم دعوة فيهم، فقال عنهم المشركون: أنهم صبأوا –أي مالوا عن دين آبائهم– كما كانوا يقولون عن المسلمين بعد ذلك ومن ثم سموا الصابئة وهذا القول أرجح من القول بأنهم عبدة النجوم كما جاء في بعض التفاسير: تلك هي مجمل آراء المفسرين في التعريف بالصابئين وهي كما ترى متضاربة متناقضة لا يستطيع الباحث أن يخرج منها بفكرة واضحة عن حقيقة دين الصابئين الذين عناهم القرآن الكريم ولكن الذي يتأمل النص القرآني نفسه مع غض النظر عن آراء المفسرين يستطيع أن يستهلم منه أن الصابئة لم يكونوا مشركين.

تأمل في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾[2] تجد أن النص قد فرق

---

(١) في ظلال القرآن، ج١، ص٩٤.
(٢) سورة الحج، ١٧.

بينهم وبين المشركين وهذا واضح من عطف الذين اشركوا على ما قبله وفيهم الصابئون والعطف يقتضي المغايرة كما هو معروف في اللغة كما أنهم ليسوا يهوداً ولا نصارى ولا مجوساً للسبب نفسه وكذلك ليسوا هم تلك الطائفة من مشركي العرب التي ساورها الشك في عبادة الأصنام فبحثوا لأنفسهم عن عقيدة يرتضونها فاهتدوا إلى التوحيد لأن أول من سن للعرب عبادة الأصنام هو عمر بن لحي سنة ٤٠٠ قبل الإسلام ٢٠٠م[1].

ومن التأمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] تجد أن الله قد طمأن من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً من الصابئين.

وهذا إشارة واضحة إلى أن الصابئة ليسوا كفرة وليسوا ملحدين وإنما هم مؤمنون بالله واليوم الآخر.

فمن هم الصابئة الموحدون الذين عناهم القرآن الكريم؟

> كانت المصادر العربية القديمة قد ظلمت الصائبة بانها لم تكتب شيئاً ايجابياً عنهم وما كتبته كانت معلومات بسيطة متناقضة.

**تاريخ الصابئة :**

لم نعثر على مصدر يبسط لنا الحديث في تاريخ الصابئة وفي نشأة ديانتهم ومصدرها، وتطوراتها. وإنما وجدنا إشارات مقتضبة جداً مبثوثة في بطون الكتب، وهي في الوقت نفسه لم تخل من التناقض والاختلاف، مما يصعب معه الوقوف على أصلهم، وموطنهم، وحقيقة دينهم ومصادره الأولى. ولكن المحقق من أمرهم

---

(١) انظر كتاب الأصنام لابن الكلي، ص٦، ٨، تحقيق أحمد زكي الدين المقارن لابي الفيض المنوفي، ص١٤٦.

(٢) سورة البقرة، ٦٢.

أنهم يرجعون إلى أصل قديم لأن استقلالهم باللغة الدينية، والكتابة الأبجدية لم ينشأ في عصر حديث[١].

لم نصل الى حقيقة تاريخ الديانة الصائبية ففي الآية الكريمة التي نهجنا في كتابنا منهجها، تكون الصابئية ديانة ما بين اليهودية والمسيحية بينما الصابئة يقولون بان ديانتهم تمتد إلى آدم عليه السلام.

## الصابئون في رأي الصابئة :

يقول الصابئة: أن دينهم من أقدم الأديان، وينسبون كتابهم المقدس "كنزه ربه" ومعناه: الكنز العظيم إلى آدم عليه السلام ويعتقدون أن "سام" هو جدهم الأعلى[٢].

والواقع أن لهذا القول ما يبرره ويشهد له فقد قيل أن تعاليم "هرمس أو أدريس" الذي -هاجر وأتباعه من بابل إلى مصر وهو يحمل عقيدة التوحيد- قد أثمرت وصار له اتباع هناك وأنهم كانوا يسمون "الصابئة" وقيل أن كلمة صابئة قد أطلقت على الذين حرفوا تعاليم إدريس واصطنع فريق منهم عبادة الكواكب وفريق عبادة الأصنام[٣]. وفي كتاب "حران كويثا"[٤] -أي حران السفلي أو الداخلية- إشارة إلى أن أسلاف الصابئين الأوائل قد انحدروا من مصر إلى جبل "ماداي" أو "ميديا" في منطقة حران.

---

(١) العقاد، أبو الأنبياء، ص١٠٨. وانظر غضبان رومي، مقدمة كتاب الصابئة المندائيون، ص٢٠..

(٢) انظر غضبان رومي، مقدمة كتاب الصابئة المندائيون، ص٢٠.

(٣) يعتقد الصابئون المعاصرون بأن المصريين القدماء كانوا على دينهم ومن اللطيف جداً أنهم ما زالوا يقيمون وجبة طقسية سنوية على أرواح المصريين الذين غرقوا في البحر الأحمر وهم يتتبعون النبي موسى واليهود في قصة خروج اليهود من مصر المعروفة وهم يعتقدون بأن بين أولئك الذين غرقوا قسماً كبيراً يدين بالديانة الصابئية. انظر أساطير صابئية، ص٢٧.

(٤) اسم كتاب صابئي باللغة المندائية وقد ترجمته الليدي دروار إلى الإنكليزية وهو كتاب المفروض فيه أنه تاريخي غير أن الحكاية فيها مزيج من التأريخ والأسطورة والنبوءة وهو أحد الكتب المقدسة عند المندائيين.

فهل الصابئون مصريون أصلاً قد هاجروا من مصر إلى فلسطين ثم إلى حران؟ ثم إلى البطائح في جنوب العراق؟

أم أنهم عراقيون أصلاً قد هاجروا مع إدريس إلى مصر؟ ثم عادوا من حيث نزحوا مارين بفلسطين فحران؟

**هل أن إدريس عليه السلام هو مؤسس ديانتهم؟**

الاحتمال الأخير غير وارد بالمرة لأنهم ينسبون كتابهم المقدس "كنزه ربه" إلى آدم وليس إلى إدريس.. والحق أنه ليس للدين الصابئي مؤسس معروف، ولم يدعوا هم نسبته إلى واحد معين وأن أقرب ما تشبه به هذه الديانة أنها، كما يقول العقاد: "كالحوض الذي تصب فيه مسارب الماء من كل مورد، فإذا أخذت ماءه فحللته وجدت فيه أثراً من كل مسرب، ولكنها توجد فيه على امتزاج ولا بد من الجهد لتصفيتها والرجوع بكل جزء من أجزائها إلى ينبوعه الذي صدر منه في أصله البعيد[(١)].

وأما الاحتمال الأول والثاني فقائمان ولعل في قصة إبراهيم الخليل عليه السلام ما يوضح هذين الاحتمالين ويشد من أزر الاحتمال الثاني، فكل من تكلم عن عهد إبراهيم ومن علماء التاريخ والآثار والأديان أشار إلى وجود الصابئة في عصره وأنه اصطدم بهم وجادلهم طويلاً، ولم يتبعه إلا القليل منهم وأما أكثرهم فقد تمسكوا بصابئيتهم متذرعين بأنهم إنما يتبعون تعاليم إدريس[(٢)].

وقد مر بنا نص الشهرستاني وهو: "كانت الفرق في زمان إبراهيم الخليل راجعة إلى صنفين: أحدهما الصابئة، والثاني، الحنفاء" ونص الفخر الرازي: "لما بعث الله إبراهيم عليه السلام كان الناس على دين الصابئة فاستدل إبراهيم عليهم في حدوث الكواكب كما حكى الله عنه في قوله: "لا أحب الآفلين"[(٣)].

---

(١) أبو الأنبياء، ص١١٤.
(٢) انظر المصدر السابق، ص٢٢٨. وقراعه، الرسالات الكبرى، ص٣٣.
(٣) الملل والنحل، ج٢، ص٣٥، ٣٦. واعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص٩٠.

## موطن الصابئة :

فإذا عرفنا أن عصر الخليل يرجع إلى القرن التاسع عشر قبل الميلاد وأنه ولد ونشأ في "أور" تلك المدينة التي لا تزال آثارها قائمة في نفس المنطقة التي كانت وما زالت موطن الصابئة الرئيس وأنه وأتباعه اضطروا إلى الرحلة الدائمة من أور إلى آشور إلى فلسطين إلى مصر ثم إلى فلسطين ثم إلى صحراء شبه الجزيرة العربية ثم إلى فلسطين حيث أنه استقر(١).

إذا عرفنا ذلك ترجح لدينا أنهم أصلا من هذه المنطقة وأن أسلافهم قد غادروها لأسباب متعددة ثم عاد خلفهم إليها، وأنهم لانطوائهم وانعزاليتهم وتشددهم في نقاوة دمائهم وأنسابهم بعدم الزواج من غير جنسهم أو تزويجهم قد حافظوا على سماتهم المميزة وعاداتهم الخاصة وتقاليدهم الموروثة في حين تطور من حولهم من أقوام وتحضروا، لهذا يبدوا الصابئة غرباء في موطنهم.

ولكن هذا الترجيح يبدوا ضعيفاً نتيجة رفض المندائيين الاعتراف بأن موطنهم الأصلي هو جنوب العراق، واعتقادهم أنهم من الشمال، وقد يكون هذا الرفض وذلك الاعتقاد راجعين إلى سبب ديني، وهو اعتقاد المندائيين بأن الشمال موطن الأسلاف الإلهيين وأنه مصدر النور والمعرفة، يستقبلونه في صلاتهم ويوجهون إليه بعد مماتهم وأما الجنوب فهو مصدر الشر والظلام جاء في كتابهم المقدس "كنزه ربه".. أن عوالم الظلام تقع في الأرض المنخفضة في الجنوب، وأولئك الذين يسكنون في الشمال هم بيض البشرة، أما أولئك الذين يسكنون في الجنوب فهم سود ومظهرهم قبيح كالشياطين(٢).

---

(١) انظر العقاد، أبو الأنبياء، ص١٠٨، ٢٢٢. والدكتور أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص٢٥٦. وتؤكد إحدى أساطير الصابئة على أن إبراهيم كان صابئياً، لقد كان إبراهيم على ملتنا، وندعوه "بهرام" أجل لقد كان من المندائيين بل كان ناصورائي"، ص٢٨، من أساطير وحكايات شعبية، الليدي دراور.

(٢) الليدي دراور، مقدمة الكتاب السابق، ص١٣.

وإذا صح أن جنوب العراق ــ حيث يقيمون اليوم ــ ليس موطن المندائيين الأصلي وأنهم قدموا من الشمال، فيكونون عندئذ غرباء حقا، غرباء في السمات، غرباء في العادات والتقاليد، ولكن متى؟ ولماذا؟ وكيف وفدوا إلى هذه المنطقة؟

أجاب كتاب "حران كويثا" على هذه الأسئلة وأفاد أن المندائيين كانوا يقيمون في فلسطين وأنهم اضطروا ــ بعد وفاة يحيى عليه السلام بستين عاما ــ إلى الهرب من اضطهاد اليهود لهم في أورشليم، فأخذوا يبحثون لهم عن مأوى في جبال "ميديا" ومدينة حران في تلك الجبال... وفي حرّان وجدوا إخوانا لهم في الدين "الصابئة الحرانية".. ثم من هناك بدأت هجرتهم الثانية تحت رعاية الملك "ردوان" إلى القسم الأدنى من بلاد ما بين النهرين حيث أقاموا لهم مراكز بين واسط وخوزستان في مكان يسمى "الطيب"، ــ في الجنوب الشرقي من مدينة العمارة ــ وفي الكتاب إشارة إلى الفتح العربي الإسلامي لتلك المنطقة وذكر أن وفدا من المندائيين برئاسة أحد كبار كهنتهم يدعى "دانقا" قد ذهب لمقابلة القائد العربي وعرض عليه أمر الصابئة، وأن القائد العربي قد أقرهم على دينهم وأعطاهم الأمان وتكمن أهمية هذه الوثيقة التاريخية في تأكيدها للرواية الشفوية التي تناقلها المندائيون اليوم وهي: أنهم هاجروا إلى موطنهم الحالي في العراق من حران وكانوا قبل ذلك في فلسطين[1].

يبدأ الكتاب بالتالي:

".. واستقبلتهم "حران" المدينة التي كان فيها "الناصورائي"[2] ولهذا فليس من سـ ١ لملك اليهوطايي "اليهود" وكان على رأسهم الناصورائي ــ ملك اردوان ــ وقد عزلوا أنفسهم عن العلامات السبع[3] ودخلوا في جبل ماداي، حيث أصبحوا

---

(١) انظر بدوي وورومي، مقدمة الكتاب لسابق، ص١٣.

(٢) الناصورائي: تطلق على المتمكن من أمور الدين والعالم بأسراره الخفية وليس له صفة كهنوية.

(٣) لعل العلامات السبع هي أبناء الروهة –روح الشر– السبعة وهي الكواكب السبعة التي كان يعبدها الحرانيون وهي: الشمس، القمر، المريخ، المشتري، وزحل، وعطارد والزهرة.

احراراً من تسلط جميع الأجناس، وأقاموا المنادي[1] وسكنوا هناك بأمر الحي وبقوة ملك النور السامي.

ويشير المخطوط إلى ولادة يسوع باختصار فيقول:

"لقد حرف كلمات النور وأبدلها بالظلم، وغير دين أولئك الذين كانوا على ديني، وبدل جميع الشعائر.

**النبي يحيى عليه السلام عند الصابئة :**

وبعد ذلك تحدث عن ولادة يحيى وتنشئته في "الجبل الأبيض" وتعميده وتعليمه وإدخاله الكهنوتية في جبل ماداي، ثم الاتيان به إلى مدينة أورشليم حيث توجد مجموعة من سكان جبل ماداي:

(ثم جاء به "انوش اوثرا"[2] إلى مدينة أورشليم حيث الجماعة التي أوجدتها "الروهة"[3] وكلهم كان من اتباعها وأتباع أبنائها عدا أولئك الذين هم في جبل ماداي).

ويصف المخطوط يحيى عليه السلام بأنه معلم، ومعمد، وشافي:

"لقد علم حواريين وجعل الكسيحيين يسيرون على أرجلهم .."

ثم ذكر اضطهاد اليهود للناصورائي مما اضطر من بقي منهم إلى الهرب واللجوء إلى جبال ميديا وذهب أنوش اوثرا "وأحرق مدينة أورشليم وخربها، وقتل بني اسرائيل وكهان أورشليم وجعلها أكواماً من الخرائب.

---

(١) المنادي: جمع مندى، والمندى هو بيت عبادة الصابئة الذي تحفظ فيه كتبهم يقوم عادة على الضفاف اليمنى من الأنهر الجارية ويبنى من حزم القصب والبواري، ويطلى من داخله بالطين الحر ويحاط بسياج من قصب وطين وتكون له نافذتان وباب واحد يقابل الجنوب ليستقبل الداخل إليه نجم القطب القائم تحت عرش الرب في عالم الأنوار ولا يجوز لغير رجال الدين الدخول إليه خلال ساعات العمل الديني ويدعي الصابئة أن المندى قديم قدم الصابئة وأنه كان معروفاً منذ عهد آدم عليه السلام وكان يبنى من البلور فلما طردوا من القدس صاروا يبنونه من القصب والبواري. علماً بأن مندى الصابئة اليوم في بغداد بعيد عن هذه الصفات. فهو مبني من الآجر الاعتيادي ويتوسط المدينة بعيداً عن النهر.

(٢) أنوش أوثرا: ملك النور السامي الخير.

(٣) الروهة: الروح -ملك- الشريرة التي تجسد المادة والحياة الطبيعية.

لقد عامل الرسول صلى الله عليه وسلم الصابئة كأهل كتاب.. وهو المفهوم من التراث وهم كذلك في القرآن الكريم – حسب مفهوم الآية الكريمة– .

ثم أرخ المخطوط استيطان الناصورائي للطيب ـ جنوب مدينة العمارة في جنوب العراق ـ وبعد ذلك تحدث عن فتح العرب وذكر قدوم الوفد الصابئي على الملك العربي "الرسول" وأوضح له أن لدى الصابئة كتباً مقدسة وديناً قديماً "وهكذا حصل الصابئة على الأمان" وعاشوا في ظل المسلمين كأهل كتاب "لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين" وقد علقت الليدي دراور ـ التي كان لها فضل ترجمة هذه المخطوطة من اللغة المندائية إلى اللغة الإنجليزية ـ على هذه الوثيقة التاريخية بقولها:

"ومهما كان الأمر فالأسطورة والتقليد وحران كويثا كلها تذهب باتجاه واحد هو أنه في زمن ما كانت جماعة لها نفس عقائد الصابئين تقريبا قد استوطنت بلادا جبلية شمالية وإن هذه البلاد لها ما يربطها بحران وأن فئة دينية من أورشليم هاجرت بعد ذلك إلى الجنوب وكان لها نفس المعتقدات وأن لفظ الماداى أو المندائي لا علاقة له بالدين[١]

وهناك حكاية يتناقلها الصابئة المندائيون، وهي خليط من كتاب دراشة أديهيا[٢] وكتاب "كنزه ربه "وكتاب "حران كويثا " تذهب إلى أبعد من تاريخ الصابئة في مصر وانتقالهم إلى فلسطين ثم هروبهم إلى جبل ماداي في حران وهجرتهم بعد ذلك إلى جنوب العراق حيث استقروا حتى يومنا هذا والجديد في الحكاية أنها تجعل موطن الصابئة الأول هو جزيرة سيلان.

---

(١) الليدي دراور، الصابئة المندائيون، ص٤٥–٥١.
(٢) قصة وتعاليم يحيى عليه السلام..

وخلاصة هذه الحكاية هي: أن المندائيين الأول كانوا يعيشون في جزيرة سرنديب "سيلان" و (قد قضى عليهم جميعاً الطاعون ما عدا زوجا واحدا هما "رام" و "رود") وتكاثروا من جديد ولكن نارا اشتعلت وقضت عليهم ما عدا زوجا واحدا أيضا هما "شوربى وشرحبيل" و "صار لهذين أبناء وتكاثروا وأصبحوا شعبا مرة أخرى". حتى عصر الطوفان. (وأخيرا أوصلت الريح السفينة إلى مصر حيث رست.. نزل سام وعانق زوجته وأباه وحمد "بيت الحياة" على سلامتهم. ثم أنه خرج وبنى بيتاً من الطين ليسكنه هو وزوجته بينما ذهب نوح يمتع نفسه بالدنيا وجاءت "الروهة" وشاهدت نوحا وتنكرت له بزي زوجته وحيته قائلة: "إنا زوجتك انهوريتا" فاحتضنها وحملت منه وولدت ثلاثة أبناء هم: حام وسام ويافث. وكان هؤلاء أباء للجنس البشري فقد أصبح حام أبا للسود وسام أبا للشعوب البيضاء ولإبراهيم ولليهود ويافث أبا للغجر. إلا أن سام وزوجته "انهر" هما اللذان أنجبا المندائيين.. وفي أورشليم شاركت "الروهة" موسى نبي اسرائيل بمملكتها وكان موسى عدواً للمندائيين وكان يتنازع معهم حين كانوا في مصر وكان الملك "اردوان" المندائي قد رأى رؤيا سمع فيها صوتا آتيا من "بيت الحياة" يقول: انهض واترك هذا المكان من أجل سلامتك، فنهض وأخذ معه المندائيين وخرجوا من مصر.. حتى وصلوا أخيراً إلى "طوره اد مدائي")[1].

هذا جل ما عثرنا عليه من تاريخ الصابئة المندائيين ولعله يكفي في إلقاء ضوء على التعريف بهم وبأصلهم وموطنهم وتنقلاتهم وعلاقاتهم السياسية والدينية بأهل الأديان الأخرى.

وقد وضح من خلال وثائقهم، وأساطيرهم وحكاياتهم أن اليهود كانوا أشد الناس عداوة لهم فهم يصفونهم كلما مر ذكرهم بأنهم "خبثاء" وأنهم كانوا حليفي "الروهة" ــ روح الشر والظلام ــ بل أنهم جندها المطيعون.. (.. كان المصريون

---

(١) الليدي دراور، أساطير وحكايات شعبية صابئية، ص٢٠-٢٢. والصابئة المندائيون، ص١٥٤.

على ديننا، وقد تعلم موسى الذي تربى مع الملك فرعون[١] شيئا من معارفنا وكان اليهود بصفة عامة يعبدون الروهة وأبناءها وبخاصة "يوريا"[٢]. ويجهلون النور وتعاليم أبناء النور) [٣].

لكل نبي من الانبياء مكانته في الديانة الصابئية، ولكن معنى النبوة عندهم غير واضح.

**المسيح عليه السلام عند الصابئة :**

وأما المسيح عليه السلام فإن المندائيين يعتقدون أنه كان على دينهم ولكنه (حرف كلمات النور وأبدلها بالظلام وغير دين أولئك الذين كانوا على ديني، وبدل جميع الشعائر وأقام هو وإخوانه في جبل سيناء، ودعوا لأنفسهم جميع الناس وجلبوهم لدينهم وأطلقوا عليهم اسم "كريستيانا" وسموا على اسم مدينة الناصرة..)[٤].

**محمد صلى الله عليه وسلم عند الصابئة :**

وأما محمد عليه الصلاة والسلام فإن المندائيين يحترمونه ويلقبونه بملك العرب وبالقائد العربي، وذلك لعدم اعتقادهم بالنبوة والأنبياء، وإنما يعتبرونه عليه الصلاة والسلام ومن أخذوا عنهم كشيت وإدريس وابراهيم ويحيى عليهم السلام عبادا صالحين.. وصلوا برياضة النفس والإخلاص في العبادة إلى مقام الزلفى

---

(١) أشار الشهرستاني إلى أن فرعون كان على دين الصابئة ثم صبا عنه ودعا إلى نفسه قائلا: :أنا ربكم الأعلى". سورة النازعات، ٢٤ " ما علمت لكم من إله غيري" سورة القصص، ٣٨. انظر الملل والنحل، ج٢، ص٩٢.

(٢) يوريا: قوة من قوى عالم الظلم وهو الذي منح اليهود قوتهم في اعتقاد المندائيين. انظر الليدي دراور، الصابئة المندائيين، ص٢٧.

(٣) انظر المصدر السابق، ص٢٥-٢٦.

(٤) انظر المصدر السابق، ص٤٦. وهامش أساطير وحكايات شعبية صابئية، ص٣٠.

والإلهام، كما يحترمون بيت الله الحرام في مكة ويعتقدون أن إدريس هو الذي أنشأه أول مرة، وأنه بيت زحل أعلى الكواكب السيارة(١).

ويتضح من جميع ما سبق أن المندائيين لم يكونوا هودا ولا نصارى، كما أنهم ليسوا بمسلمين لأن ديانتهم أسبق ظهورا من هذه الأديان، وتتميز ببعض العقائد والطقوس التي لا توجد فيها إلا أن احتكاك هذه الأديان بدين الصابئة ومخالطة أهلها لهم قد تركا أثرا بالغا في المندائيين وشعائرهم الدينية ـ كما سيأتي بيانه ـ .

**الصابئة والحنيفية :**

إن المندائيين هي الفرقة التي تترسم خطى الصابئة الذين استجابوا لدعوة ابراهيم والخليل والذين انضموا تحت لواء الحنفية. والنصوص التالية تدل على هذا الرأي:

١- من جملة ما يقول المندائي حتى اليوم في التعميد وفي الرشامة (الوضوء) بالذات وأثناء رش الماء على الرأس: أنا ـ فلان بن فلانة ـ تعمدت بعماد بهرام ـ ابراهيم ـ الكبير ابن القدرة وعمادي يحرسني لارتفع به إلى العلا اسم الحي واسم مندا ادهيي ـ ملك صالح ـ منطوقان علي(٢).

٢- ومن جملة ما يقوله المندائي حتى اليوم أيضاً في الراخة "الصلاة":

السلام عليك أيها الملك الذي عرفنا بالحي.

السلام عليك أيها الملك جبريل.

السلام عليك يا سيدي ابراهيم العظيم.

٣- تتردد كثيراً في كتب المندائيين وحكاياتهم الشائعة بينهم عبارة أن ابراهيم كان على ملتهم، وأنه كان ناصورائيا.

---

(١) انظر العقاد، أبو الأنبياء، ص١١١. وغضبان رومي، مقدمة الصابئة المندائيون، ص١٥.

(٢) غضبان رومي، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص٢٤-٢٦.

ولكن بعد ما عثرت على النص الكامل للحكاية التي ترد فيها تلك العبارة وجدتهم يقولون: أن ابراهيم قد خرج عن ملتهم وأخذ يناصبهم العداء وأنه تحالف مع "يوريا" أحد قوى الظلام واستمد منه قوته.

**أصول الدين الصابئي:**

إن أصول الدين الصابئي: هي ــ كما هو مدون في كتبهم الدينية ــ تلخص في أنهم يؤمنون بالله وينزهونه غاية التنزيه ويصفونه بأرفع الصفات. ويؤمنون باليوم الآخر والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في عالم النور أو عالم الظلام، ويعتقدون بالملائكة بأنهم مخلوقون لله وأن مقرهم الكواكب ولذا يعظمون تلك الكواكب ويؤمنون بأنه لا بد من متوسط روحاني "ملك" يهدي الناس إلى الحق ويكون شفيعا ووسيطا لهم عند الله ــ تعالى ــ وهم يتطهرون ويصلون ويصومون عن أكل اللحوم حوالي خمسة أسابيع متفرقة أيامها على طول السنة، ولهم طقوس كثيرة أهمها: احترام النجوم واستقبال نجم القطب وتكريم الكواكب السيارة ولديهم شعائر كثيرة أهمها: الارتماس في الماء الجاري ولأجله التزموا الإقامة على ضفاف الأنهر وبقرب المياه الجارية ولهذا أيضاً أسماهم من جاورهم "المغتسلة والسابحة" إشارة إلى تلك الشعيرة المهمة.

| الصائبة يؤمنون بالله وينزهونه غاية التنزيه ويصفونه بأرفع الصفات |
|---|

وقد بين لهم دينهم الحلال والحرام في القول والفعل والعمل وشرع لهم أحكام الأسرة من زواج وطلاق وميراث. [1]

---

(١) انظر العقاد، أبو الأنبياء، ص١١٢. والسيد عبد الرزاق الحسني، الصابئون، ص٣٥. والدكتور يحيى هويدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ص٤٦. والشيخ محمد الخضر حسين، محمد رسول الله، ص٢٤. وبدوي وورومي، مقدمة الصابئة المندائيين ص٢١، والليدي دراور، الصابئة المندائيون، ص٢٧.

يقول الشهرستاني تحت عنوان "مذهب أصحاب الروحانيات"[1] ويذهب هؤلاء: أن للعالم صانعاً فاطراً، حكيماً، مقدساً من سمات الحدثان، والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول إلى جلاله وإنما يتقرب إليه بالمتوسطات المقربين إليه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرا وفعلا وحالة.

أما الجوهر:

فهم المقدسون عن المواد الجسمانية المبرؤون عن القوى الجسدانية المنزهون عن الحركات المكانية والتغييرات الزمانية. قد جبلوا على الطهارة وفطروا على التقديس والتسبيح.

يقولون: وقد أرشدنا إلى هذا معلمنا الأول عاذ يمون وهرمس "شيت وإدريس" عليهما السلام.

| تطهير النفس من دنس الشهوات والتضرع والابتهال واقامة الصلوات وبذل الزكوات هو الاستعداد عند الصائبة . |
|---|

فالواجب علينا أن نطهر نفوسنا عن دنس الشهوات الطبيعية وتذهب أخلاقنا عن علائق القوى الشهوانية والغضبية حتى تحصل مناسبة ما بيننا وبين الروحانيات. فحينئذ نسأل حاجاتنا منهم، ونعرض أحوالنا عليهم ونصبو في جميع أمورنا إليهم، فيشفعون لنا إلى خالقنا وخالقهم ورازقنا ورازقهم، وهذا التطهير والتهذيب لا يحصل إلا باكتسابنا ورياضتنا وفطامنا أنفسنا عن دنيات الشهوات استعدادا من جهة الروحانيات.

والاستعداد هو التضرع والابتهال بالدعوات وإقامة الصلوات وبذل الزكوات والصيام من المطعومات والمشروبات وتقريب القرابين والذبائح وتبخير

(١) الملل والنحل، ج٢، ص٦٤-٦٦. وانظر دراور، الصابئة المندائيون، ص٢٧.

البخورات وتعزيم العزائم فيحصل لنفوسنا استعداد واستعداد من غير واسطة بل يكون حكمنا وحكم من يدعي الوحي على وتيرة واحدة.

قالوا: والأنبياء أمثالنا في النوع وأشكالنا في الصورة يشاركوننا في العادة يأكلون مما نأكل ويشربون مما نشرب ويساهموننا في الصورة. أناس بشر مثلنا فمن أين لنا طاعتهم؟ وبأية مزية لهم لزمت متابعتهم؟ ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ﴾ [1].

**عقائد الصابئة :**

والعقائد كما نعرفها تدرس في ثلاثة اقسام، الالهيات والنبوات والسمعيات وسنتناول هنا موقف الصابئة منها.

**١- الالوهية**

يعتقد المندائيون أن الله واحد أزلي أبدي لا أول لوجوده ولا نهاية له منزه عن عالم المادة والطبيعة لا تناله الحواس ولا يفضي إليه مخلوق وأنه لم يلد ولم يولد وهو علة وجود الأشياء ومكونها. [2]

وقد أجاب أحد المندائيين المعاصرين على سؤال: من هو الله؟ بقوله "هو الحي الأزلي خالق السموات والأرضين وكل ما فيها وما عليها ورب الجميع.

ومن صفاته: أنه ملك عالم الأنوار السامي رب الحق ذو الحول الشامل، الذي لا شبيه له النور النقي الذي لم ير، ولم يسمع الغفور التواب الرحمن الرحيم العارف بكل شيء الحكيم العليم لا شريك له بسلطانه.. [3] .

اما عقيدتهم في الملائكة فانهم يعتقدون بأن الملائكة مخلوقون لله وأنهم منزهون عن المادة قد فطروا على الطهارة وجبلوا على التقديس والطاعة ويعتقدون أن فريقاً من جنسهم قد أوكل إليهم مساعدة الخالق -تعالى- في عملية الخلق وتدبير

---

(١) سورة المؤمنون، ٣٤.
(٢) السيد عبد الرزاق الحسني، الصابئون، ص٤٣. ومجلة العرب، العدد ١١٢، عام ١٩٦٨م.
(٣) غضبان الرومي، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص٩.

الكون وإدارة شؤون العالم. منهم: "هيبل زيوا" و"أباير" و"بثاهيل" وأن هؤلاء يعلمون كل شيء ويعرفون الغيب ولكل منهم مملكة في عالم الأنوار "ألمي دنهورا" ولذلك فهم يلون الله في المنزلة والأهمية والإجلال والتعظيم (١).

**٢- النبوة :**

النبوة بمعنى أن يزود الله إنساناً بالدين والمعرفة وينزل عليه صحفاً أو كتباً أو يوحى إليه بشرع ويبعثه ليعلم الناس ويهديهم ويرشدهم إلى الشرع والدين مرفوضة عند المندائيين لأن الله لا يكلم أحداً من البشر ولأن المبعوث مشارك للمبعوث إليه في المادة والصورة فمن أين لنا طاعته ؟ وبأي مزية لزمت متابعته ، قالوا : ولئن أطعتم بشراً مثلكم أنكم إذا لخاسرون.

وهم في الوقت الذي ينفون فيه نبوة أحد من البشر يقولون : لا بد من مخلوق متوسط بين الروحانية والمادية يهدي الناس الى الحق، يستمد المعرفة من الحضارة القدسية ويفيض الفيض على الموجودات السفلية فكلام الله لا يصل إلى الناس إلا بواسطة مخلوق بين النور والتراب . ويذهبون إلى أن الإنسان الذي يلهو نفسه ويهذب أخلاقه ويروض نفسه على الطاعة والعبادة يحصل لنفسه استعداد واستمداد من غير واسطة ويكون حكمه وحكم من يدعي الوحي "النبي" على وتيرة واحدة. ومن هذا القبيل – في نظرهم – آدم وشيت وإدريس ويحيى عليهم السلام فهم ليسوا أنبياء بالمفهوم والمعروف للنبوة عند أهل الأديان المنزلة من الكشف إلى المعارف العليا. وتذوقوا تلك المعارف تذوقاً مباشراً ولذلك يصفونهم في كتبهم المقدسة بأنهم معلمون معرفيون .. وإذا ما وصفوهم بالأنبياء فإنما يقصدون ذلك اي أنهم معلمون يستمدون معارفهم بطريق الكشف والتذوق المباشر لا بطريق الوحي ولا بواسطة الاستنتاج والاستدلال. والتشريعات والكتب التي ينسبها المندائيون إلى

---

(١) انظر الليدي دراور، الصابئة المندائيون، ص١٣٣. وأساطير وحكايات شعبية صـــابئية، ص١٥. والحسني، الصابئون، ص٤٣.

هؤلاء المعرفيين لم يدعوا أنها منزلة عليهم من الله وإنما هي من معارفهم بواسطة الكشف والفيض الإلهي ليس غير.

**ما هو موقف الصابئة من يحيى عليه السلام؟ هل هو نبيهم الأول؟ .. أم هو احد انبيائهم؟ فأهل الاديان الاخرى ينسبونهم اليه فهل هذا صحيح؟**

تقول الليدي دراور في عقيدتهم في يحيى عليه السلام :

"الصابئون لا يدعون بأن دينهم أو شعائرهم التعميدية قد جاء بها يوحنا، بل أن كل ما ينسب إليه هو أنه كان معلماً عظيماً وأنه كان يمارس وظيفة التعميد ككاهن وأن تغييرات دينية معينة تنسب إليه كتقليل أوقات الصلاة، وعددها من خمسة إلى ثلاثة يوماً فهو كان بالنسبة لتعاليم الصابئين "ناصورائياً" أي ضليعاً في العقيدة، ذا معجزات تعالج بصورة رئيسة شفاء أبدان الناس وأرواحهم فهو يفضل علمه " ناصورثة " لا يفله الحديد ولا تحرقه النار ولا يغرقه الماء.

وعيسى عليه السلام بالنسبة للاهوتيين الصابئين " ناصورائي " أيضاً إلا أنه خرج على الدين وقاد الناس إلى دين آخر وباح بالعقائد الباطنية وجعل الدين أكثر يسراً [(١)].

وجاء في كتاب "حران كويثا " أن المسيح كان على ملة الناصورائيين المندائيين وأنه بعد أن تعمد على يد "يوحنا المعمدان" خرج على ملتهم واتخذ له ملة جديدة[(٢)].

ومر بنا أنهم يقولون: أن إبراهيم الخليل عليه السلام كان على ملة المندائيين (بل قد كان " ناصورائيا ") وأنه خرج على ملتهم وأخذ يناصيهم العداء .

---

(١) الصابئة المندائيون، ص٤٢.
(٢) بدوي ورومي، هامش أساطير وحكايات شعبية صابئية، ص٣٠.

وجاء في كتاب "كنزة ربه" أنه كان قبل ظهور يحيى ملك يسمى "دارا ملكه" ولما مات تشتت الصابئة وتبعثرت كتبهم بفعل الحروب التي دارت بينهم وبين اليهود، فلما ظهر يحيى جمع ما تبقى من هذه الكتب وصنف كتباً أخرى وزعها على أتباعه كما استعاد الصابئين الفارين من ظلم اليهود وأمرهم بالرجوع الى كتبهم القديمة فمنهم من لبى الطلب ومنهم من رفضه[١].

إن كتب المندائيين لم تخل من كلمتي النبوة والرسالة وأنها وصفت بعض الناصورائيين بهما. فقد جاء في كتاب "حران كويثا" و"دراشة أديهيا" أن يوحنا كان نبياً ورسولاً ومثل هذا الوصف ووجود هاتين الكلمتين في كتبهم يساعد المندائيين على مجاراة أهل الأديان المنزلة المعايشين لهم على إدعاء أن لهم أنبياء ورسلاً كما لغيرهم وأن دينهم ذو جذور سماوية ومما يقوي ادعاؤهم هذا إيمانهم بإله واحد.

**٣-الآخرة والبعث :**

| كما أن الصابئة تؤمن بالله الخالق لعباده فان هناك يوم آخر تتحرر فيه النفوس والارواح من ادران الدنيا . |
|---|

يعتقد المندائيون أن الموت انتقال من العالم المادي –الذي هو بمثابة سجن ومنفى مؤقت للروح التي سرعان ما تحرر بالموت وتنتقل– إلى العالم الروحي وتخلد هناك، لأن عندهم الجسد فان وإن الروح خالدة، ولكن بعد أن تحاسب حساباً عسيراً بأن توزن أعمال صاحبها فإن رجحت حسناته فإن روحه تذهب إلى عالم الأنوار "الجنة" وتتنعم هناك بما يتنعم به القديسون والروحانيون. وإن رجحت

(١) الحسيني، الصابئون، ٤٢.

سيئاته فإن روحه تقاد إلى المطهر "المطراثة" في عالم الظلام "النار" حيث تتعذب فيه بدرجات متفاوتة إلى أن تتطهر من ذنوبها ثم ترسل إلى عالم الأنوار(١).

**الأرواح الخبيثة عند الصابئة :**

ويؤمن المندائيون بالأرواح الخبيثة ويسمونها "مولخون" ويقولون أنها مختلفة الأديان فمنها صابئة ومنها يهود ونصارى ومسلمون ومن هذه الأرواح ما هو موكل بعذاب النفوس في "المطراثي" ومنها ما هو مغري بتجربة البشر واستدراجهم الى المعصية ومنها ما دأبه الحاق الأذى بالناس. فهم بمنزلة الجن عند غيرهم من أصحاب الأديان الأخرى(٢).

**أعياد الصابئة:**

تبدأ السنة عند المندائيين بشهر نيسان وتحتوي على ٣٦٥ يوماً فقط وليس فيها سنة كبيسة وهي تقسم إلى أشهر في كل شهر ٣٠ يوماً ويعتبرون خمسة الأيام الزائدة شهراً منفرداً يسمونه عيد الخليقة أو "البنجة" وتقع بين الثلاثين من شهر "شمبلتة" أيلول واليوم الأول من شهر "قينة" تشرين أما بدء التاريخ عندهم فينقسم إلى ثلاثة أقسام:

الأول: بدء الخليقة وهبوط آدم وهو أول تاريخ تضبط به السنين.

الثاني: عام طوفان نوح وهو الأمد الثاني لتحديد السنين.

الثالث: ولادة يحيى عليه السلام، وهي لا تفرق في المدة عن ولادة ابن خالته السيد المسيح عليه السلام، إلا بستة شهور لذلك فهم يتفقون في بداية تاريخهم الأخير مع التاريخ الميلادي ويتخذون منه تاريخاً لأمورهم الدينية وشؤونهم الشخصية(٣).

---

(١) غضبان الرومي، تعاليم دينية لأبناء الصابئة، ص١٠. وبدوي ورومي، مقدمة كتاب، الصابئة المندائيون، ص١٩. والحسيني، الصابئون، ص١٣٠، ١٣٨.

(٢) الحسيني، الصابئون، ص٤٤. والليدي دراور، الصابئة المندائيون، ص٢٧.

(٣) انظر: غضبان رومي، تعاليم دينية، ص٣٧، والدكتور أحمد الخشاب، الاجتماع الديني، ص٣٠٥، والحسيني، الصائبون، ص١١٦، واليدي دراور، الصابئون، ص١٤٣.

وهم يعظون يوم الأحد -كالنصارى- ويقدسونه كثيراً ويعطلون فيه أشغالهم كافة أما أعيادهم فهي:

أ- العيد الكبير: وهو عيد رأس السنة ويسمونه "دهفة ربه" ويعرف باسمه الفارسي أيضاً "نوروز ربه" ويسميه العامة "عيد الكرصة" ومدته يومان. وفي آخر يوم من السنة يبدأ الاستعداد لاستقبال العيد فيذبحون الخراف والدجاج. ويخبزون الخبز والفطائر "الكعك" ويطهون الخضر بعناية ويحفظون ذلك غذاء لهم خلال فترة الكرصة ومدتها ٣٦ ساعة تبدأ من مطلع العام الجديد كما أنهم يغسلون الملابس ويجلون الأواني ويجلبون من ماء النهر ما يكفيهم لتلك المدة وقبيل غروب شمس آخر يوم يغتسل أفراد المندائيين رجالاً ونساءً صغاراً وكباراً بالارتماس في النهر ثلاث مرات وتزغرد النساء ابتهاجاً ويعود الجميع إلى بيوتهم حيث يجب أن يكرصوا فيها ولا يخرجون منها ولا يقومون بأي عمل فيها حتى انقضاء ٣٦ ساعة ويبقى أفراد الطائفة يقظين يلعبون الألعاب ويقصون الحكايات.

وإذا مس طعامهم أو شرابهم حيوان أو طير أو زاحفة أو نحلة منع تناوله أما إذا عض أحدهم كلب أو أفعى لسعته نحلة أو عقرب. فإنه يعزل عن أهله ويمنع عن الأكل أو الشرب والاختلاط بأحد ما حتى إذا انتهت مدة الكرصة عمدوه في الماء الجاري ستين مرة. وبعد انتهاء مدة الكرصة مباشرة. يرتمسون في الماء الجاري وفي الصباح يخرجون من دورهم يتزاورون ويبتهجون ويعيد بعضهم بعضا[١].

ب-العيد الصغير: ويسمونه "دهفة حنينة" وأحياناً "دهفة طرمة" ومدته يوم واحد ويقع في اليوم الثامن عشر من شهر "تورا" آيار ولكنه يستمر يومين آخرين لإتمام شعائره وتقام خلاله مراسم التعميد وقراءة الفواتح وتقديم القرابين على

---

(١) انظر: دروار، الصابئة المندائيون، ص١٤٥، ١٤٦. والحسني، ص١١٧.

أرواح الموتى ويكثر المندائيين خلاله من أعمال البر والإحسان ويقيمون الأفراح ويقام هذا العيد احتفالاً بعودة "هيبل زيوا"[1] إلى عالم الأنوار من عالم الظلام.

ج- عيد الخليقة: ومدته خمسة الأيام الكبيسة "بروانايا" أو البنجة وفيه يقام أكبر عيد عمادي نهري ويكرس كل يوم من الأيام الخمسة لروح نوراني[2] وفيه تفتح أبواب عالم الأنوار وتظل مفتوحة أناء الليل وأطراف النهار، ولهذا تجوز إقامة الصلوات والمراسيم في الليل أيضاً في حين أنهما لا يجوزان في سائر أيام السنة إلا نهاراً وفيه يتقبل الله دعوات المؤمنين الصالحة إذا كانت خارجة من قلوب مفعمة بالإيمان وخصوصاً إذا صادفت ليلة النغم "ليلة القدر" التي هي إحدى الليالي الخمس.

والبنجة احتفال ديني أكثر منه عيد بهجة وفرح ففيه يجري تعميد أبناء الطائفة جماعات ووحداناً رجالاً ونساء يشخص فيه المندائي من كل مكان بعيد إلى حيث يقيم رجال الدين لغرض التعميد والمشاركة في الفاتحة والصدقة المباركة والذكرى من أجل الموتى[3].

د- عيد ميلاد يحيى: ويسمونه "دهفة اد إيمانه" ومدته يوم واحد ويأتي بعد البنجة بستين يوماً وهو من أقدس الأيام عندهم وهو احتفال بتعميد آدم عليه السلام وفيه يجب على الأتقياء أن يتعمدوا كأسلافهم وفيه كانت ولادة يحيى عليه السلام وبما أنه يقع في الصيف فهو أنسب المواسم لتعميد الأطفال لأول مرة ومن يتعمد فيه من أبناء الطائفة في ملابس جديدة فإنه ينال أجر ستين عماداً[4].

---

(١) يترجم رجال الدين المندائيين هذا الاسم بـ "واهب النور" وهو أسهل وأكثر الأسماء النورانيين استعمالاً.

(٢) اليوم الأول لـ "أنوش أثر" والثاني "شيشلام ربه" والثالث "يوخاشاركنه" والرابع "تابوت زيوا" والخامس "بهرام ربه" ويقولون، أن هؤلاء قد خلقوا في أيام البنجة وسموا بأسمائهم فيه.

(٣) انظرك المصدرين السابقين، ص١٥٣، وص١٢٢.

(٤) انظر: دراور، الصابئة المندائيون، ص١٥١، ١٥٢. والحسني، الصابئون، ص١٢١.

## الكتب المقدسة عند الصابئة:

من الأسباب التي نرى فيها بأن الصابئة دين من الاديان السماوية، هـي أن لهم كتبهم المقدسـة وحين قام شيوخهم المعـاصرون بنشـر بعض صفحاتها تبين منها ايمانهم بالله الواحد .

الكتب المقدسة هي المصادر الوحيدة لأديان العالم. وليس من أمة على وجه البسيطة لا تستمد ديانتها من كتب تعتقد بصدورها من مصدر سماوي.

ويرى الصابئة المندائيون أن كتبهم المقدسة قد توارثوها بصورها الموجودة لديهم.

١. كنزه ربه: أي الكنز العظيم ويسمى أيضاً "سدره ربه" أن الكتاب العظيم أو كتاب آدم وقد يكتفون بقولهم "السدره" بوجه الإطلاق ويعتقد المندائيون أنه "صحف آدم" نفسها[١] وهو مخطوط كبير يقع في قسمين:

الأول: يحتوي على فقرات كثيرة موضوعها: نظام تكوين العـالم وحساب الخليقة والتطورات البشرية وصفات الخالق ووعظ وإرشاد وأدعية وحكايات.

والقسم الثاني: يعالج شؤون الميت.

٢. دراشة أديهيا[٢]: ويسمى أيضاً "سدره أديهيا" أي تعاليم يحيى أو كتاب يحيى وإرشاداته الدينية. وهو يحتوي فقرات موضوعها: النبي يحيى بن زكريـا ولادته.. نشأته.. تربيته الدينية ثم دروسه وإرشاداته وتعاليمه ثـم وفاتـه وكيفيتها وصعوده إلى السماء.

---

(١) ترجمات وتعليقات في فترات مختلفة بلغت ذروتها في ترجمة الأستاذ ليدز بارسكي النفيسة إلـى اللغة الألمانية وقد طبعت عام ١٩٢٥م.

(٢) ترجم الأستاذ ليدز بارسكي هذا الكتاب إلى اللغة الألمانية عام ١٩١٥م.

٣. سدرة اد نشماته: أي كتاب التعميد وسر المعمودية المقدس، ويعتقد المندائيون أنه أنزل على آدم أبي البشر عليه السلام وأنه أساس دين الصابئة. وهو يحتوي على فقرات موضوعها المراسم التي ينبغي اتباعها في الجنائز وتلقين الأموات وكيفية دفنهم وأسباب تحريم البكاء أو إعلان الحداد عليهم وكيفية خروج الروح من الجسد وتنقلاتها حتى تستقر في عالم الأنوار وما إلى غير ذلك مما يتعلق بالموت والمعاد. كما يحتوي نصوص الصلاة التي قرأها رجل الدين في حفلات التعميد[١].

٤. سفر ملواشه: أي سفر البروج وهو مخطوط لأغراض التنجيم والفلك ويستخدمه رجال الدين لمعرفة أحداث السنة المقبلة ومعرفة البرج الذي ولد فيه الشخص فيستنبطون اسمه المقدس. "الملواشه"ويعينون به طالع المولود. كما يحتوي الكتاب على أذكار وأوراد منوعة يستعين المندائي بها على طرد النوائب وأبعاد الأمراض[٢].

٥. تفسير بغره: وهو يبحث في علم تشريح جسم الإنسان وفي الأسرار الكامنة وراء الوجبات الطقسية.

٦. انياني: أي كتاب الأناشيد أو الأذكار الدينية. ويحتوي الأذكار التي تتلى في الصلاة اليومية وبعض المراسم التي تتبع في دفن الموتى والطهارة الصغرى، الوضوء، الرشامة.

٧. ديوان طقوس التطهير والتكريس بأنواعه كتكريس رجل الدين وتكريس المندى وتكريس الأستاذ "كنز فره".

---

(١) ترجم الأستاذ ليدزيارسكي القسم المختص بطقوس التعميد من هذا الكتاب إلى اللغة الألمانية، عام ١٩٣٠م.

(٢) نشرت الليدي دراور هذا الكتاب بنصه المندائي عام ١٩٤٩م، ثم نشرته مترجماً إلى اللغة الإنكليزية.

٨. دواوين الرقى والتعاويذ وتسمى "قماهي" و"زرستي"[١] وهي عبارة عن تعزيمات شتى يضمها درج كبير ويدعي المندائيون أن من يحمل شيئاً منها كحجاب فإنه لا يؤثر فيه شيء لا سلاح ولا نار. وهم يحرصون عليها كل الحرص ولا يسمحون لمن هو على غير دينهم أن يمس الدرج الذي يحتويها حتى لا تتنجس أو تفقد مفعولها.

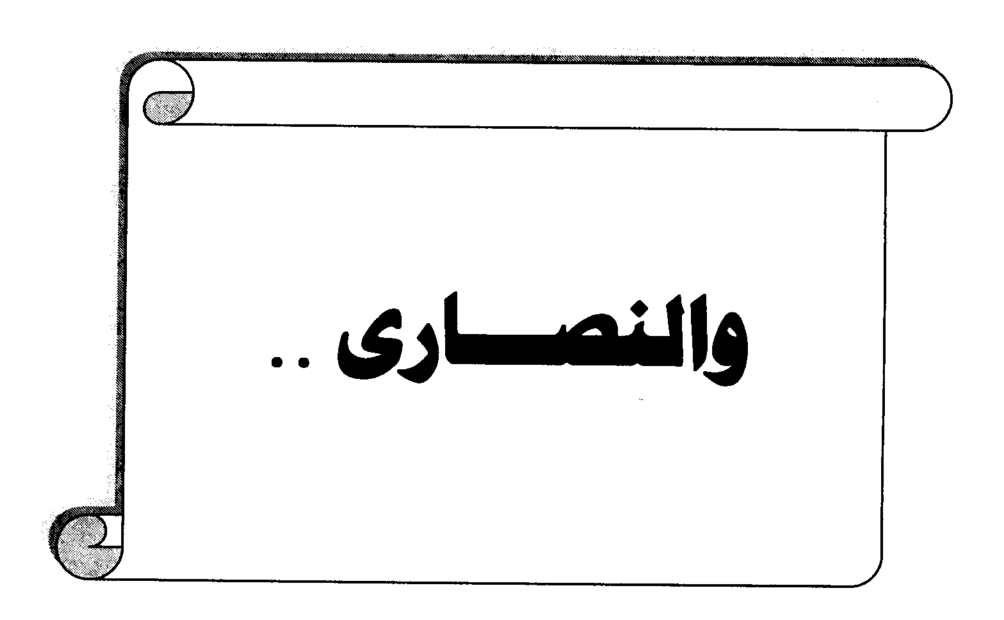
٩. قلستا: أي كتاب عقد الزواج: ويحتوي رسوم الزواج وشعائره والاحتفالات التي تقام أثناء عقده وكيفية تحليل النكاح الشرعي وإجراء الخطبة وما إلى ذلك.

١٠. حران كويثا: أي حزان الداخلية أو السفلى وهو كتاب تاريخي أسطوري قصصي.

١١. للصابئة كتب أخرى عدا ما ذكرنا وهي تتعلق بعقائدهم وطقوسهم وشعائرهم الدينية وآدابهم وعاداتهم الاجتماعية منها كتاب "ترسر ألف شياله" أي كتاب الإثنى عشر ألف سؤال و"ديوان أباثر" وهو في محاسبة الإنسان ووزن أعماله في الحياة الأخرى.

| ان اللغة المندائية التي من المفروض ان يتكلم بها الصائبة لم تحل اكثر رموزها الى الآن فان اللغة العربية هي السائدة عندهم.. وعندما يتمكن العلماء من فك رموز هذه اللغة تماما ستظهر حقيقة الديانة الصابئية اكثر. |
|---|

(١) قما: باللغة المندائية تعني "يقمط" وزرس: تعني "يقي أو يصون".


والنصـــارى ..

# النصـــارى

النصرانية هي ديانة سيدنا المسيح عليه السلام وهي ديانـــة سماوية اعقبت الديانة اليهودية التي حرفها اتباعها وقتلـــوا انبيائها. ولكن هل سلمت النصرانية نفسها من التحريف؟

فقد قال النصارى عن المسيح بانه "الله" فأشار البـــاري عـــز وجل اليهم بقوله: "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم" (المائدة/ ١٧) وذكر الباري عز وجـــل عـــنهم قولـــه: "ومن الذين قالوا إنا نصارى أخذنا ميثاقهم فنسوا حظاً ممـــا ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامـــة" (المائدة/ ١٤) وسيكون بحثنا هنا عنهم تاريخاً وتطوراً فـــي العقائد وبيان الفرق في موقفهم بين التوحيد والاشراك بـــالله تعالى .

# نشوء الكنيسة

ذكر الله تعالى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام بكل تقديس واحترام في قرآنه الكريم ذاكراً صفاته ومعجزاته، وأنه بشر ونبي ورسول كريم.

لا يمكن ان يدرس المرء ديانة النصارى دون ان يمر بالعصور اليهودية التي سبقتها لان المسيح عليه السلام بعث في بني اسرائيل اولا، ثم صارت رسالته عالمية بعد ذلك.

## تبشير اليهود بظهور المسيح عليه السلام :

عاش اليهود في عهد الاحتلال الروماني لفلسطين وكثير من بقاع الشرق الأوسط، في ذل وشقاء. حيث لم يكتف الرومان باضطهادهم، بل انتقصوا من عقيدتهم. ولعل ما زاد في شعور اليهود بذلك الذل. رؤيتهم أعضاء مجلسهم الأعلى "السنهدرين" قد اتجهوا لجمع وفرض السيطرة السياسية على أبناء ملتهم وأهملوا رعاية "الهيكل" بأن حولوه إلى سوق تجارية عامة[1]. فراح الكثير من اليهود ينظر بفارغ الصبر ظهور الزعيم الذي بشرهم به أشعيا ودانيال. ذلك الفارس سليل داود عليه السلام لعيد ملكوت الله فيملأ الأرض عدلاً ويوقظ دولة الأجداد لتمتد من الفرات إلى النيل تحت حكم التوراة[2]. ولقد ظهر النبي يحيى عليه السلام يؤذن في الناس قرب ظهور المسيح. وكان يعمد الناس. بأن يسكب على رؤوسهم زيتاً وماء

(١) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص٣٩٩.

(٢) تاريخ الرسل والملوك الطبري، ص١٦، وانظر. Religionen S.296.

ليكونوا صالحين. وقد عمد يوحنا بنفسه شخص المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وأخبره بأنه يعلم أنه المسيح المنتظر. وأخذ المسيح عليه السلام يبشر برسالته عيسى بن مريم عليه السلام وأخبره بأنه يعلم أنه المسيح المنتظر. وأخذ المسيح عليه السلام يبشر برسالته بين أصحابه. وكان يتحسس مفاسد رجالات الديانة اليهودية.

| الحرب التي قادها المسيح عليه السلام ضد اليهود كانت حرباً فكرية، ولم تكن حرباً عسكرية، لأن المسيح عليه السلام كان يدعو إلى السلام. |
|---|

فبدأ يقود حربه ضدهم، وابتدأ رسالته الجديدة. وقد تبعه في البداية اثنا عشر رجلاً هم الحواريون. فعلمهم تعاليمه وأرشدهم إلى ما يحب عمله. وراح ينشر دعوته في القرى والمدن الصغيرة، فهيأ أذهان عامة اليهود لتقبل دعوته ونقل دعوته بعد ذلك إلى المدينة المقدسة. فأصبح لزاماً عليه أن يواجه السلطتين الدينية وهم الحاخامات أو السنهدرين والسلطة السياسية وهم الحكام الأجانب. وبعد مجادلات لم تدم طويلاً بتحريض من رجال السنهدرين. قبض عليه وصلب ثم قام ورفع إلى السماء كما تقول الأناجيل المسيحية أو اختفى وتوفي بعد ذلك أو رفع إلى السماء كما يفهم من القرآن الكريم(١). قال تعالى "إني متوفيك ورافعك إلي" [آل عمران:٥٥] وقد ناقشها الدكتور أحمد شلبي في كتابه المسيحية من (الأديان المقارنة) ورغم انتظار اليهود للمسيح المنقذ فإنهم وقفوا منه موقفاً سلبياً ولم يدافعوا عن حياته. ولعل ذلك يرجع إلى عدة أمور منها:

| ان هناك صفات للمسيح عند اليهود لا تتفق وعيسى بن مريم عليه السلام وذلك ما جعلهم يقفون منه موقف المكذبين له. |
|---|

(١) انظر قصص الأنبياء، ص٢٧٣، وكذلك Religionen Sp26F.

١- إنهم كانوا ينتظرون قائداً قوياً سيأتي عل رأس جيش يقارع الأعداء بصلابة ليثبت جدارته، بينما جاء المسيح عليه السلام شخصاً مسالماً يدعو إلى تعاليم تناقض ما عهده اليهود من العنف والوحشية والقوة. وكانوا يتوقعون زعيماً يقودهم ضد الرومان ليؤسس بالقوة ملكوت الله،؟ إذا به يدعوهم "أحبوا أعداءكم باركوا لأعينكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطرونكم". "متى ٥:٤٤"[١].

٢- إنه وقف موقفاً مناهضاً لأعضاء السنهدرين أصحاب السطوة الدينية دون قوة تسنده وهاجم الأغنياء فألبهم على نفسه.

٣- إن عامة الناس لم يفهموا منحى تعاليمه بصورة جيدة ولم يدركوا طريقة قلب النظام السياسي القائم آنذاك والذي توقعه أن يقوم به[٢].

٤- أنه لم يستمر طويلاً في نشر دعوته. فبينما قضت اليهودية فترة طويلة في التاريخ تكتب وتطور عقيدتها. لم يقض المسيح أكثر من ثلاث سنوات في نشر تعاليمه قضى معظمها في القرى والأرياف. ولم يأت إلى القدس للدعوة إلا قبيل انتهاء رسالته بفترة قصيرة ومحدودة جداً.

رغم قصر الفترة التي كانت بها الدعوة النصرانية الا انها أثمرت عالمياً.. ولكن ما تركه المسيح نفسه قد ضاع ولم نجد عنه الا احاديث من اتباعه او اتباع اتباعه تحدثت عنهم اكثر من حديثها عنه.

---

(١) وفي النقيض من هذا الكلام، توسع الإنجيل في مجال التعامل الإنساني حسب الظروف بنصوص فيها شدة أحياناً وردعاً للشر أحياناً أخرى ومن هذه النصوص "لا تظنوا إني جئت لألقي سلاماً على الأرض. ما جئت لا لقي سلاماً بل سيفاً (متى:١٠٢٤-٢٥). كما يدعو إلى التسلح (من ليس له ثوب فليبع ثوبه وليشتري سيفاً) لوقا: ٣٢/٣٥.

(٢) المسيحية د. أحمد شلبي، ص٨٢.

## النصرانية رسالة عالمية :

وعلى كل حال فإن النهاية التي انتهى إليها السيد المسيح (والتي صورها لنا الإنجيل) كانت سبباً في هروب أنصاره إلى المدن الكبرى حول العالم لينقلوا تعاليمه إلى شعوبها. فابتدأ عهد جديد في تلك الرسالة بأنها تحولت من رسالة محلية إلى بني إسرائيل إلى رسالة بقية الأمم لتكون ديانة عالمية ولقد كتب بعضهم مذكراته عن السيد المسيح ضمنها الكثير من أقوال وأفعاله. ولكن (بولص الرسول) جمع الكثير من المعلومات فكتب رسائل وأعمالاً كثيراً يتحدث عنها الكتاب المقدس مما رسم أموراً ميزت ديانة المسيح بمميزات جديدة. فصارت بعد ذلك ديانة تدعى الديانة (النصرانية) أو المسيحية وقد كان بولص يهودياً حارب المسيحية بضراوة وقتل الكثيرين من أتباع السيد المسيح عليه السلام، إلا أنه دعا بأنه التقى بروح السيد المسيح عليه السلام وهو في طريقه إلى دمشق. فهداه إلى المسيح عليه السلام إلى نوره فخصص ما تبقى من حياته في خدمة الدين الجديد.

وكما قلنا فإن بولص الرسول ضمن المسيحية أفكاراً مميزة نسبها إلى شخص السيد المسيح عليه السلام، فصار المسيح عليه السلام ابن الله. نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر[1]. وعلى كل حال فإن الديانة الجديدة تميزت بمعتقدات مهمة هي:

١- إنها انفتحت على بقية الشعوب ولم تبق مغلقة لليهود.

٢- أصبح (يهوة) إله بني إسرائيل واليهود إلهاً عالمياً مميزاً بأقانيمه الثلاث. الله الأب. وابنه المسيح الذي أرسله لتخليص العالم من خطيئة آدم الأولى. والروح القدس الذي يربط ما بين الأقنومين.

٣- أن السيد المسيح سيعود إلى الأرض مرة أخرى.

---

(١) المصدر السابق، ص٨٩، وفي الهامش رقم (٨) صلة وانظر Die Religionin Geschichte und Gegenwart S.630.

ولقد ساعدت أفكار بولص المسيحية على الانتشار بصورة واسعة في البلاد الغربية الأوروبية بينما انحسرت في الشرق. لأن الشرقيين قد تعودوا على الوحدانية والنبوات التي دعت إلى إله واحد. بينما جاملت عقيدة بولص التثليثية عقليات الوثنيين في الغرب[١]. إذ أن أديان قبائل أوربا الوثنية آنذاك كانت متبادلة التأثير مع الأديان المصرية التي كانت تجعل من الإله الأعلى عائلة من ثلاثة أقانيم. هو الأب والزوجة والابن[٢].

وقد واجهت الكنيسة بعد غياب السيد المسيح عليه السلام وخلال القرون الثلاثة الأولى اضطهاداً كبيراً لا يوصف. وقد عانى قادة الكنيسة الأوائل كثيراً من العنف والتعذيب والاضطهاد بسبب إيمانهم. حيث عذب وسجن كل من بطرس ويوحنا من كتبة الأناجيل أكثر من مرة. فقتل كل من القديس اصطيفان والقديس جيمس.

وكان ممن تحدثت عنهم كتب المسيحية هو بولص الرسول وصار الحديث عنه كالحديث عن مؤسس الديانة النصرانية التي نعرفها اليوم والتي ترى اثره فيها اكثر من آثار سيدنا المسيح عليه السلام.

**نهاية بولص الرسول :**

وحاول اليهود أن يوقعوا ببولص، إلا أنه نجا منهم، وكان نيرون الذي ابتدأ حكمه عام ٦٤ للميلاد. أول إمبراطور مارس تعذيب المسيحيين. وقام بحرق روما لمدة ستة أيام واتهم نيرون المسيحيين بهذا الحريق. ألقى القبض على كثير منهم. فصلب الكثير منهم لهذا السبب ورمى الكثير منهم إلى الحيوانات المتوحشة وسط

(١) راجع مختصر تاريخ الكنيسة ص١٤٦، وانظر المسيحية، د. أحمد شلبي، ص٨٦-٩٤.
(٢) الأديان، دراسة تاريخية مقارنة (فص الديانة المصرية).

ساحات الألعاب ليقضوا بها نحبهم، وقتل بولص وبطرس في روما صلباً وتعتبر روما من أشد المناطق التي حصلت فيها الاضطهادات في هذه الفترة(١).

**المعلمون الاوائل :**

وقد اشتهر هذا العصر الممتد ما بين الميلاد وحتى عام ٣١١م، بأعمال الحواريين والمعلمين الأوائل وتلاميذهم والقديسين ومفكري وفلاسفة الديانة المسيحية من الذين كانوا يتصدون للكفر والزندقة والرد على اتهاماتهم. وكان منهم ايرانيوس وترتوليان وجستين وكلمنت الاسكندري. وقد تثبتت بعض المصطلحات التي أخذت الكنيسة باستخدامها كالقانون المسيحي Canon والعقيدة المسيحية Greed والتنظيم المسيحي أو الرعية Organization(٢). كما وقد أصبح للكنيسة رجالها الذين يعملون فيها(٣).

**المسيحية بعد ظهور قسطنطين:**

ولقد كانت الإمبراطورية الرومانية تعاني من الانقسام. وكانت أوربا الغربية تناهض الإمبراطور ماكسنيوس الذي بقي يحكم إيطاليا وشمال إفريقيا. أما أجزاء الإمبراطورية الأخرى فقد عين لها قسطنطين الأول إمبراطوراً عام ٣٠٦ في بريطانيا فأصبحت له آنذاك السلطة على كل من فرنسا وإسبانيا.

وحاول ماكسنيوس إخضاع أوروبا الغربية إليه. ونادى بإسقاط قسطنطين، لذلك فقد بدأ قسطنطين بالإعداد لمواجهة ماكسنيوس. فتهيأ الطرفان للحرب. فسار

---

(١) راجع. The Church in History, pp7 كذلك، تاريخ الموازنة، ص١٧.

(٢) The Church in Historhy pp7-28.

(٣) تتوزع الوظائف في الكنيسة الكاثوليكية بصورة هرمية على رأسها البابا الذي ينتخبه مجلس الكرادلة. ويلي الباب في الرتبة الكاردينال. ثم رئيس الأساقفة فالأسقف فالقس. ويسمى هذا الصنف من الموظفين الكنسيين بالموظفين المدنيين Secular أما الطبقة الأخرى من الموظفين الكنسيين هي الرهبان والراهبات والمتزهدين الذين عاشوا في الأديرة واهتموا بإعداد الناس للآخرة وسموا برجال الدين الاعتياديين Regular (تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ١٥٠٠-١٧٨٩، ص١٧١).

إليه قسطنطين. فالتقى جيشاهما في منطقة (ساكساروبرا) التي تبعد عن روما بعشرة أميال. وكان جيش ماكسينوس ثلاث أضعاف جيش قسطنطين.

لقد لعب قسطنطين في الديانة النصرانية دوراً لا يمكن نسيانه وكان سبباً في تثبيت العقيدة التثليثية فيها .. فلولاه لكانت النصرانية التي انتشرت سراً قبله غير النصرانية التي نعرفها اليوم.

ويروي لنا تاريخ الكنيسة بأن قسطنطين قد تراءى له ليلة الحرب صليباً في السماء مكتوباً عليه (انتصر بهذا الشعار). وفي الثامن والعشرين من أكتوبر سنة ٣١٢م، بدأت الحرب وانكسر جيش ماكسينوس وهرب الأخير، إلا أنه غرق في نهر التيبر فأصبح قسطنطين بعد هذه الموقعة إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية جمعاء.

**اعتبار النصرانية ديناً شرعياً :**

وكان أول مرسوم يصدره أثناء توليه العرش قد صدر في ميلانو سنة ٣١٣م. اعتبر المسيحية إحدى الأديان المسموح بممارستها[١]. فوضع هذا المرسوم حداً لعمليات الاضطهاد التي واجهها المسيحيون ويعتبر هذا المرسوم نصراً كبيراً للمسيحية وجعل المسيحيون في عهد قسطنطين يوم الأحد يوماً مقدساً ومنعوا أتباعهم من العمل فيه.

**المنافقون والنصرانية :**

وبطبيعة الحال. فإن الحرية التي وضعها قسطنطين للكنيسة جعلت المنافقين يتدافعون لاعتناق المسيحية ودخول هذا الدين إرضاء للحكام الذين بدأوا يبدون ميلاً

(١) The Church in History pp.24-25, Comparative Religion 253. م/٧.

له. وهكذا فإن (الكثرة) التي دخلت الكنيسة في هذه الفترة قد أضاعت (النوعية) المطلوبة للإيمان وهذا اعتبرته الكنيسة آنذاك انتكاساً وليس انتصاراً[1].

وقد أعلن قسطنطين دخوله إلى الدين الجديد عام ٣٢٥م، عند رئاسته للمجمع المسكوني الذي عقد في مدينة نيقية. وفي مقابل هدايته ودخوله الدين الجديد وإعطائه الحرية السياسية للمسيحيين. فإنه قد طلب أن يسمح له بالتدخل في شؤون الكنيسة. وكان لهذه العلاقة التي نشأت بين الدولة والكنيسة الأثر السلبي في تاريخ الكنيسة بعدئذ[2].

> تدين النصرانية بوجودها اليوم إلى قسطنطين، فهو الذي حرر اتباعها وهو الذي اعلنها ديانة رسمية وهو الذي ثبت اركان التثليث فيها (أي ثبت ما جاء به بولص الرسول) .

## الكنيسة والهجمات القبلية :

وقد تعرضت الكنيسة ابتداء من منتصف القرن الرابع إلى هزات عنيفة بسبب الهجمات القبلية التي قامت بها قبائل أوربا الجوثية والجرمانية والبربرية والهانز والأنكلوساكسونية. فالجوثوين (الغوثيون) قد بدأوا هجماتهم لاحتلال المدن الأوربية عام ٣٧٦م. واستطاعوا أن يقتلوا الإمبراطور الروماني (فالينز) واستمروا في صراعهم مع روما حتى استطاعوا احتلالها عام ٤١٠م. وتعرض رجال الكنيسة والمؤمنين بها إلى القتل والتعذيب على أيديهم وسالت الدماء حتى غطت شوارع روما.

أما البرابرة. الذين تسببوا في انقسام الإمبراطورية الرومانية، فإنهم تركوا شرقي البلاد ليحكموا غربيها. فقامت بعدهم الإمبراطورية البيزنطية.

---

(١) تاريخ الموارنة، ص١٩.
(٢) The Church in History pp.43-45.

ولم يستقر البرابرة في مكان معين، بل كانوا يتركــون بــصمات الــدماء والإرهاب أينما حلوا.

أما (الهانز). وهي من القبائل الجرمانية. فقد اســتطاعت احــتلال شــمال إفريقيا إذ أنها ظلت محتفظة بجزيرة البلقان وآسيا الصغرى وســوريا وفلــسطين ومصر واتخذت (القسطنطينية) عاصمة لها[١].

أما الإمبراطورية الغربية الرومانية، فكانت ممثلة بإيطاليا وكانت تدين لحكم البرابرة لها (الفيزيغوث والجرمان)، أما شمالي إسبانيا وفرنسا فكانتا تدينان لحكــم الغوثيون واستقروا فيها بعد اهتدائهم للمسيحية. أما الفاندالز والبورغنــديون فقــد احتلوا شرق فرنسا وشمال إفريقيا وآمنوا بالعقائد الآرية[٢] (أي أنهم أصبحوا ضــد سلطة الكنيسة الرومانية).

أما الفرنك فقد احتلوا شمال فرنسا وبريطانيا وبلجيكا وجنوبي هولندا.

والفرنسيون قد احتلوا شمال غربي هولندا. أما شرق هولندا فقد كان محتلاً من قبل الأنجلو ساكسونيون والذين استطاعوا احتلال بريطانيا (وكانوا وثنيين).

> لعب البابوات دوراً كبيراً في نشر النصرانية "المسيحية" حول العــالم. وفي وحدة المسيحيين. وامتد دورهم الى الشرق حين اعلنوا عليه الحرب الصليبية والتي دامت قرابــة القرنين .. وربما عادت لتمتــد إلى اليوم الحاضر.

وقد لعب البابا جريجوري العظيم الذي حكم الكنيسة منــذ (٥٩٠-٦٠٤م) دوراً كبيراً في هداية الأنجلو ساكسونيين والقبائل الجرمانية والهولندية إلى المسيحية

---

(١) ملخصه عن كتاب The Church in History pp.29-58.

(٢) راجع مؤتمر نيقية حول مفهوم العقيدة (الآريوسية)، ص/٢٧٨ من هذا الكتاب.

وكان جريجوري العظيم شخصية قوية. إذ أنه استطاع تسييس الدين وسيطر على جميع الأفراد.

وصار يعين الأمراء ويقصيهم. وأصبحت كل أوربا تحت سيطرته وقد اعتبر البطاركة الرومانيون خلفاء الحواري بطرس. أي أن كلمتهم لا بد وأن تكون مسموع ومقدسة من الجميع.

**النصرانية في العصور الوسطى وظهور الإسلام :**

لم تكد المسيحية أن تنتفض من هجمات البرابرة والأقوام الجرمانية والأنجلو ساكسونية والغوثيون، حتى بدأت هجمات أخرى عليها أقضت مضاجعها. إذ أن ظهور الإسلام قد لعب دوراً في الزحف على الكثير من الأراضي التي دخلت الكنيسة والتي تقع تحت سلطة الإمبراطورية الرومانية واستعادها العرب لتضم إلى الإمبراطورية الإسلامية التي تأسست منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وتوسعت بعد وفاته عام ٦٣٢م[١].

> لقد اوقف الاسلام – دين محمد صلى الله عليه وسلم – ما اراده النصارى في الغرب من نشر ديانة التثليث في كل بقاع الأرض، حيث حل التوحيد محله والذي بدأ بزحفه الآن في بقاعهم.

فقد زحف جيش المسلمين على فارس وأراضي الهند. واستعادوا سوريا وفلسطين وفتحوا مصر شمال إفريقيا. وفي سنة ٧١١م، بدأوا فتحهم للأندلس (إسبانيا) والتي أصبحت تحت سيطرتهم التامة عام ٧١٨م، وحاول المسلمون الصعود إلى فرنسا. إلا أن حاكم فرنسا شارلز مارتيل دعا جميع الفرنجة إلى الالتفاف حوله لصد المسلمين. فانضم إليه جيش كبير واشتبكوا مع المسلمين في

(١) The Church in History pp.61-68.

مدينة (تولوز) عام ٧٣٢م. وتمكن الفرنجة من الوقوف في وجه التقدم الإسلامي. وعاد العرب يفصلهم عن الفرنجة جبال البايرنيز، وأصبح شارلز مارتيل بطلاً قومياً لفرنسا والكنيسة دعي منذ تلك المعركة بـ (شارلز المطرقة) (١).

وفي انتصارات الإسلام وتوسعه. أخذت الكنيسة تخسر الكثير من مواقعها. ففي الهند آمن ملايين الناس بالإسلام وأصبحت فارس جميعها مسلمة، وأصبح الإسلام حاجزاً منيعاً في وجه التوسع المسيحي. وبقيت المسيحية حبيسة أقطار معينة.

وكما آلت كثير من أراضي الإمبراطورية الرومانية إلى الإمبراطورية الإسلامية. فإن القارة الإفريقية شهدت إقبالاً على دخول الإسلام لا زالت الكنيسة تعاني منه إلى اليوم الحاضر.

**سقوط الاندلس :**

وفي سنة ١٤٩٢م. عادت إسبانيا إلى العالم المسيحي بعد سقوط آخر مدينة إسلامية في الأندلس وهي غرناطة وفي هذه الفترة فتحت القسطنطينية من قبل المسلمين بقيادة محمد الفاتح. فتحققت بذلك بشارة الرسول صلى الله عليه وسلم "لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش" وفي عام ٧٥١م أعلن ببين (Pepin) ابن تشارلز مارتيل (المطرقة) نفسه ملكاً على الفرنجة. فحصل على تأييد الباب زكريا على تنصيب نفسه ملكاً وبالمقابل طلب الباب من القبائل الوثنية التي اهتدت إلى عقيدة آريوس الموحدة.. وقد هزم اللومباردز بعد معركة قادها ببين ضدهم.. ومنذ ذلك اليوم بدأت الكنيسة في التدخلات السياسية للدولة وبدأت الدول الأوربية يطلق عليها اسم الدول المسيحية أو دول الكنيسة وهي بداية سيطرة البابا السياسية على الدول المسيحية فأصبح البابا منذها ليس فقط حاكماً دينياً(٢). بل حاكماً زمنياً أو مدنياً. واستمرت البابوية بذلك حتى عام ١٨٧٠م، حينما

---

(١) بحث مختصر في تاريخ الكنيسة ص١٤٨.
(٢) المصدر السابق، ص٧٠-٧١.

تأسست دولة إيطاليا الجديدة وأصبحت دولة الكنيسة جزءاً منها. وبعد أن توفي ببين خلفه ابنه كارلومان الذي ما لبث أن توفي عام ٧٧١م، فخلفه أخوه شارل. وفي عام ٨٠٠م، إنحنى شارل أمام البابا في كنيسة القديس بطرس فتوجه إمبراطوراً للإمبراطورية الرومانية. فأقسم بالحفاظ على قانونية الكنيسة وتراثها والدفاع عن المسيحية. وأطلق عليه اسم شارلمان. وتقاسم أحفاد شارلمان عام ٨٤٣م الدولة الرومانية فأصبحت ثلاثة إمبراطوريات هي مملكة غرب فرنسا ومملكة إيطاليا ومملكة شرق فرنسا[١].

**نشوء الاقطاع :**

ان نشوء النظام الاقطاعي في العصور الوسطى واعتراف الكل بفترة نشوئه يعتبر رداً كبيراً على الشيوعيين الذين يعتقدون ان النظام الاسلامي حين امتد إلى الشرق في بدء الفتوحات الإسلامية قد اعلن النظام الاقطاعي هناك ولا علاقة بتوزيع الاراضي هناك على من يدير شؤونها بالنظام الاقطاعي الذي ظهر في أوروبا، حيث أن "الشيوعيين في الدول الشرقية يرددون هذا الكلام الذي لا اصل له في عقيدة المسلمين".

ونشأ في هذا العصر ما يسمى بالإقطاع Feudalisim وقد عاش الشعب في العصور الوسطى تحت نظام الإقطاع وللوقوف في وجه الغزوات البربرية فقد قسموا دولهم إلى ولايات يترأسها القادة المحاربون ليصبحوا ملوكاً تابعين إلى الأباطرة أحفاد شارلمان. وقد قسم الملوك دولهم أو ولاياتهم إلى مقاطعات سمى رؤساؤها النبلاء. والنبلاء قسموا مقاطعاتهم إلى مدن يحكمها محافظون. وأولئك

---

(١) المصدر السابق، ٧١.

الذين وزعت عليهم الأراضي من الحكام كانوا يدعون الإقطاعيين. وقد جعلوا أمور إدارة الأراضي بيد (السراكيل).

**الكنيسة والاقطاع :**

وبنفس الطريقة أعطيت الأراضي إلى الكنائس لتصبح هي الأخرى إقطاعية.

وقد نشأ نظام الإقطاع بعد سقوط روما واضمحلال النظام الاجتماعي الغربي وقيام الفوضى والعنف والاضطراب في كل مكان. واستولى الأقوياء على ما قدموا عليه شيدت الحصون المنيعة التي كان أصحابها من اللوردات يخرجون للغزو ويشتبكون مع غيرهم من اللوردات. وكان على الفلاحين طبعاً أن يتحملوا القسم الأوفر من الشقاء. وهذه الفوضى هي التي تمخضت عن نظام الإقطاع.

لم يكن الفلاحون منظمين. فلم يقووا على الصمود أمام هؤلاء اللوردات، ولم تكن هناك حكومة مركزية تحمي الفلاحين، فوجدوا أن الأصلح لهم أن يصالحوا هؤلاء اللوردات أصحاب الحصون المنيعة الذي سلبوا أموالهم. واضطر الفلاحون أن يقدموا ثمناً للمصالحة جزءاً مما تدره الأرض إلى اللورد وأن يقوموا بخدمته بشتى الطرق حتى لا يسترسل بنهبهم ومضايقتهم وحتى يقوم هو بحمايتهم من أمثاله من اللوردات وقد تعاهد هذا اللورد بدوره مع لورد آخر يملك حصناً أكبر من حصنه. ولما لم يكن اللورد الصغير يستطيع أن يقدم للورد الكبير محصولاً زراعياً لأنه لم يكن مزارعاً. فإنه تعهد بتقديم الخدمة العسكرية أي القيام بالحرب في سبي اللورد الكبير كلما دعت الحاجة إلى ذلك. وكان اللورد الكبير يقدم للورد الصغير الحماية. وعرف اللورد الأكبر بالمتبوع واللورد الأصغر بالتابع. وهكذا كان النظام يتدرج حتى وصل إلى قمة الهرم الإقطاعي حيث يكون الملك. والواقع أن هذا النظام نما من الفوضى الضاربة أطنابها في أوربا آنذاك ولنذكر أنه لم تكن هناك حكومة مركزية ولم يكن هنالك شرطة أو ما يشابه ذلك. بل كان صاحب الأرض

هو سيدها ومالكها وسيد كل ما دب عليها. وكأنه ملك صغير يقدم الحماية لأتباعه مقابل تقديمهم الخدمة[1].

ولم يكن رجال الكنيسة بعيدين عن النظام الإقطاعي، بل كانوا بالإضافة إلى رئاستهم الدينية. أسياداً إقطاعيين، وقد نتج عن ذلك أن أصبحت نصف أراضي أوربا وثروتها تقريباً في أيدي الأساقفة والقسس، وأصبح البابا نفسه سيداً إقطاعياً[2]، ولقد أخافت قوة الأتراك السلاجقة دول أوربا وخصوصاً القسطنطينية لأنها كانت اقرب من غيرها إلى الخطر، وقد أثارت القصص التي أشاعها المسيحيون عن معاملة الأتراك السيئة للحجاج المسيحيين في القدس غضب الأوربيين وحماسهم فأصدر الباب ومجلس الكنيسة نداءاً إلى جميع نصارى أوربا ناشدهم فيه أن يهبوا لإنقاذ بيت المقدس وهكذا بدأت الحملات الصليبية عام ١٠٩٥م. وكان لقيامها جملة أسباب سنأتي إلى ذكرها.

## الحروب الصليبية (١٠٩٦-١٢٧٠م)

حروب الكنيسة الغربية على الشرق الإسلامي لم تتوقف منذ اعلانها فقد اصبح طبيعياً ان يجري على لسانهم تهديد الشرق بجملة "سنعلنها حرباً صليبية" والتي تعني محاولة استئصال الاسلام بالطرق الحربية وبالقوة . لقد اعلنت الحروب الصليبية في العصور الوسطى .. ولم تنطفئ جذوتها الى الآن.

(١) جواهر لال نهرو، لمحات من تاريخ العالم، ص٣٨-٣٩.
(٢) المصدر السابق، ص٤٠.

## العوامل التي كانت وراء الحروب الصليبية :

١- العامل الديني:

ويمكن تلخيص العامل الديني بالقول بأن بني إسرائيل واليهود يعتقدون أن أرض الميعاد بحدودها التوراتية أعطاها إياهم ربهم بعهود ومواثيق عن هدى توراتهم وأنهم أنكروا نبوة السيد المسيح عليه السلام. لذا فإن تلك العهود صارت إلى المسيحيين الذين صدقوا المسيح عليه السلام فصارت أرض الميعاد (ومنها فلسطين) ملكاً أبدياً لهم ولذراريهم حتى قيام الساعة (فإن كنتم للمسيح فأنتم إذن نسل إبراهيم وحسب الموعد ورثة) أي ورثة اليهود في أحقية تملكهم لأرض الميعاد.

فالمسيحيون من كل أمة ولسان لهم وحدهم فلسطين دون اليهود ودون المسلمين كدين ودون العرب كقوم. ولهم وعدهم الإلهي والحق الإلهي في تملك فلسطين.

وإن إنكار اليهود للمسيح عليه السلام يخرجهم من الإيمان إلى الكفر كما يخرجهم من أبوة إبراهيم عليه السلام لأن النسب المسيحي هو نسب العقيدة. مهما كان القوم والوطن وكانت اللغة. ذلك أن إبراهيم عليه السلام أب لكل مؤمن (... أجابوا "اليهود" وقالوا له "للسيد المسيح": أبونا هو إبراهيم، ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني .. الذي من الله يسمع لكلام الله. لذلك أنتم لستم تسمعون. لأنكم لستم من الله) [١].

وتعتبر المسيحية أن الأرض الموعودة قد تحققت تماماً. بمجيء المسيح، أي أن فلسطين تكون حقاً مقدساً مشروعاً للمسيحيين وحدهم. دون المسلمين واليهود. لذا كانت الحروب الصليبية المقدسة أما القدس فحسب العقيدة المسيحية لا تكون لليهود ولا للمسلمين ولا للعرب, وإنما تكون مدولة. أي لجميع الأمم. ولقد أقر البابا (بولص السادس) بوجوب تدويلها، اعتماداً على نص الإنجيل (تكون مدوسة من قبل

---

(١) العهد الجديد، أنجيل يوحنا، ٨/٣٧-٣٩.

الأمم، حتى تكمل أزمة الأمم) أي حتى نزول السيد المسيح ثانية قبل قيام الساعة فناء العالم.

**لا يمكن فصل العوامل السياسية والاقتصادية عن عامل الدين عند الصليبيين. فكلما احتاج الغرب الى تحقيق تلك العوامل. نرى المسيحية الغربية تتحرك باتجاه الشرق فيكون عاملها الديني اقوى العوامل التي تحركها باتجاهه.**

٢- العامل الاقتصادي: فلقد كانت أوربا تعاني من الكساد التجاري وهو الذي دفعهم نحو الشرق لفتح طرقات تجارية جديدة لهم. ورغم أن قسماً ممن شارك في هذه الحروب قد جاء لأهداف دينية. إلا أن بين من جاء كان مجرماً عريقاً أو سياسياً أو سجيناً[١]. وكانت خزائن أوربا تعاني من كثرتهم. فلذلك بادرت البابوية إلى إرسالهم في تلك الحملات تخلصاً من أعبائهم الاقتصادية مقابل حريتهم في الشرق.

٣- العامل السياسي: إذ كادت الثورة القومية في كل أوربا أن تنهي سلطة البابا. وكانت هناك صراعات سياسية بين الحاكم والمحكوم. وكان نداء البابا في هذه الفترة قد ركز سلطته أولاً وتخلص بذلك من منافسيه السياسيين.

وقد كان مجموع الحملات الصليبية الرئيسة ثمانية أولاها كانت قد حدثت عام (١٠٩٦-١٠٩٩) وأخرتها سنة (١٢٩٧-١٢٧٠).

---

(١) جواهر لال نهرو، المصدر السابق، ص٥٠-٥٣.

وكانت حملات أخرى قد حصلت كحملات سيجفارد جورسالفا ملك النرويج (١١٠٧-١١١١) وحملة يوحنا هوتباري (١٤٤٣) [١] إلا أن جهودهم ذهبت أدراج الرياح.

**العثمانيون والحروب الصليبية :**

وكان للعثمانيين فضل كبير في رد الحملات الصليبية المتـــأخرة وتطهيـــر الأراضي العربية الإسلامية من خطرهم.

**حركة الإصلاح الديني**

ان حركة الاصلاح الديني كان ثورة بمعنى الكلمة ضد طغيان الكنيـــسة الكاثوليكية قبل الاصلاح. الا ان احفاد هذه الحركة في الغرب هم الـــذين يقودون الحروب الصليبية ضد المســـلمين في العصـــر الحديث بعد ان قادتها الكنيسة الكاثوليكية في السابق.

**تنظيم الكنيسة الكاثوليكية :**

كانت الكنيسة الكاثوليكية قد نظمت بشكل هرمي على رأسه البابـــا الـــذي ينتخبه مجلس الكرادلة، ويلي البابا في الرتبة الكاردينال ثم رئيس الأساقفة فالأسقف فالقس .. ونظراً للاهتمامات الدنيوية كالتملك والضريبة التي كانت قد انشغلت بهـــا الكنيسة فقد انقسم رجال الدين إلى قسمين، القسم الأول يسمى الموظفين الـــدنيويين Sccular والقسم الثاني كانوا رجال دين اعتياديين Regular، وأصبح نظام الكنيـــسة أشبه بنظام الحكومة من حيث التقسيمات الوظيفية وكان مجلس الكنيسة قد حـــاول عام ١٤١٤ و١٤١٣ و١٤٣٨، تقييد سلطات البابا إلا أنهم فشلوا بذلك وقد تعـــددت سلطة البابا لتشمل[٢]:

---

(١) ملخصة عن كتاب "المستشرقون" تأليف نجيب العقيقين ط٣، دار المعارف بمصر، ١٩٦٤.

(٢) تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية، ص١٧٢-١٧٣.

A short History of Christianity Chapter IV. pp.99.

١- أنه السلطة العليا لإصدار القوانين الخاصة بالكنيسة ولا يجوز إصدار أي تشريع يعارضها.

٢- أن البابا هو الحكم الأعلى لكل المنازعات الكنسية وكلمته وهي الكلمة القاطعة.

٣- أن البابا هو السلطة العليا في تعيين الموظفين الإداريين والروحيين في الكنائس الكاثوليكية.

٤- أنه المخول بتتويج الأباطرة والملوك للدول الخاضعة لكرسي البابوية وكذلك خلعهم.

٥- له صلاحيات إلغاء القوانين المختلفة في أية مملكة أو مقاطعة خاضعة للكنيسة الكاثوليكية.

٦- الصلاحيات المالية المطلقة للكنيسة(١).

## أسباب الثورة على الكنيسة الكاثوليكية :

وكانت هنالك حملة جملة أسباب يمكن تلخيصها لإعلان الثورة الإصلاحية ضد البابوية ومن ذلك:

١- نشوء الفكر القومي في كل البقاع الأوربية التي كانت تعارض سلطات البابا الإيطالي وسيطرة الإيطاليين على مقاليد الأمور السياسية والاقتصادية في أوربا.

٢- جمود الأفكار الدينية وعدم الانفتاح على التطورات الفكرية التي بدأت تنتشر في أوربا.

٣- اتجاه البابوات نحو الاهتمامات الدنيوية كالإعمار والتملك وجمع الأموال بمختلف الوسائل الشرعية وغير الشرعية مما ألب الطبقات المتوسطة والفقيرة على الكنيسة.

---

(١) The Church in History pp.75-85.

٤- ظهور رجال إصلاحيين في الكنيسة كانوا يطالبون بإصلاح النظام الديني في الكنيسة إضافة إلى مطالبتهم بتبسيط التعاليم الدينية وترجمة الإنجيل إلى اللغات التي تفهمها عامة الشعوب الأوربية بعد أن كانت ترجمته محرمة.

| الاصلاح الديني كان داخل الكنيسة ولكنه لم يتوسع الى خارجها، فقد بقى اتباع الكنيستين يحملان نفس المشاعر تجاه اتباع الديانات الاخرى. |
| --- |

٥- بيع صكوك الغفران في الكنسية... ولصكوك الغفران وقعتها إذ أن البابا ليو العاشر قد سن سبيل التكفير عن الأخطاء فقال أن ذنب الخاطئ يكفر أن حج إلى روما وزار الرسل هناك. ثم تطور هذا المفهوم تدريجياً عندما قال بعض البابوات أن التكفير يمكن أن يتم عن طريق دفع الأموال إلى الكنيسة لتنفقها على الأمور الدينية، ويمكن إرسال هذه الأموال إلى روما مباشرة أو عن طريق دفعها إلى مصارف في المدن الأوربية والمصارف بدورها تحولها إلى البابا في روما مقابل أن يمنح الفرد المخطئ صكاً دعي بصك الغفران. ونلاحظ هنا أن العملية تحولت من كونها مسألة دينية فيها صدق التائب عن الذنب بعد أن يقوم بالصلاة والزكاة والصوم وإعلان شعوره عن الندم إلى أن أصبحت المسألة عبارة عن قضية تجارية الغاية منها جمع الأموال من المسيحيين عن طريق رجال الدين والمصارف. ونلاحظ كذلك أن ترتب على هذه العملية نتائج خلفية لأنه لا مانع أن يرتكب الفرد الأوربي الخطأ ويكفر عنه بدفع الأموال وبعدها يدخل الجنة مقابل وصول الأموال إلى الكنيسة[1].

(١) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، د. عبد الفتاح حسن أبو علية ودكتور إسماعيل باغي، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٧٩، ص٩٥.

كانت صكوك الغفران، صكوكاً ورقية تباع لمن يشتريها من المسيحيين، الا ان صكوك الغفران تحولت الى نوع من التبعية للدول المسيحية الكبرى في الوقت الحاضر، فالمسلمون الذين يتبعون عقائد الغرب ويقبلون بتوجيهاته يكونون كمن يشتري صك الغفران منهم في العصر الحاضر.

٦- انقسامات الكنيسة سواء انقسامات عقائدية كعقيدة آريوس والبيجنس الذي كان يقول بأن في الكون قوتين متنازعتين ومتنافستين هما قوة الخير والشر وقد استخدمت الكنيسة محاكم التفتيش للقضاء على هذه الحركة.

**تشكيل محاكم التفتيش :**

وقد تعددت محاكم التفتيش وتلونت أشكالها وأهدافها ودخلت الكنيسة الكاثوليكية في حرب ضد الإصلاحيين من البروتستانت لفترة طويلة. ولما عجزت من إرجاع الأوضاع فإنها دخلت عصراً جديداً للالتفاف حول الإصلاح البروتستانتي. فاشتعلت حرباً ضد مسيحي أوربا الذين لا زالوا تحت سلطتها وعملت إصلاحاً معاكساً أو مغايراً للإصلاح البروتستانتي فقد بدأت بإصلاح بداخل الكنيسة الكاثوليكية من أجل أن تستمر في وجودها وعدم انهيارها.. مما حدا بها إلى استخدام الأساليب العنيفة ضد المسيحيين وخصوصاً أولئك الذين وقفوا ضدها أو ساندوا الثورة الإصلاحية التي كان يمثلها لوثر وزونجلي وغيرهما.

وكان البابا بول الثالث قد أصدر أمراً بتأسيس محاكم التفتيش سنة ١٥٤٢م، وكانت هذه المحاكم سلطة فعلية في محاكمة من يسميهم بالهراطقة الملحدين الخارجين عن طاعة الكنيسة وسلطتها، وهذه المحاكم هي امتداد للمحاكم الأسقفية التي كانت تعمل على تعقب الهراطقة في القرن الثالث عشر الميلادي. وهي كذلك امتداد لمحاكم التفتيش التي قام بها جماعة الدومينيكان والفرانسيسكان وقبل أن

تختفي هذه المحاكم قامت إسبانياً وطالبت بإدخال محاكم التفتيش في بلادها لمكافحة المسلمين واليهود في إيبريا (إسبانيا والبرتغال) وقد وافق البابا سكسبتوس الرابع على ذلك في نوفمبر سنة ١٤٧٧م، وفي سنة ١٤٩٧ خرجت محاكم التفتيش من سلطة البابوية في إسبانيا لتشرف عليها المملكة الإسبانية.

وفي سنة ١٥٤٢م، أصدر البابا قراراً يأمر فيه بإنشاء محكمة تفتيش مقدسة للكنيسة العالمية تتألف من ستة كرادلة أعطوا سلطات واسعة بوصفهم مفتشين في كل أنحاء أوربا الكاثوليكية. وجعل أعضاء هذه المحكمة أثنى عشر عضواً وأصبحت هذه المحكمة ترسل المفتشين من قبله إلى الجهات الكاثوليكية لمكافحة الخارجين على البابوية. لقد نجحت محكمة التفتيش الرومانية التي أسست سنة ١٥٤٢م، في القضاء على البروتستانتية في إيطاليا، كما نجحت في إذكاء روح التعصب الديني في الكنيسة. وكان تأسيسها هو بداية الإصلاح الديني الكاثوليكي في أضيق معانيه. وهذا الإصلاح كان قد استند على استخدام وسائل العنف والشدة والقوة التعسفية من أجل إرجاع الكنيسة كما كانت عليه في أول عهدها. وذلك عن طريق القضاء على الذين شقوا عصاً الطاعة على البابوية[1].

كانت محاكم التفتيش في السابق، محاكم تشكلها الكنيسة الكاثوليكية للوقوف بوجه الكنيسة البروتستانتية، وقد تشكلت محاكم التفتيش من نوع جديد في الوقت الحاضر، تشكلها الدول المسيحية الكبرى في الغرب للوقوف بوجه الدول التي تحاول ان تخرج عن طوع تلك الدول المسيحية الغربية وتحاول ان تطور نفسها تحت مسميات كثيرة.

(١) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، المصدر السابق، ص ١١٨-١١٩.

## نتائج الثورة الإصلاحية:

إن الثورة الإصلاحية التي انتهت بخلق طائفة البروتستانت قد حققت جملة مبادئ منها:

١- أن يكون الكتاب المقدس هو المصدر للمنازعات، وأن يكون الحكم في كل تشريعات الكنيسة.

٢- أصبح من حق كل مسيحي أن يقرأ الكتاب المقدس ويفسره. بعد أن كانت الكنيسة الكاثوليكية تحرم عليه ذلك.

٣- إلغاء رئاسة الكنائس فلكل كنيسة بروتستانية رئاستها. ولرئيسها حق الإرشاد والتوجيه.

٤- ليس للكنيسة أن تغفر الذنوب.

٥- من حق الناس أن يترجموا الكتاب المقدس بأية لغة يفهمونها.

٦- لم يعد العشاء الرباني سراً مقدساً، بل عادة تذكر الناس بالسيد المسيح.

٧- إلغاء الرهبة وإباحة الزواج لرجال الكنيسة.

٨- لم يعد للتماثيل أهمية مقدسة. لذلك لم يعد السجود لها أمرا ضرورياً[١].

وقد حمل لواء الإصلاح الديني في الكنيسة البروتستانتية جملة من المفكرين ومن رواد الفكر المسيحي.

### مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦):

ولد مارتن لوثر في بلدة ابشلين في مقاطعة سكسونيا بألمانيا من أبوين فقيرين. أتم دراسته في دير القديس أوغسطين في أرفورت سنة ١٥٠٥م، وحصل على شهادة الماجستير. وبذلك استطاع التدريس في نفس الدير، وزار روما عام ١٥١٠م، واطلع على انحرافات البابا هناك، ثم عاد إلى ألمانيا ليعلن مبدأه القائل بعقيدة التبرير بالإيمان. فالإيمان في رأيه هو الذي يرجع الناس إلى فضل محبة

(١) أحمد شلبي، المسيحية، ص٢١٨.

الإله، لذلك قال: " السلام بالإيمان وحده والعمل الصحيح هو العمل الذي يستند على الكتاب المقدس لا على الأعمال التي يطلبها رجال الدين في روما من مسيحي أوربا" وقد اصطدم لوثر بفكرة بيع صكوك الغفران إذ يقول بأن النجاة والقصاص لا تأتي عن طريق شراء الصكوك أو عكسها وإنما تأتي عن الإيمان بالله. وقام بتعليق نشرة احتجاجية على مساوئ الكنيسة الكاثوليكية ورفع شعاره القائل " أن الغفران مرتبط بالإيمان برحمة الله لا عن طريق شراء صكوك الغفران " وأن الكتاب المقدس وحده هو القانون الذي يجب الاعتماد عليه في تفسير العقائد وفي المسائل المختلف فيها، وأنكر أن المجامع الكنسية منزهة عن الخطأ وأبدى رغبته بالزواج ودعى إلى زواج الرهبان.

أصدر البابا قراراً بحرمان لوثر أي مقاطعة الكنيسة والناس له وعدم منحه حق حرية الحياة في أي مكان. وكاد البابا أن يحرقه لولا مساندة حاكم المقاطعة له.

ولم يرفض لوثر عقيدة (الخطيئة) التي تقول الكنيسة بأن الإنسان توارثها عن آدم. ولكنه عارض الكنيسة في الخلاص منها. فهو يرى أن الخلاص مع الخطيئة والذنب لا يأتي إلا عن طريق الإيمان. وإن الله هو وحده صاحب الصفح. ويرى لوثر أن الإيمان هو الثقة الشخصية في المسيح وفي الخلاص الذي يقدمه الإنسان. وقال أن القسيس اغتصب مكان المؤمنين ويجب عكس هذه العملية. لذا فإن مركز البابوية والمناصب الدينية الكبرى لا تتطلب بالضرورة كهنة. بل أن العلمانيين يقومون بدورهم هذا لذا ركز على السلطة العلمانية.

**حركة لوثر كانت سياسية قبل كل شيء :**

ومن هنا فان حركة مارتن لوثر كانت حركة سياسية بقدر ما هي حركة دينية دعت إلى المساواة بين المسيحيين وإلغاء الامتيازات التي يتمتع بها الكهنة على غيرهم من أبناء الدين الواحد ويطالب بتسليم الأمور الدينية إلى رجال عاديين

ليسوا كهنة. وإن إلغاء امتيازات رجال الدين سبيل لانخراطهم في المجتمع الذي يعيشون فيه لأن هذه الامتيازات حالت بينهم وبين مجتمعاتهم التي ينتمون إليها.

ونلاحظ هنا أن لوثر بعمله هذا ركز على الشعور الوطني والقومي وأنه بنى أفكاره على أساس التصور السياسي للدولة الحديثة في أوروبا.

أوعز البابا للإمبراطور شارل الخامس بمعاقبة لوثر لأنه هرطقي كافر ملحد فطلب الإمبراطور منه أن يحضر مجلس ديني يعقد لدراسة أفكاره فادين عام ١٥٢٠م، وأصبح مهدور الدم. فطلب من (فردريك) حاكم منطقته مساعدته فقدم له الحماية فأخذه سنة كاملة في أحد الأديرة حيث عكف على ترجمة الأسفار المقدسة إلى الألمانية.

**آثار ترجمة الانجيل :**

وكان لترجمة الكتاب المقدس وأفكار لوثر أثر في ثورة الشعوب الأوروبية على السلطة البابوية. ومكن الحركة والاحتجاجية (اللوثرية البروتستانتية) أن تحصل على مركز قانوني[1].

| لم يكن مارتن لوثر هو الاصلاحي الوحيد في الكنيسة الا انه كان من الاوائل والذي ارتبط اسمه باسم بعض الكنائس البروتستانتية في الوقت الحاضر. |
|---|

**تاريخ البابوية:**

كانت الكنيسة قبل مؤتمر نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ للميلاد تمثل ملتقى للعبادة، يجتمع إليه المسيحيون في المناطق التي يتواجدون فيها. وكانت معظم الكنائس قبل ذلك التاريخ سرية.. وكان أكبرها في أية منطقة تتواجد، تمثل الرئاسة الدينية لتلك المنطقة فكانت رتبة البطريارك أكبر رتبة موجودة في الكنائس. فهناك بطريارك

(١) تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، ص٩٤-١٠٤.

روما وبطريارك أنطاكيا وبطريارك القدس وشمال إفريقيا وغيرهم وكانوا متساوين في الرتبة والمسؤولية. إلا أن دخول قسطنطين إلى روما منتصراً عام ٣٢١ للميلاد. قد غير تاريخ المسيحية الكثيرة، إذ لم يلبث أن أعلى دخوله في الدين الجديد بعد أن أعلن بعد ذلك ألا إيمان بدون الكنيسة فأصبحت المسيحية الديانة الرسمية الوحيدة في البلاد[١]، كما سبق أن ذكرنا وكان لقرب موقع الكنيسة الرومية من السلطة السياسية أثر في نمو مركزها الديني وأن تكون أهميتها مختلفة عن بقية الكنائس، وكان قرب تلك الكنيسة من مركز الإمبراطورية سبباً في منافسة الكثير من الكنائس لها.. فزاد هذا الحسد والمنافسة من الخلافات الكثيرة التي نشأت منذ انتشار المسيحية. فصارت قمة الخلافات في الكنيسة حول من يملك سلطة القيادة والتوجه الديني.

## نشوء الكنيسة الشرقية :

وكانت القسطنطينية من اكبر الكنائس منافسة لروما وذلك لما تملك من سلطة من مسيحيي الشرق من جانب وللمكانة التي يحتلها بطريارك كنيستها.. فمال الغربيون نحو روما بينما اعتصم الشرقيون بالقسطنطينية باحثين عن خلافات عقائدية لتغطية الخلافات الزمنية وذلك ما هدد وجود الكنيسة برمتها.. فبادر المسيحيون لعقد مؤتمر خلقدونية المسكوني " العالمي" المنعقد سنة ٤٥١ للميلاد. والذي خرج بقرارات تولت روما بموجبه قيادة مسيحي الغرب كما وتولت القسطنطينية توجيه مسيحيي الشرق وجعل كل من بطريارك روما وبطريارك القسطنطينية متساويين في الرتبة والمكانة أي أن تكون لهما سلطتان متساويتان.. [٢] وبذلك جنبوا الكنيسة انقساماً أكبر.. إلا أن ذلك الانقسام في الإدارة الدينية كان بداية لانقسامات أكبر وأخطر. ولقد ترك مؤتمر خلقدونية تأثيراً سيئاً على بطريارك روما الذي أحس بضعف في مركزه.. لذلك فقد عمل على رفع مكانة كنيسته بأن

---

(١) The Churrch in History, pp. 77-79.

(٢) المصدر السابق، ص٧٦.

أطلق عليها الكنيسة العالمية أو الكاثوليكية. أما لقبه فقد أبدل من البطريـــارك إلـــى لقب " البابا" والذي يعني "الأب" وبذلك فرض أبوته على بقية الكنائس وسمي البابا نفسه " ليو الأول" والذي توفي عام ٤٦١ للميلاد(١).

كانت الكنيسة الشرقية من اكبر المنافسين للكنسية الكاثوليكية. وكانت تبحث عن خلافات عقائدية تجعلها مستقلة في افكارها عنها.

**بدء النفوذ السياسي للبابا :**

وبعد أن أصبح رئيس الكنيسة الرومية " بابا" أو رئيساً للكنائس الكاثوليكية كلها.. فقد بدأ نفوذه الديني يقترب من النفوذ السياسي، إذ اخذ الأمـــراء والملـــوك والقادة المسيحيون بتقديم ولائهم للكنيسة مما أدى تبعاً إلى تحول السلطة الكنيسة إلى سلطة سياسية. فصار مصير الدول المسيحية وقادتها عالقاً على قبول ورضا بابـــا روما فلم يعد هنالك من ملك أو أمير يتوج إلا على يد البابا الذي يلبسه التاج بيديه. وكثيراً ما أقصى البابا ملوكاً وأمراء عن مناصبهم وعين آخرين يرتضيهم.

وكانت أقوى حادثة في تأريخ الكنيسة السياسي هي أقصاء البابا جريجوري السابع أو "هلدبراند" لإمبراطور ألمانيا هنري الرابع مـــن منـــصبه ســـنة ١٠٧٦م فاضطروه إلى القدوم من ألمانيا إلى روما مشيا على الأقدام ووقوفـــه علـــى بـــاب الفاتيكان ثلاثة أيام بلياليها بانتظار أن يأمر البابا بفتح الباب له.. وعندما سمح لـــه البابا بالدخول قبل قدميه وطلب منه المغفرة، فعفا عنه وأعاده إلى منصبه.

**السبي البابلي للكنيسة والأنقسام العظيم :**

وكانت السلطة السياسية قد أثرت تأثيراً كبيراً على نشوء الفكرة القومية في أوربا. فقد اعتادت كنيسة روما على انتخاب (بابا) إيطاليا.. فكان جميـــع الأمـــراء

(١) كوبر، الكنيسة عبر التاريخ، ص١٠٩.

والشباب الأوربي في الأقطار الأوربية المختلفة يشعرون بتبعية إجبارية لإيطاليا.. لذلك فقد حاول الكثير من مفكري العصور الوسطى الخروج على البابا إلا أنه كان يصدر مرسوماً بقتلهم أو حرقهم في شوارع المدن الأوربية، وكان أخطر حادث من هذا النوع حرقه للمفكر الهنكاري" جون هس" والذي دفع الشعور القومي الأوربي إلى الغليان. أما فرنسا. فقد كان الملك فيليب ملك فرنسا يشعر بانتقاص الإيطاليين لشخصه وللفرنسيين لذلك ثار على إيطاليا وذلك بجعله مدينة " أفينيون" عام ١٣٠٩ الفرنسية مقراً للبابوية بدلاً من روما[1] ثم عين بابا فرنسيا للكنيسة تكريساً للمشاعر القومية ودام ذلك حتى عام ١٣٧٦ وسميت عملية تغيير مقر البابوية بالسبي البابلي للكنيسة حيث شبه المسيحيون اختطاف البابوية إلى أفينيون بسبي البابليين ليهود فلسطين عام ٥٨٦ق.م. حيث جيء باليهود إلى بابل وذلك للتخلص من الشغب الذي كانوا يثيرونه في فلسطين. وفي سنة ١٣٧٨م، قامت إيطاليا بتعيين "بابا" إيطالياً للكنيسة فأصبح هناك " بابا" إيطالي وآخر فرنسي. فسمي هذا العصر الذي دام حتى عام ١٤١٧ بعصر الانقسام العظيم للكنيسة.

> بعد مجمع كونستانس عادت "الوحدة" إلى الكنيسة الكاثوليكية.. وبدونها تكون تلك الكنيسة معرضة الى انقسامات اكبر واكبر لانها كانت بحاجة إلى الاصلاح من داخلها.

## مجمع كونستانس يرأب الصدع :

وفي سنة ١٤١٧ للميلاد استطاع المسيحيون في مجمع كونستانس أن يقضوا على هذا الانقسام وأن يوحدوا البابوية ويعود للكاثوليك " بابا" واحداً بدلاً من اثنين. وعادت السلطات إلى البابا مع عودته إلى روما.. ولكن الغليان القومي قد

(١) المصدر السابق، ص ١٣٧-١٣٨.

اشتد في أقطار أوربا خاصة وأن عهدا جديداً سمي عهد النهضة (في النصف الثاني من القرن الخامس عشر) قد ساعد على الثورة القومية بشكل إيجابي وجدي.. فقد دخلت إلى الكنيسة الأمور الدنيوية وطغت على الجانب الديني. فأخت الكنيسة بشراء وامتلاك الأراضي والاستيلاء عليها وتعيين رجالاتً الكنيسة سادة يسخرون "العبيد" للعمل في تلك الأراضي واستغلال جهودهم.. إلى جانب ارتفاع الكنائس في عمارات لا زالت تشهد عليها أوروبا. بما فيها من زخرفة ورسوم وتماثيل.. وكانت الأموال التي تصرف على بناء هذه الكنائس تجيء من الأراضي أولاً ومن خلال بيع صكوك الغفران التي انتشرت في كل أوربا[١]. وصكوك الغفران هي شهادات تمنح إلى من يدفع كمية من المبالغ إلى رجال الدين في مقابل آمال لأن تغفر ذنوبهم يوم القيامة. أن تحول رجال الكنيسة إلى إقطاعيين ورجال مال وسياسيين يستعبدون الناس قد جعل النقمة الشعبية في كل أوربا تصل إلى ذروتها فامتلأت السجون بالمعتقلين وتطور الأوضاع السياسية فقد استغلت السلطات البابوية حادثة قد أثير حولها الغبار الكثير في ضواحي مدينة القدس في فلسطين[٢]. فقد هجم بعض الجنود السلاجقة على حجاج أوربين مسيحين إلى بيت المقدس فقتلوا منهم عدداً من الرجال وسرقوا أموالهم.. وكان ذلك الحادث فرصة كبيرة للبابا ليعيد بسط قوته وسيطرته على أوربا.. فقد أوعز إلى رجال الكنيسة أن يصرخوا في صلواتهم لطلب نجدة المسيحيين لنصرة الكنيسة وتحرير القدس من المسلمين.. وقد تم لهم ذلك فعلاً.. إذ تطوع الكثير من المسيحيين وخاصة الفقراء منهم تحت إغراء خيرات الشرق والغنى إلى جانب العامل الديني للذهاب إلى فلسطين وتحريرها من المسلمين.. وقد ضم جميع السجناء في أوربا إلى هذه الحملة (عام ١٠٩٦) مقابل حريتهم للمشاركة في – الحرب المقدسة – كما ذكرنا.

---

(١) انظر :الأديان تأليف شوبز، ص٣٢٧، وما بعدها.
(٢) راجع مختصر في تاريخ الكنيسة، ص١٥٠، وما بعدها.

لم تكن الكنيسة الكاثوليكية تحس بالمشكلة القومية.. فهذه المشكلة كانت هي الفتيل الذي فجر الوضع في كل الشعوب التي كانت تحت سيطرة الكنيسة.. والتي انتهت الى ما نراه في الوقت الحاضر.

**الحملات الصليبية في الداخل :**

وقد انشغلت البابوية في الفترة التي أعقبت الحروب الصليبية بإصلاح أحوالها في الداخل، فشنت حملاتها على كل المناهضين لها فأسست محاكم التفتيش والتي لاقى المسيحيون أنفسهم منها الأمرين.. فقتل الكثير منهم وشرد آخرون.. وحاولت البابوية عن طريق ذلك إعادة سلطاتها وقوتها على شعوب أوربا.

**ظهور الحركات القومية في أوروبا :**

إلا أن الحركة القومية وغليان الثورة قد بدأ بالتفجير في ألمانيا والنمسا وإنجلترا وغيرها.. فقامت على أثر ذلك الكنيسة الاحتجاجية أو البروتستانتية التي قاد ثورتها مارتن لوثر في ألمانيا وزفنجلي في النمسا وجون نوكس في إنجلترا.. ومنذ ذلك الوقت وحتى انتهاء الدولة البابوية.. لم تعد هنالك من الأمور الهامة المتعلقة بالبابوية مما يذكرها التاريخ، لأن البابوات قد انشغلوا في الحقيقية في إصلاح كنائسهم ومعتقداتهم واتباع أساليب جديدة في سياستهم المحلية. ويمكن أن نذكر أن مؤتمر روما عام ١٨٦٩م، قد أعلن عصمة البابا عن الخطأ وبذلك فقد أعطاه صفة أعلى من صفة البشر.

**نهاية الدولة الرومانية المقدسة :**

وقد كادت الدولة البابوية أن تنتهي بإنشاء الدول الأوربية المعاصرة إلا أن الدولة الإيطالية ضمت لها الفاتيكان عام ١٨٧٠ ووافقت على إعطائها مساحة معينة من أراضيها ضمن عاصمتها – روما – وأطلق عليها اسم دولة الفاتيكان. والتي أصبح البابا فيها حاكماً شبه سياسي، مستقل في إدارة دولته عن إيطاليا.

## العقائد المسيحية:

### ١- الالوهية

إن الأساس العام للعقيدة المسيحية أن لله ثلاثة أقانيم كما سيأتي ذكر ذلك الأقانيم الثلاثة الأب والابن والروح القدس، كلها واحد.. فالله قد حل في مريم وتجسد إنساناً بشكل يسوع كما تذكر الأناجيل. والآراء في تصوير جسده كثيرة متضاربة فقيل أن المسيح لم يكن إلهاً بل كان إنساناً ولد بالطبيعة من يوسف النجار ومريم[(١)]. نادى بذلك (أبيون) في أوشيلم في القرن الأول، وكذلك (كيرنثوس). وفي القرن الثالث نادى بذلك (بولص السميساطي) الذي أضاف إلى هذا القول أن المسيح قد حلت فيه الحكمة الإلهية. أما (فالنتينوس) فقال: أن المسيح نزل من السماء بجسد واجتاز من العذراء كما يجتاز الماء في القناة وقال (مركيون) أن المسيح أتى إلى عالمنا بهيئة جسد وقال (ماني) بأن المسيح لبس جسداص خيالياً. وعندما صلبه اليهود صلبوا الجسد الخيالي. وقال (أبوليناريوس) [(٢)] في القرن الرابع بأن اللاهوت مارس وظيفة الروح وامتزج بالناسوت واحتمل معه الصلب والموت. وقال اتباع (أبوليناربوس) من بعد أن جسد المسيح كان مساوياً في الجوهر للاهوت الكلمة. وعبد البعض مريم العذراء لحلول الروح القدس عليها وتجسد الكلمة فيها.

وهناك رأي يمزج الطبيعتين. فاستحال الناسوت وتلاشى في اللاهوت. ورأي آخر يفصل طبيعته اللاهوتية عن الناسوتية (وهذه هي العقيدة النسطورية) وحرمت كنيسة الإسكندرية في القرن الخامس فصل الطبيعيتن واعتبرت النسطورية كفراً وهرطقة. فالمسيح اقنوم واحد وليس اقنومين. وكان هنالك رأيان آخران حول تجسد المسيح وألوهيته. أحدهما يقول به الكاثوليك.. وهو اتحاد الطبيعتين لفظاً إله

---

(١) أن نسبه إلى يوسف النجار غير مقبول من الوجهة الإسلامية إضافة إلى أن الإنجيل ينسبه بنسب حدد بستة وستين نسباً إلى آدم صلى عليه السلام ويمر بفارص ولد الزنى من يهوذا بكنته وهذا مرفوض كذلك في العقيدة الإسلامية. والمفروض أن والده في هذا النسب هو الله حسب العقيدة المسيحية. (إنجيل متي، الاصطلاح الأول ١/١٧٧).

(٢) كان كل منهم يمثل طائفة له اتباع.

تام وإنسان تام. مولود بحسب اللاهوت من الأب وبحسب الناسوت من مريم العذراء. وهو معروف واحداً بطبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا ابتذال ولا باختلاطهما بل باتحاد شريف في الغاية"(١).

| ان مشكلة التوحيد مشكلة لم تستطيع الكنيسة التثليثية من حلها.. فالمسيح ابن الله وهو الله والجوهر واحد والالهة ثلاثة أب وابن وروح القدس كل له صلاحياته واختصاصاته. وكل واحد منهما اله من اله يحمل كل صفات الالوهية. ولكنهم جميعاً في الجوهر واحد. ويحار المرء في تفسير هذا المعنى.. والاصل في الكنيسة هو الايمان بما ذكرنا دون البحث عن تفسير له. |
|---|

وتعتبر المجامع الكنيسة المشرعة للعقائد المسيحية الملزمة للمسيحيين، ويمكن تلخيصها بما يلي:

**أولاً : مجمع نيقية:**

وقد عقد هذا المؤتمر سنة ٣٢٥م، بأمر من قسطنطين، وكان (آريوس) يقول بأن المسيح ليس إلهاً بل مخلوقاً عظيماً يفوق الآخرين وأن المسيح لم يكن أزلياً. وليس هو الجوهر كالأب الإله.. وكان (أثينسيوس) أحد المفكرين المسيحيين يرد على آريوس بأن المسيح يعتبر إلهاً أزلياً وهو من نفس جوهر الإله الأب وهو ابن الله، وبعد أن عقد هذا المؤتمر لفظ النزاع بين الكاهنين. خرج المؤتمرون بالقول بعقيدة اثينسيوس المؤيدة لأقوال بولص الرسول منقذاً. فلن تكون منزلته أقل من منزلة الإله.. وعلى أثر هذا المؤتمر أعلن أن آريوس واتباعه كفرة، فطردوا واضطهدوا من قبل الكنيسة الكاثوليكية وبقية الطوائف فيما بعد(٢).

---

(١) قصة الديانات، ص ٣٨٠-٣٨٤.
(٢) تاريخ الموازنة ص ١٨-١٩، وانظر حرب في الكنائس، ص٤٤-٤٦.

كان مجمع نيقية نقطة التحول الكبرى في تاريخ الكنيسة. ففيه تثبتت فكرة التثليث ومنه بدأت فكرة الدولة المسيحية المقدسة التي دعيت بها الدولة الرومانية بعدئذ.

ومن المعلوم أن الأناجيل قد كثرت وصار عددها يربو على الثلاثمئة إنجيل. وكان منها إنجيل برنابا الذي يشير إلى نبوءة محمد صلى الله عليه وسلم وأناجيل أخرى تدعو إلى التوحيد كان يعتمدها الآريوسيون. إلا أن المؤتمر قد اقتصر على المتشابه من الأناجيل والتي تؤيد العقائد (البولصية) وهي الأربعة الحالية وأمر المجمع بإحراق جميع الأناجيل الأخرى واعتبرها هرطقة وكفراً ومنع تداولها.

**ثانياً: مجمع القسطنطينية (المنعقد سنة ٣٨١م):**

ولم يعرض مجمع نيقية الذي عقد عام ٣٢٥م، للعنصر الثالث من عناصر الألوهية في العقيدة المسيحية الحاضرة وهو (الروح القدس)، ولم يبين حقيقة طبيعته أهو إله أم مخلوق، ومن ثم نشأ خلاف بين المسيحيين حول هذا الموضوع فظهرت فرق تقول بأن روح القدس ليس بإله. وإنما هو محدث مخلوق وكان من أشهر هذه الفرق اتباع (مقدونيوس) الذي كان بطريارك القسطنطينية في القرن الرابع الميلادي فاجتمع من أجل ذلك في القسطنطينية سنة ٣٨١م، مجمع آخر اشتهر باسم المجمع القسطنيطي الأول. وكانة عدد أعضائه مائة وخمسين أسقفاً.

وانتهى المجمع بإقرار الرأي القائل بألوهية روح القدس[1]. وكانت كنيسة الإسكندرية من أشد الكنائس تعصباً لهذا الرأي. كما كانت من أشدها تعصباً للرأي القائل بألوهية المسيح ولذلك كان لأقوال بطريارك الإسكندرية والحجج التي أدلى

(١) المسيحية والحضارة العربية، ص ٢٦.

بها في هذا المجتمع أثر كبير في توجيهه إلى هذا القرار. ويصف ذلك ابن البطريق فيقول "قال ثيموثاوس بطريارك الإسكندرية في هذا المجمع: ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله وليس روح الله شيئاً غير حياته. وإذا قلنا أن روح القدس مخلوق فقد قلنا أن روح الله مخلوق. وإذا قلنا أن روح الله مخلوق فقد قلنا أن حياته مخلوقة. وإذا قلنا أن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا. ومن كفر به وجب عليه اللعن واتفقوا على لعن مكدونيوس فلعنوه هو وأشياعه. ولعنوا البطاركة الذين يكونون بعده ويقولون بمقالته". ويوضح ابن البطريق نص القرار الذي اتخذه هذا المجمع بشأن ألوهية روح القدس في العبارة الآتية:

"زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمائية والثمانية عشر أسقفاً الذين اجتمعوا في نيقية (ويشير إلى ما قرره مجمع نيقية الأول بشأن ألوهية المسيح) الإيمان بروح القدس الرب المحيي. وأثبتوا أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاثة خواص وحدية في تثليث في وحدية. كيان واحد في ثلاثة أقانيم" وقد تلخص عقيدة التثليث التي انتهت إليها قرارات المجمعين السابقين وما يتصل بها من الاعتقاد بصلب المسيح لتكفير الخطيئة الأزلية وبعثه ورفعه إلى السماء ومحاسبته الخلق يوم القيامة بما يلي:

١- بإله واحد أب ضابط الكل خالق السماء والأرض صانع ما يرى وما لا يرى.

٢- وبرب واحد يسوع، الابن الوحيد المولود من الأب قبل الدهور من نور الله إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. مساو للأب في الجوهر الذي به كان كل شيء. الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خطايانا نزل من السماء وتجسد في روح القدس ومن مريم العذراء. وصلب حياً على عهد بيلاطس. وتألم وقبر. وقام من الأموات في اليوم الثالث على ما في الكتب

وصعد إلى السماء وجلس على يمين الرب. وسيأتي بمجد ليدين الأحيـــاء والأموات ولا فناء لملكه.

٣- والإيمان بروح القدس، المحيي[١].

| من خلال المجامع الكنسية نتبين ان جميع العقائد المسيحية قد نبعت عن اجمـــاع المجتمعين في هذه المجامع ( المؤتمرات ) وانه ليس هناك أية عقيدة قد نزلت من السماء كما هو الحال في الإسلام. |
|---|

**ثالثاً : مجمع أفيسوس:**

عقد المؤتمر في سنة ٤٣١م لفض النزاع بين البطريارك (أوغسطين) وبين القس الإنجليزي (بيلاغيوس). حيث أعلن الأخير أنه لم تكن هنالك خطيئة ســـرت عن طريق آدم إلى الإنسان ولذلك فإن الطفل يبـــدأ حياتـــه بريئـــاً لا مخطئـــاً وأن الأعمال هي التي تجعل الإنسان مذنباً ولا تمحي الذنوب إلا برحمة ومغفرة الإله.

وقد تصدى له بالنقد والتجريح البطريارك أوغسطين تثبيتاً لعقيدة الإنجيـــل التي تقول بأن الإنسان ولد عن طريق آدم وسرت الخطيئة الأولى في دمـــه، وقـــد صلب السيد المسيح -حسب عقيدة الإنجيل- وتعذب من أجل إزالة الخطيئة الأولى عن البشر ولن تزول تلك الخطيئة إلا عمن يؤمن بالكنيسة والسيد المسيح. وقد عقد المؤتمر المذكور للنظر في جملة الأمور هذه فانتهى إلى إدانة بيلاغيوس واعتبـــار كلامه كفراً. وثبتت الكنيسة معتقدات أوغسطين.

**رابعاً : مؤتمر خلقدونية:**

ولم تكن الكنيسة قد توصلت إلى فهم كامل لشخص المسيح، حيث أن الكتب المقدس قد وصفت المسيح بالأولوهية إلى جانب كونه إنـــساناً. حيـــث أنـــه مـــن الضروري لكي يكون منقذاً أن تكون له صفة إنسانية وصفة إلهية. وكانت هنالـــك

---

(١) الاسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١١٠-١١٢.

حماية اختلافات في معتقدات الكنيسة عن العلاقة ما بين الطبيعتين. فلأجل التوصل إلى خطوط عامة مشتركة فقد عقد مؤتمر خلقدونية سنة ٤٥١م، فتوصل المؤتمرون إلى القول بأن للمسيح طبيعتين ومشيئتين إحداهما إلهية والأخرى بشرية وأنهما يجتمعان بشخصيته فقط دون اضطراب أو تغيير أو انفصام أو تفرقة وأن المسيح عليه السلام شخص واحد وليس شخصين.

أصبحت معظم المجامع التي عقدت بعد استقرار الدولة البابوية تعقد في روما وبعض قراراتها كانت تثير الحيرة اذ ان تلك المجامع قد توصلت في وقت قريب الى ان البابا معصوم عن الخطأ.

**خامساً: مجمع روما:**

عقد في سنة ٨٦٩م، فاتخذ عدة قرارات أهماه:

١- إن المؤتمرين اعتبروا الروح القدس منبثقاً عن الأب والابن.

٢- أن تكون الكنيسة في روما هي الحكم الفاصل في المنازعات المسيحية.

٣- أن البابا في روما هو صاحب الكلمة التي يخضع لها مسيحيو العالم.

وكان هذا المؤتمر سبباً في انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية. إذ أن الكنيسة الشرقية ترفض تحكيم روما في أية قضية. ولذلك اعتبرت بطريارك القسطنطينية موازياً لشخص بابا روما، وفي سنة ٨٧٩م، عقد مجمع في القسطنطينية عارض فيه القرار الأول الذي أصدره مجمع روما عام ٨٦٩م بأن الروح القدس منبثق عن الأب فقط.

وعقد مجمع روما لسنة ١٢١٥م: الذي أعلن فيه المجتمعون أن للبابا حق منح الغفران من الذنوب لأتباع الكنيسة.

وعقد مجمع كونستانس عام ١٤١٧م: الذي أنهى الانقسام البابوي وإعادة وحدة الكنيسة وتعيين (بابا) واحد لها في روما بدلاً من اثنين كما حصل على أثر السبي البابلي للكنيسة والذي مررنا ذكره.

كما عقد مؤتمر روما لعام ١٨٦٩م، والذي أعلن فيه المؤتمرون عصمة البابا عن الخطأ.

وعقد مؤتمر روما لعام ١٩٦٠م (والذي يسمى الفاتيكان٦) والذي يعتبر من أخطر المؤتمرات لاحتوائه موضوعاً سياسياً رغم ارتدائه ثوباً عقائدياً. فقد عملت الصهيونية العالمية المستحيل من أجل إصدار وثيقة من الفاتيكان بتبرئة اليهود من دم السيد المسيح. حيث هم متهمون فيه تاريخياً. وتعتبر الوثيقة التي أصدرها هذا المؤتمر تحت زعامة البابا بولص السادس من البدايات المهمة التي عبدت طريق المؤتمرات اليهودية والمسيحية لإيجاد صيغ للتفاهم والوئام ما بين الدينين وتتوجت تلك الصيغ لقيام البابا بحج الأماكن المقدسة بمدينة القدس بشطريها عام ١٩٦٤م[١].

**٢- النبوة :**

جاء ذكر النبي في العهد الجديد مرة واحدة في وصف المسيح عليه السلام دون توضيح لمعنى هذه الكلمة. ولا ذكر للنبوة او معناها عندهم لأنهم ألهوا السيد المسيح ولكن لفظ الرسول ورد كثيراً في وصف القديسين. وقد ذكرت المجامع الكنسية بان الرسل من القديسين قد اوحى لهم كتابة الاناجيل. ولم توضح كلمة "الرسل" هي الاخرى عندهم وهي لا تشبه النبوة عند اليهود ولا عند المسلمين.

**٣- الاخرة :**

جاء ذكر (يوم الدينونة) كثيراً في العهد الجديد. ومن هذا اليوم يدان فيها من كفر بالتثليث وبالمسيح الابن. فالكافر بهما يذهب إلى النار. اما المؤمنون بهما فيذهبون الى الجنة الا ان تفصيلات الجنة والنار غير موجودة وغير واضحة لديهم.

---

(١) المسيحية. د. أحمد حلمي شلبي، ص١٦٦-١٦٧، وانظر بحث مختصر في تاريخ الكنيسة ص١٥٥-١٥٨.

فالجنة يدخلها كل مسيحي يؤمن بالمسيح الذي هو ابن الله، الاقنوم الثاني لله الجوهر رغم كل المساويء التي يأتي بها النصراني، اذ يكفيه ان يعترف بهـا امـام قـس الكنيسة الذي يغفر له ذنوبه ومن ثم يدخل الجنة بعد مماته.

**الأسرار السبعة للكنيسة:**

أما ما يسمى بالأسرار الكنسية، فهي علامات ظاهرة تقول الكنيسة بأنها وقد وضعت من قبل السيد المسيح عليه السلام لأجل الحصول على العنايـة الإلهيـة والرحمة وهي:

١- التعميد : وهو سكب الماء المقدس على الشخص الذي يروم الدخول إلـى المسيحية أو الطفل. وهي علامة على تطهيره من الخطايا.

٢- التثبيت : أي حلول روح القدس في الشخص الذي دخل المسيحية.

٣- التوبة : وهي نيل المغفرة من الخطايا التي يرتكبها المسيحي بعد التعميد، ولكي تكون التوبة صحيحة يزور المسيحي الكنيسة ويؤدي بعض الأدعية ويدفع فدية أو صدقة يوافق عليها القسيس.

٤- التناول : أي تناول الخبز والنبيذ تشبهاً بالعشاء الرباني الأخيـر والخبـز يرمز إلى لحم السيد المسيح والنبيذ إلى دمه.

٥- مسحة المرضى : وهي مسح المريض عندما يشرف على الموت لتقويـة الإيمان.

٦- الكهنوت : أي تبريك الأسقف لرجال الدين الذي يدخلون هـذا السلك أي منحهم البركة والرحمة والعزيمة في أداء واجبهم الديني المقدس.

٧- سر الزواج : لأن الزواج صـلة مقدسـة يجـب ألا تنفـصم بالوسـائل البشرية[١].

---

(١) تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية ص١٧٤-١٧٥.

**الطوائف المسيحية:**

**الطوائف الموحدة: (البائدة):**

١. **فرقة أبيون** : كانت تقر جميع شرائع موسى عليه السلام وتعتبر عيسى عليه السلام هو المسيح المنتظر الذي تحدثت عنه أسفار العهد القديم وتنكر ألوهية المسيح وتعتبره مجرد بشر رسول. وكان لهذه الفرقة في تفاصيل عقائدها هذه إنجيل خاص مدون باللغة الآرامية. وتم انقراض هذه الفرقة في أواخر القرن الرابع الميلادي[١].

٢. **فرقة السيمساطي** : والذي كان أسقفاً لأنطاكيا سنة ٢٦٠م، فإنه أنكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول وقد عقد بأنطاكيا من سنة ٢٦٤-٢٦٩، ثلاثة مجامع للنظر في شأنه وانتهى الامر بحرمانه وطرده وقد بقي لمذهبه اتباع على الرغم من ذلك حتى القرن السابع الميلادي. ويذكر ابن حزم في كتابة (الفصل في الملل والأهواء والنحل) عن بولس هذا أنه كان بطرياركاً بأنطاكيا وكان دينه التوحيد المجرد الصحيح وأن عيسى عليه السلام خلقه الله في بطن مريم من غير ذكر. وأنه إنسان لا ألوهية فيه وكان يقول: لا أدري ما الكلمة (أي الابن) ولا (روح القدس). ويقول ابن البطريق في بيان مذهبه: (أن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم (أي أنه محدث وليس قديماً). ويقول أن الله جوهر واقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة (أي الابن) ولا (بروح القدس). وهي مقالة بولس السيمساطي وقد يدعى أتباعه البوليقانيون) [٢].

٣. **الآريوسيون**، فهم أتباع (آريوس) Arius – الذي سبق لنا ذكره – وكان قسيساً في كنيسة الإسكندرية، وداعياً قوي التأثير واضح الحجة جريئاً في المجاهرة برأيه. وقد أخذ على نفسه في أوائل القرن الرابع الميلادي مقاومة كنيسة

---

(١) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص ١٠٨.
(٢) الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص١٠٨.

الإسكندرية فيما كانت تذهب إليه من القبول بألوهية المسيح ونبوته للأب. فقام يقرر أن المسيح ليس إلها ولا ابنا لله وإنما هو بشر مخلوق وأنكر جميع ما جاء في الأناجيل من العبارات التي توهم ألوهية المسيح، ويلخص ابن البطريق مذهبه فيقول" كان يقول أن الأب وحده الله والبن مخلوق مصنوع وقد كان الأب حيثما لم يكن الابن " وقد تبعه مشايعون كثيرون. فقد كانت كنيسة أسيوط على هذا الرأي وعلى رأسها (ميليتوس). وكان أنصاره في الإسكندرية نفسها كثيرين في العدد أقوياء في المجاهرة فيما يعتقدون. كما تبعه خلق كثير في فلسطين ومقدونياً والقسطنطينية. وذلك على الرغم من حكمها عليه بالطرد من الكنيسة. وقد أصبح مذهباً لدول مسيحية قوية في شمال أفريقيا وجنوب أوربا. إلا أن المذهب هذا أخذ يضمحل ويتناقص عدد أتباعه أواخر القرن الخامس الميلادي[1].

عادت الكنيسة الاريوسية الى الظهور وربما الانتشار في الوقت الحاضر.. فقد اطلق اسمها على كنيسة في لبنان، وربما كانت الاريوسية هي الكنيسة الوحيدة الموحدة التي بقيت حيّة في عالم المسيحية الى الآن.

**الطوائف التي تؤمن بالتثليث:**

**أ- الفرق الكنسية القديمة:**

والفرق القديمة المشهورة في الديانة المسيحية هي (اليعقوبية) أصحاب يعقوب و(النسطورية) أصحاب نسطوريوس أو نسطور و(الملكانية) أي الذين كانوا على دين الملوك الرومانيين.

وقد اتفقت هذه الفرق الثلاث على " أن الخالق الإله جوهر واحد ثلاثة أقانيم. وان أحد هذه الاقانيم أب والآخر ابن والثالث روح القدس".. وهي نفس

(١) المصدر السابق، ص١٩٠، المسيحية والحضارة العربية، ص٢٦-٢٧.

عقيدة الفرق الكنسية المعاصرة. تقول اليعوبية والنسطورية بأن الأقانيم الثلاثة هي الجوهر والجوهر هو الأقانيم. أما الملكانية فتقول أن القديم جوهر واحد ذو ثلاث أقانيم وأن الأقانيم هي الجوهر والجوهر هو الأقانيم[1].

واختلفوا في المسيح والاتحاد، فزعمت النسطورية أن المسيح إله وإنسان (أي ماسح وممسوح) اتحدا فصاراً مسيحاً واحداً ومعنى اتحدا أنه صار من اثنين واحد. والصحيح عندهم على الحقيقة جوهران اقنومان. جوهر قديم لم يزل وهو الكلمة التي هي أحد أقانيم الإله. وجوهر محدث كان بعد إن لم يكن وهو يسوع المولود من مريم، ويقال بدل كلمة " اتحد" تجسد أو تأنس أو تركب.

وذهبت الملكانية إلى أن للمسيح جوهران أحدهما قديم والآخر محدث. وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين جوهر الإله القديم والآخر جوهر الإنسان فاتحدا وصارا جوهراً واحداً وأقنوماً واحداً وقال بعضهم صاراً طبيعة واحدة. أي أن الجوهر العام اتحد بالإنسان الكلي.

واختلفوا في الصلب والقتل بعد اتفاقهم على وقوع الصلب والقتل ذاته فزعمت النسطورية أن الصلب وقع على المسيح من جهة ناسوته لا من لاهوته (أي أن من صلب هو الإنسان لا الإله).

وزعم أكثر الملكانية أن الصلب وقع على المسيح بكماله، والمسيح هو اللاهوت والناسوت. كذلك ذكرت أكثر اليعقوبية أن الصلب والقتل وقعا في الجوهر الواحد الكائن من الجوهرين اللذين هما الإله والإنسان. لأن المسيح في الحقيقة هو الإله وقد اتفقت الفرق الثلاثة أن المسيح يعبد ويستحق ذلك فمنهم من قال بأنه يعبد بكماله ومنهم من قال أنه يعبد من جهة لاهوته.

---

(١) المسيحية والحضارة العربية، ص٢٨-٣٢.

**الطوائف المسيحية المعاصرة:**

ويمكن اختصارها بما يلي:

١. **الكاثوليك:** والكنيسة الكاثوليكية هي الكنيسة الغربية أو اللاتينية أو البطرسية أو الرسولية ومعناها (الكنيسة العالمية) ويقول قادتها بأنهم المسؤولون عن نشر الدين والتبشير به بين الناس وتتبع هذه الطائفة النظام البابوي الذي يرأسه البابا وهنالك مجلس أعلى يضمه النظام البابوي يسمى (مجلس الكرادلة) له حق إصدار أنظمة الكنيسة. وأصبح البابا ممثلاً للسيد المسيح أو الله في الأرض. وفي نهاية القرن التاسع عشر. صدر مرسوم عن المؤتمرات الكنيسة يقول بعصمة (بابا روما) لذلك أصبحت كلمته ملزمة.

٢. **الكنيسة الشرقية أو (الأرثوذوكس):** اتباعها في البلدان الشرقية كروسيا واليونان ومسيحيو البلاد العربية والشرقية. انفصلت عن كنيسة روما منذ عام ١٠٥٤م، ولها عدة كنائس مستقلة في إدارتها وهنالك أسباب كثيرة لنشوء هذه الكنيسة منها:

أ- محاولة الشرقيين الحفاظ على عدم الامتزاج بأفكار الوثنين في أوربا والتي جاملتهم فيها الكنيسة الكاثوليكية. إلا أنها لم تنج منها وبقيت خلافاتهما شكلية وسياسية (أي إدارية لشؤون الكنيسة) فقد كان الغرض تثبيت سلطة الدولة البيزنطية التي انفصلت عن الإمبراطورية الرومانية. أي أن أحد أسباب نشوء هذه الكنيسة كان سبباً سياسياً.

ب- وكان من أسباب بقاء وتوسع الكنيسة الشرقية هو عدم رغبتهم في الخضوع إلى إرادة الباب في روما والذي كان يصر على أن يتبعه كل المسيحيين في العالم.

ج-ومن الأسباب العقائدية أن الكنيسة الغربية كانت تقول أن روح القدس قد نشأ عن الأب والابن معاً. بينما ترى الكنيسة الشرقية أنه نشأ من الابن وحده. كذلك فإن الكنيسة الشرقية تجعل الأب أفضل من الأب بينما كانت

الكنيسة الغربية ولا زالت تجعل منه مساوياً للأب. أما المشيئة فإن الكنيسة الشرقية تعتقد بأن للمسيح طبيعة واحدة ومشيئة واحدة. بينما تصر الكنيسة الغربية على أنه له طبيعتين ومشيئتين[١].

٣. **الكنيسة البروتستانيتية (الاحتجاجية)**: أو الكنيسة الإنجيلية. أي الذين يعتبرون الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية. وبمعنى آخر فإنها تستغني عن القرارات التي يصدرها البابا وقد تأسست هذه الكنيسة بعد الثورة الإصلاحية. ولهذه الكنيسة أتباع كثيرون في إنجلترا وهولندا وألمانيا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية والدانمارك[٢].

**الكتب المقدسة عند النصارى :**

للمسيحيين ثلاثة مصادر رئيسية لعقيدتهم الكنسية. تتمثل في الكتب المقدسة التالية:

**العهد القديم**: ويعتبر كتاباً في الأدب المقدس عند النصارى وقد سمي عند النصارى باسم العهد القديم تفريقاً له عن الاناجيل التي اطلق عليها لفظ العهد الجديد. وقد سبقت الإشارة إلى العهد القديم في دراستنا لليهودية.

| يعتبر العهد القديم كتاباً في الادب المقدس عند النصارى ولا يعمل عندهم في اكثر نصوصه لان معظمه يخالف العقائد التثليثية المسيحية. |
|---|

**العهد الجديد**: وهو مجموعة الاناجيل التي يؤمن بها المسيحيون لأنه يحوي ماله علاقة بالعقيدة الجديدة التي جاء بها السيد المسيح. ويعتقد الكثير من المسيحيين بأن رسالة السيد المسيح موجودة بنصها فيها. أما رسالة السيد المسيح نفسه فلس لها

(١) المسيحية، أحمد شلبي، ص٢٠٥-٢٠٦.
(٢) المصدر السابق، ص ٢٠٧. وانظر موسوعة الاديان والمعتقدات القديمة، ص٢٨٩-٢٩٣.

وجود مستقل عندهم، وقد رويت هذه الكتب عن طريق أشخاص روحانيين لهم كراماتهم وهي أناجيل أربعة قانونية وشرعية معترف بها من قبل كل المسيحيين.

وكان مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥م، قد أقر هذه الأناجيل وحرم ما يربو على السبعين إنجيل آخر كان من بينها الاناجيل الموحدة.

ثم أقرت الكنيسة عام ٣٦٤م، مجموعة من رسائل الحواريين لتطلق عليها اسم رسائل الرسل وتضمها إلى الأناجيل الأربعة ليتشكل منها العهد الجديد من الكتاب المقدس[١].

**أ-الأناجيل:**

١- إنجيل متى: مؤلفه الرسول متى أحد الحواريين الإثنى عشر، وإنجيله أقدم الأناجيل. يعود تأليفه إلى سنة (٦٠) بعد الميلاد، ألف باللهجة الآرامية الفلسطينية الحديثة[٢]. أما الإنجيل الذي وصلنا فكان مترجما باليونانية. وقيل أن مترجمه كان يوحنا صاحب الإنجيل الرابع.

٢- إنجيل مرقص: مؤلفه القديس مرقص. أحد التلاميذ السبعين ألفه سنة ٦٣ وقيل ٦٥ للميلاد باللغة اليونانية. وقد تم تأليفه تحت إشراف أستاذه بولص رئيس الحواريين وبإرشاده.

٣- إنجيل لوقا: مؤلفه القديس لوقا. أحد التابعين. ألفه حوالي ٦٣ وقيل ٦٥ للميلاد باللغة اليونانية. وقيل بأن القديس لوقا كان مصريا وقيل يونانيا.

٤- إنجيل يوحنا: ألفه الرسول يوحنا أحد الحواريين الإثنى عشر باللغة اليونانية وكان تأليفه حوالي سنة ٩٠ للميلاد لذلك يعتبر أحدث الأناجيل نظرا للفترة الزمنية التي تفصل تأليف بقية الأناجيل[٣].

---

(١) المسيح في مصادر العقائد المسيحية الفصل الأول، ص١٥-٣٢.
(٢) الأسفار المقدسة، ص٧٦.
(٣) المصدر السابق، ص٧٦-٧٩.

وتشتمل الأناجيل الأربع على موضوعات خمس هي، القصص والعقيدة والشريعة والأخلاق والزواج.فتشغل القصص الحيز الأكبر في تأليفه، ومن تلك القصص. حمل مريم العذراء بعيسى عليه السلام وخطبتها ليوسف النجار. ثم قصة يوحنا المعمدان وتبشيره بظهور المسيح وصلب المسيح ورفعه إلى السماء وغيرذلك.

اما الانجيل الذي انزل على السيد المسيح والذي يتحدث عنه القرآن الكريم فلم يعد المسيحيون يتحدثون عنه او يذكرونه. وأما العقائد في العهد الجديد فتدور حول المسيح وألوهيته وبنوته للأب والأقاليم الثلاثة وصلب المسيح والخطيئة الأزلية وتوليه حساب الناس يوم القيامة.

وفيما يتعلق بالشريعة، فإقرار المسيحية بشريعة اليهود ووصيته في الجبل (خطبة الجبل) والتي ألغى فيها بعض تشريعات موسى عليه السلام كالطلاق وإلغاء ما اشتهر عن موسى علية السلام من قول (العين بالعين والسن بالسن). فدعا الناس أن تعطي خدها الأيسر لمن يضربها على الأيمن وإلغاء حد الزنى (الرجم) والاكتفاء بأخذ العهد على عدم العودة إليه.

أما في الأخلاق، فقد تحدث السيد المسيح عن العفو ودفع السيئة بالحسنة وتقديم الخير للناس والدعاء لهم بالهداية وتقديم العون للمحتاج وغير ذلك من الأمور. وأما ما يتعلق بالزواج مع التزام العفة.

وكانت هنالك طوائف مسيحية كالمارسينيون، قد حرموا الزواج.

والأناجيل، وإن كانت تتفق في النقاط التي ذكرناها إلا أنه توجد فيها الخلافات كنسب المسيح إذ تختلف الأناجيل في رواية نسبه حتى تصل في بعضها أن تجعله ابنا ليوسف النجار (كما جاء في متى). وهنالك خلاف في حادث القبض

على السيد المسيح عليه السلام فيروي كل إنجيل رواية تختلف عن رواية الإنجيل الثاني[1].

**ب-رسائل الرسل ورؤى يوحنا:**

وتتضمن أعمال الرسل، والرسل عند المسيحيين هم الحواريون لأن الرب أرسلهم إلى الأمم لتعليمهم باسم الأب والابن والروح القدس، ويتفق هذا القسم من الكتاب المقدس مع الأناجيل الأربعة التي مررنا على ذكرها في أن موضوعها الرئيس موضوع تاريخ لأن الموضوع الأساسي للإنجيل، هو تاريخ المسيح وتاريخ أنصاره من بعده.

ويتناول الكتاب شؤون العقيدة والشريعة عرضا، وبمقدار اتصالها بموضوعه التاريخي الذي ذكرناه[2].

وقد اعتمدت الكنيسة هذه الرسائل سنة ٣٦٤هـ.

كذلك رؤى يوحنا اللاهوتي الذي يتألف من اثنين وعشرين إصحاحاً وقد جعل آخر قسم من أقسام الإنجيل (العهد الجديد). ورؤى يوحنا تؤكد عقائد الكنيسة التي مررنا على ذكرها. وهناك دراسة للاستاذ عابد توفيق الهاشمي يرى فيها ان هذا القسم من الرسائل يتحدث عن ظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

---

(١) تناول تلك الخلافات د. على عبد الرزاق وافي في كتابه الأسفار المقدسة، ص٧٦-٨٦، بصورة وافية.

(٢) الأسفار المقدسة، ص١٠٠.

# والمجـــوس ..

﴿سنّوا بهـم سنة اهل الكتاب﴾

حديث شريف

# والمجـوس

هل تعتبر المجوسية في الوقت الحاضر ديناً سماوياً؟

الجواب: كلا .

ولكن هل كانت كذلك في السابق؟ فلقد افردها الله تعالى بالذكر دون يتركهـا مع الذين اشركوا، ولم تجعلها مع الذين آمنوا لانها لا تحمل معنى التوحيد.

دستور اسلامي واحد يعتبر المجوسية ديناً سماوياً واتباعها اهـل الكتـاب.

ولكن بقية الدساتير تتجاهل ذكرهم اصلاً، فوجودهم محدود ببعض الاقطار.

كان اسم (المجوسية) هو ما يطلق على الديانة الزرادشتية وتنسب الديانـة إلى زرادشت الذي ولد حوالي ٦٦٠ وتوفي ٥٨٣ ق.م ويقول الشهرستاني: أن أباه من أذربيجان وأمه من الري[١]. ويكاد يتفق المؤرخون على أنه ولد في الناحية الغربية الشمالية من البلاد الفارسية على شاطئ نهر يسمونه في الكتب المجوسية (داريزا). وعرف أخيراً باسم (آراس)[٢]. وعنـدما بلـغ السابعة من عمره أرسل بعيدا ليدرس مع (يورزين-كوروس) الذي امتـدت شهرته بالحكمة في جميع أنحاء إيران وظل زرادشت ثمانيـة أعـوام مـع الحكيم بورزين حيث لم تقتصر دراسته معه على العقيدة بل تعـدتها إلـى الزراعة وتربية الماشية وعلاج المرضى[٣].

سنحاول في هذه الوحدة أن نستعرض تاريخهم وتطور عقيدتهم لنصل الـى الحقيقة التي قد تمكننا من ان نعرف وضعهم الشرعي.

---

(١) الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٤١، وانظر: عبد النعيم حسنين، حضارة مـصر والـشرق الأدنى، ص٤٤٦.

(٢) العقاد، الله ص٩٣.

(٣) مظهر، قصة الديانات، ص٢٨٢.

# الزرادشتية

**الخير والشر عند الزرادشتية :**

تطوع زرادشت في حرب نشبت بين الفرس والتورانيين وهو في حوالي الخامسة عشرة من عمره لمعالجة المرضى والجرحى من الجنود وانتشرت المجاعة واشتد المرض وازدادت الفاقة في جميع أنحاء بلاد فارس ووضع جهده وخبرته في خدمة أبناء وطنه، وانقضت خمسة أعوام كرس فيها زرادشت كل وقته لذلك العمل النبيل.

وعاد بعدها إلى موطنه وتزوج -بناء على رغبة أبيه- من فتاة حسناء اسمها (هافويه) ورفض زرادشت رغبة أبيه في أن يستقر ويعمل فلاحاً ومربي ماشية، وواصل عمله في خدمة المرضى وتخفيف آلام الناس.. ومن خلال عمله هذا أحس أن آلام الناس وأحزانهم لا تنتهي. ومن هنا بدأ يتساءل: من أين تجيء كل هذه الشرور إلى العالم؟ وراح زرادشت يتمنى لو أنه يعرف مصدر ذلك العناء الذي يواجهه الناس. إذن لاستطاع أن يحقق حلمه في جعل كل الناس سعداء[1].

> كما أن اليوم يتألف من نهار وليل، نور وظلام فالعالم ايضاً يتألف من الخير والشر فالخير لابد أن يكون خيراً دائماً والشر لابد ان يكون شراً دائماً.

استحوذت فكرة معرفة مصدر الخير والشر على عقل زرادشت وامتلكت كل جوارحه فلم يعد يطيق مواصلة عمله والاستقرار في بيته مع زوجته وبناته

(١) انظر: المصدر السابق، ص٢٨٢، ٢٨٣.

وقرر اعتزال الناس فترة من الوقت يعيش خلالها ناسكا يفكر في الخير والشر عله يقف على مصدرها ويخلص الناس من العناء الذي يواجهونه في حياتهم.

وهناك في جبل (سابلان) ظل وحيداً يفكر ويحاول أن يفهم سر هذا العالم فكر في كل ما تعلمه، واستعرض جميع تجاربه بين الناس، ولم يستطع بادئ الأمر أن يجد في كل ذلك ما يفسر له عالم الخير والشر، حتى كاد ييئس ويتخلى عن بحثه وينهي عزلته، ويعود إلى بيته، ومع غروب الشمس وعندما أخذ الظلام يرخي سدوله، انقدحت في ذهن زرادشت فكرة ابتهج لها ابتهاجاً عظيماً واعتقد أنه وقف على مصدر الخير والشر. وأحاط علماً بسر الحكمة.

وجوهر فكرته هو: كما أن اليوم يتألف من نهار وليل، نور وظلام فالعالم أيضاً يتألف من الخير والشر، وكما أن الليل والنهار لا يمكن أن تتغير طبيعتهما، النهار منير والليل مظلم، فكذلك لا يمكن أبداً للخير أن يصبح شراً ولا للشر أن يصبح خيراً.

(الخير لا بد أن يكون خيراً دائماً، والشر لا بد أن يكون شراً دائماً)[1].

واستنتج زرادشت من ذلك أن عبادة الأوثان والأصنام والتقرب لآلهة الخير لتوقع الشر والهزيمة بالأعداء ولآلهة الشر لتصنع لهم خيراً خطأ فآلهة الخير لا يمكن أن تصنع شراً، وآلهة الشر لا يمكن أن تفعل خيراً، وهكذا آمن زرادشت بأن العالم تحكمه قوتان: خير واحد وشر واحد وبأن (أهورامزدا) هو قوة الخير، و(أهرمان)[2] هو قوة الشر، ولكن لماذا خلق الخير ولماذا خلق الشر؟ وما الذي يفعله الناس حتى يقضوا على الشر؟.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٨٥، وبرستيد، انتصار الحضارة ص٦٠، ترجمة الدكتور أحمد فخري.

(٢) أهريمان أهرمن هو الشيطان في الديانات المنزلة.

لم يصغ اهل فارس الى تعاليم زرادشت ولم يكن لديهم استعداد لتقبلها لانهم كانوا قد الفوا الهتهم واصنامهم.

**رحلة زرادشت السماوية :**

أخذ زرادشت يفكر في ذلك وتقول مصادر الزرادشتية أنه حدث ذات يوم بينما هو واقف على الجبل يفكر أن أحس بنشوة روحانية تجلى له فيها كبير الملائكة (فاهومانا) واصطحبه في رحلة سماوية مثل فيها أمام رب السماء نفسه، وتلقى عنه كلمات الحق والحقيقة وتعلم أسرار الوحي واستمع إلى أمر النبوة.

نزل بعد ذلك من الجبل ليصدع بما أمر ويجهر بدعوته للناس. وخلاصة ما جاء به من جديد في الديانة الفارسية أنه أنكر تعدد الآلهة وعبادة الأصنام وجعل الخير المحض من صفات الله ونزل بإله الشر إلى ما دون منزلة المساواة بينه وبين الإله الأعلى وبشر بالثواب وأنذر بالعقاب وقال: بأن خلق الروح سابق لخلق الجسد وقصر الربوبية على إله واحد موصوف بأرفع ما يفهمه أبناء زمانه من صفات التنزيه[(1)].

لم يصغ أهل فارس إلى تعاليم زرادشت ولم يكن لديهم استعداد لتقبلها لأنهم كانوا قد ألفوا آلهتهم وأصنامهم التي كان لها واقع محسوس بينما إله الخير وروح الشر اللذان يدعو إليهما زرادشت لا يدركهما الحس، حتى أسرته وعشيرته لم يؤمنوا بالتعاليم التي جاء بها، وتخلوا عنه وطردوه، فترك بلدته وأخذ يجوب البلاد بحثا عن مؤمنين به، وكانت تسبقه إلى كل بلد يتجه إليه شهرته التي تقول: أنه رجل دعي يسب الدين والكهنة، فينفر منه الناس، وهكذا مرت بزرادشت عشرة أعوام صعاب وهو يأمل ان يجد من يؤمن به ويصدقه دون جدوى، وواصل البحث

---

(١) انظر: العقاد، الله، ص٩٣، ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص١١٢، ترجمة ذوقان قرقوط والحيني، دراسات إسلامية في العقائد والأديان، ص١٦٣، وسنية قراعة الرسالات الكبرى، ص١٥٠، ١٥١، والشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٤٢. وعبد النعيم حسين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص٤٤٦.

واستطاع أن يجد من يصدقه، وكان ابن عمه (ميتيوماه) الذي قال له: أن تعاليمك شاقة جدا على فهم الناس، فعليك أن تبدأ بدعوة المتعلمين الذين تدربوا على فهم الأفكار الصعبة، واستحسن زرادشت الرأي وقصد مدينة (بلخ) حيث الملك (كشتاسب)، ولم يكد يمثل أمام الملك حتى ارتفع صوته في حزم رهيب (أنا زرادشت سبتاما نبي الإله الواحد الحكيم. جئت إليك أيها الملك لأحول قلبك عن: الأصنام الشريرة التافهة، إلى مجد إله حق خالد) واستطاع زرادشت أن يتغلب على حكماء وكهنة الملك الذين جمعهم لمناقشة زرادشت فيما جاء به كما استطاع بعد فترة أن يشفي جواد الملك من مرض عضال ألم به بعد أن عجز عن علاجه أطباء البلاط وكهنة القصر، اعتنق الملك كشتاسب تعاليم زرادشت وآمن بالإله الواحد الحكيم وأعلن أن زرادشت هو النبي الحق لهذه العقيدة الجديدة وأصدر أمرا بكتابة تعاليمه بحروف من الذهب وسميت (أفستا) وعين زرادشت كبيراً للكهنة في بلاد بلخ.

انتشرت أنباء اعتناق الملك للعقيدة التي جاء بها زرادشت في جميع أنحاء فارس وأقبل الناس على الدين الجديد، حتى أسرته التي رفضت أن تصغي إليه من قبل عادت تفخر به وتحييه وتعلن إيمانها به.

**زرادشت والتوحيد :**

وأسرّ زرادشت إلى كشتاسب بأن تعاليم الإله الواحد قصد بها البشر جميعاً، وأن عليهم أن ينشروها في كل مكان.

ووافق الملك، انطلق الرسل -بعدها- إلى جميع أنحاء بلاد الفرس، وخارجها لنشر تعاليم (الأفستا) الكتاب المقدس، وسرعان ما انتشرت تعاليم

الزرادشتية في جميع بلاد فارس وخارجها، حتى وصلت إلى تــوران بــل وإلــى اليونان والهند[1].

**العقائد الزرادشتية:**

| أهم الأمور العقائدية التي يبحث عنها الانسان في الاديان هــي ايمانــه بالالوهية ( التوحيد ) ومن ثم النبوات واليوم الآخر ، وتبقى المســائل الاعتقادية الاخرى جانبية تتميز بها اية ديانة عن الاخرى. |
| --- |

**الالوهية والتوحيد:**

أنكر زرادشت بعنف وشدة الوثنية المتمثلة في تعدد الآلهة وعبــادة الأصــنام، ودعا إلى الإيمان بإله واحد "أهورا مزدا"، وقد وصفه بأرفع ما يعرفه النــاس فــي زمانه من صفات التنزيه، فهو قديم أزلي مجرد من جميع شوائب المادة منزه عــن كل أدران النقص لم يولد ولن يموت وهو روح الأرواح. يرى ولا ينظر ولا تدركه عين أو بصر وهو موجود في كل مكان ولكنه لا يرى في أي مكان. وهــو يعلــم الحاضر والمستقبل ويعلم الغيب ويدرك دخائل النفوس وهو قدير على كل شيء ولا يسمو عليه شيء قط. وهو معين من لا معين له وراعي الفقراء والأغنياء على حد سواء، وهو مفرج الهموم ومانع الضر عن الناس، وإن أقــوى النــاس ليــشعرون بضعفهم أمامه، وهو القوة الغير المنظورة التي يتطبع إليها الناس لتشد من أزرهــم وتقوي من نفوسهم[2].

وأهم أسماء الله الحسنى عند زرادشت هي:

---

(١) انظر مظهر: قصة الديانات، ص٢٨٨-٣١٠، والحيني في العقائد والأديان ص١٦٤. وعبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص٤٤٦، والنشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ج١، ص١٧٨.

(٢) مظهر: قصة الديانات، ص٣١١، وانظر: ويدجيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، ص١١٢.

السر المسؤول، واهب النعم، الكامل، القدس، الشريف، الحكيم، الخبير، الغني، المغني، السيد، المنعم، الطيب، القهار، محق الحق، البصير، الشافي، الخلاق، مازدا "العليم"(١).

| يقدس الزرادشتيون النار ولا يعبدونها لانها مقدسة كرمز. فالله في دين زرادشت واحد لا شريك له وهو خير محض لا شر فيه. |
| --- |

وأما كان الإله في الديانة الزرادشتية قوة غيبية "غير محسوسة" -كما هو الحال في الديانات المنزلة- يعجز عن إدراك حقيقته العقل البشري ولا يقوى على تصوره خيال إنسان لجأ زرادشت -حتى يتمكن الناس من تصور هذه القوة- إلى الرمز، فرمز إلى "أهوارامزدا" برمزين محسوسين حتى تقوى عقول البشر عن طريق التفكير فيهما على تصور صفات الإله وهما: الشمس والنار.

"فالشمس في السماء تمثل روح أهورامزدا" في صورة يستطيع الناس إدراكها لما امتازت به من صفات تشبه صفات المبدأ الأول، إذ هي كائن مشرق متلالئ يفيض الخير على جميع الكائنات ويبعث فيها الدفء والنشاط وهي قوة لا تقاوم ولا تستطيع نزعات الشر الاقتراب منها والحط من قدرها والانتقاص من طهرها وصفائها.

والنار في الأرض هي العنصر الذي يمثل للناس تلك القوة العليا. فهي ليست عنصراً أولياً ساذجاً أزلياً فحسب، بل هي أيضا قوة مطهرة مهلكة طاهرة نقية نافعة لا يمكن أن يتطرق إليها الفساد.

وهكذا تبدو تلك الصورة التي يتصور الناس من أجلها أن أتباع زرادشت يعبدون النار بينما هم يؤكدون أن تلك الفكرة خطأ كبير. فهم لا يعبدون النار أو

---

(١) انظر: العقاد، الله، ص٩٥-٩٦، وسنية قراعة، الرسالات الكبرى، ص١٥١.

يتخذون منها إلهاً ولكنهم يرونها إلى جانب الشمس رمزاً لقوة الإله الذي لا يراه أحد. ويعدون الوثنية والشرك بالإله الواحد الخير الحق جريمة كبرى لأنها تتضمن إنكار مبدأ وحدة الواحد أهورامزدا.

**الزرادشتيون والنار :**

ويقول الزرادشتيون: أنهم يقدسون النار ولا يعبدونها لأنها مقدسة كرمز[1].

فالله في دين زرادشت واحد لا شريك له وهو خير محض لا شر فيه وهو مصدر كل خير ومجد ونور وسعادة في العالم. وهو المشرع القدسي والقاضي الأسمى العادل الرحيم. وقوة الإله الخيرة هي التي ستنتصر في النهاية على روح الشر (أهرمن) الذي هو سبب كل ما في العالم من شرور وعناء. فالخير عند زرادشت غالب دائم والشر مغلوب منظور إلى أجل، ومازال أهرمن يهبط من مراتب القدرة والكفاية على هذا المذهب حتى كاد كالمخلوق الذي ينازع الخالق سلطانه، ولا محيص له في النهاية من الخذلان[2].

**النبوة:**

ويزعمون الزرادشتيون أن زرادشت كان نبياً ورسولاً إلى الخلق أجمعين، يوحى إليه وأنه كان يناجي أهورامزدا ويسمع جوابه، يسأله سؤال المتعلم لمعلمه والمستهدي لهاديه.

وتنسب الزرادشتية إلى نبيهم معجزات كثيرة منها:

دخول قوائم فرس الملك كشتاسب في بطنه وكان زرادشت في السجن فأطلقه فانطلقت قوائم الفرس.

---

(١) مظهر، قصة الديانات، ص٣١٢، وانظر: العقاد، الله، ص٩٦، والحيني، في العقائد والأديان، ص١٦٧، والدكتور يحي هويدي، محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ص٤٨، والشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٦٠.

(٢) العقاد، الله، ص٩٥.

ان زرادشت عند اتباعه له معجزات وفي آخر الزمان يظهر رجل ينقاد له العالم يحيى العدل ويميت الظلم ويرد السنن الى اوضاعها.

ومنها: أنه مر على أعمى فقال: خذوا نبتة -وصفها لهم- واعصروا ماءها في عينيه فإنه يبصر، ففعلوا فأبصر الأعمى[1].

ويؤمن الزرادشتيون بأنه سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه "اشيزريكا" ومعناه: الرجل العالم. يزين العالم بالدين والعلم ويحي العدل ويميت الجور ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأول وتنقاد له الملوك وتيسر له الأمور ينصر الدين والحق ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن[2]. يملأ الأرض قسطا وعدلا بعدما ملئت ظلما وجورا".

**يوم القيامة:**

يؤمن الزرادشتيون بالبعث والقيامة والحياة الأخرى والحساب والجزاء والنعيم والعذاب في جنة أو نار ويقولون: أن روح الميت إذا فارقت الجسد استقبلها الديان في صورة فتاة حسناء، تحف بها الأزهار وتعيق حولها الروائح الطيبة هذا إن كان الميت صالحا، وإلا استقبلها في صورة فتاة قبيحة جدا، وهناك تلقى (رشنوه) ملك العدل و(ميترا) رب النور قد نصبا الميزان، وتوزن أعمال الإنسان، فإذا رجحت عنده أعمال الشر هبط إلى الهاوية وعاش في عذاب وإذا تعادلت عند الكفتان ذهب إلى مكان لا عذاب فيه ولا نعيم، إلى أن تقوم القيامة ويتطهر العالم كله بالنار المقدسة ثم يرفعون جميعا في حضرة مزدا في نعيم مقيم[3].

---

(١) لا ننسى أنه كان عارفا بالطب وأنه قضى سنين طويلة في ممارسة هذه المهنة وكان عارفا بالأدوية أيضا فشفاؤه للجواد كان بالعلاج الطبيعي تدليك قوائم الجواد التي أصابها ضمور وعلاجه للأعمى إن دل على شيء فإنما يدل على معرفته بخصائص الحشائش والنباتات وليس هذا وذاك من المعجزات في شيء كما يقول الشهرستاني في الملل والنحل، ج٢، ص٤٣.

(٢) انظر: الشهر ستاني، الملل والنحل، ج٢، ص٤٤.

(٣) انظر العقاد، الله، ص٩٢ و ٩٧.

ان بعض تعاليم الزرادشتية حول الآخرة لا تختلف عن تعاليم الاديان الاخرى.

وتحدث القيامة عند الزرادشتيون عندما يصطدم كوكب ناري بالأرض وتميد بالناس وتخر الجبال هدا، وتذوب العناصر وينصهر النحاس ويسيل إلى جهنم فيفني أهرمان وأنصاره ويغسل الناس ثلاثة أيام في منصهر النحاس، ويجد الصالحون ذلك بردا وسلاما، وبعد هذا يجمع مزدا الخلائق ويجازيهم بأعمالهم[1].

ويؤمن الزرادشتيين بالصراط وهو ممتد فوق جهنم، فالرجل الصالح تصحبه أعماله حتى يجتاز الصراط إلى الجنة فيستقبله ملك جالس على كرسي من ذهب عند باب الجنة فيفتح بابها ويقول له: أدخل سالما آمنا وتمتع بحياة هنيئة.

وأما الرجل الطالح فيقع في النار بحكم مزدا ليذوق العذاب الأليم، يستمر الحال هكذا حتى تبدل الأرض غير الأرض، ويفنى أهريمان وجنده وجميع من في الوجود من الأحياء ويبقى مزدا وجميع قوى الخير[2].

**الشفاعة عند الزرادشتيين :**

يعتقد الزرادشتيون بأن حق تقرير المصير لا خطأ البشر موكول إلى نبيهم زرادشت فمن يشفع له من الخطاة ينجو من العذاب هذا ما يقرره النص الوارد في (الياسنا) رقم ٤٤.

".. قل لي على التحقيق.. وأبلغني يقينا.. فأنا أتوسل إليك أيها الملك المقدس.. عندما تنبلج أسمى الحياة عند مدخل مملكتك. هل من مقدرات المحكمة السماوية إعطاء كل امرئ حقه؟

(١) انظر: المنوفي، الدين المقارن، ص ١١١.
(٢) انظر: المصدر السابق، ص ١١١-١١٢.

حقا أنه هو -النبي المرسل- الذي توضع لروحه الساهرة كل خطايا البشر..[1]

**الكتب المقدسة عند الزرادشتيين :**

المصدر الرئيس للديانة الزرادشتية هو (الزند افستا) وهو كتابهم المقدس والكلمة مركبة من (زند) ومعناها: شرح و(افستا) ومعناها: نص فيكون معنى (الزند افستا) النص والشرح.

ويتضمن هذا الكتاب التاريخ الأدبي لأمة الفرس لمدة طويلة من الزمن كما يتضمن عقائد وشرائع وطقوس وشعائر الديانة الزرادشتية وقد قسم موارد التكليف وهي حركات الإنسان ثلاثة أقسام: اعتقاد، وقول، وعمل.. فإذا جرى الإنسان في هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر، وإذا قصر فيها خرج عن الدين والطاعة[2].

وقد ظل هذا الكتاب قروناً عديدة يعتمد على الرواية الشفوية قبل التدوين، وعلى ذلك فالوصول إلى النص الأصلي أمر لا يمكن القطع به، يضاف إلى ذلك أنه غير مرتب ترتيباً زمنيا[3].

والزند افستا مرتبة في فصول تمثل (الفنديداد) الفصل الأول منها وفيها يتحدث (أهورا مزدا) إلى زرادشت ويمنحه أوامر الشريعة ويأتي بعد الفنديداد (الفسبرد) و(الياسنا) وهما للطقوس الدينية وفيهما:

تراتيل وكتاب صلوات وهما خاصان برجال الدين.

وتتضمن ألياسنا (الجاثات) التي ينظر إليها الآن على أنها أجزاء الأفستا الوحيدة، التي تنسب إلى زرادشت نفسه ويتلو هذه (خوردن أفستا) -أي الأفستا

---

(١) انظر: الحيني، في العقائد والأديان، ص ١٦٨.

(٢) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل، ج٢، ص ٤٣، وعبد النعيم حسين، حضارة مصر والشرق الأدنى ص ٤٤٩. وأبو الحسن العامري، الإعلام بمناقب الإسلام، ص ١٥٩ و ١٨١.

(٣) انظر: الحيني، في العقائد والأديان، ص ١٦٤.

الصغيرة- التي تتضمن (الياشات) وفيها تمجيد لبعض الملائكة وصلوات خاصة وبعض المقطوعات عن الشعائر الدينية.

والمصدر الذي يراه الباحثون المحدثون هاما في تصوير الديانة الزرادشتية هو الياسنا، وهي تتضمن خمس مجموعات من التراتيل تسمى الجاثات وعدد التراتيل سبع عشرة. ويرى الباحثون أن الجاثات تتضمن العناصر القديمة للديانة الزرادشتية التي يضمها كتاب الزند افستا ويقولون: أنها احتفظت ببعض أقوال زرادشت وعلى ذلك فهي من خير المصادر لديانته(١).

ان المصادر الدينية للزرادشتية هي الكتب المقدسة اولاً حالها حال بقية الديانات، لان كتبهم تلك تصور معتقداتهم احس تصوير وهناك طقوس اخرى يمارسها رجال الدين قد تعتبر تصويراً ثانٍ لتلك المعتقدات.

**الكتب المقدسة والتحريف :**

ولم تسلم عقائد زرادشت من التبديل والتحريف والتغيير شأنها في ذلك شأن كثير من العقائد والديانات الأخرى.. فلم تبق تعاليمه وعقائده كما وضعها، عندما سئل زرادشت عما إذا كان الإله الواحد هو وحده صانع الخير في العالم أجاب: أن الإله له مساعدوه السماويين الذين يسمون الملائكة وقال: أن أهمهم سبعة، العقل الخيِّر والنور والحكمة والخير والتقوى والخلود والأمر الصالح.

واضح من كلام زرادشت أنه إنما كان يعني بهذه الأسماء، أنها عبارة عن صفات ومظاهر رئيسية ومميزات متعددة للإله الواحد ولم يكن يعني أنها شخصيات حقيقية شريكة للإله الواحد في صنعه الخير وإبداعه العالم وإلا لما دعا إلى الإيمان بإله واحد حكيم.

---

(١) انظر: المصدر السابق، ص ١٦٤-١٦٥.

**الزرادشتيون في تعاليمهم المعاصرة يعيشون بين التوحيد والتفريد .**

ولكن كهنة إيران وشعبها فهموا من كلامه، وجود شخصيات سماوية كثيرة حقيقية تطير هنا وهناك، تساعد الرب في أعماله وتشاركه في صنع الخير، وتسيطر على العالم وتحكمه بأمر من أهورامزدا إله الآلهة أو (الإله الأعظم)، وبذلك حرفوا عقيدة التوحيد إلى التعدد، ولم يمض وقت طويل حتى أطلقوا أسماء على ألف ملاك يعيشون في السماء و٩٩٩٩ شيطاناً أسود يساعدون روح الشر في الجحيم تحت الأرض، وتسعى بزعامة أهرمن إلى إغواء البشر على الأرض بارتكاب الآثام والشرور وهي لذلك في حرب دائمة مع أهورامزدا وبهذه الطريقة فعل أتباع زرادشت ما لم يكن هو يريد منهم أن يفعلوه، عبدوا الأوثان القديمة بعد أن غيروا أسماءها بأسماء جديدة، وجعلوا لله شريكا في صنعه وسيطرته على العالم وهبطوا بعقيدة التوحيد إلى التفريد فالتعدد[١].

**ارض فارس بعد زرادشت :**

وفي القرن الثالث قبل الميلاد. أي بعد موت زرادشت بحوالي ثلاثمائة عام غزا الاسكندر الأكبر أرض فارس، وحطم الأفستا، وألغى الزرادشتية، وأقام بدلها ديانة اليونان الوثنية، ولكن الفرس لم يتخلوا عن ديانتهم وأخذوا يتعبدون بها ويعلمونها لأبنائهم سراً.. حتى استقلت فارس عن الحكم الأجنبي في أوائل القرن

(١) مظهر، قصة الديانات، ص٣١٦ والحيني، العقائد والأديان، ص١٧٤، حيث قال: (ولكن التحريف شوه بعض معالمها وأساء إليها لأنها ظلت قرونا طويلة تنتقل من جيل إلى جيل بالرواية الشفوية حتى دونت آخر الأمر بعد أن عمل فيها الخيال وما ألف الناس) وعبد النعيم حسنين، حضارة مصر والشرق الأدنى، ص٤٤٨ و٤٥٠ حيث يقول (غير أن أتباع زرادشت، الذين كانوا من قبل يعبدون آلهة متعددة -مثلوا صفاتها في صورة كائنات خالدة مقدسة تخلق العالم وتسيطر على تنظيمه وحكمه بأمر من أهورامزدا إله الآلهة أو الإله الأعظم وبذلك تحول مذهب التوحيد إلى فكرة التعدد: والدكتور أحمد عبد الحميد غراب، هامش كتاب الإعلام بمناقب الإسلام، ص١٣٣ حيث يقول (لم يمض وقت طويل على موت زرادشت حتى عاد كثير من الآلهة القديمة إلى الزرادشتية في صورة ملائكة).

الثالث الميلادي، أي بعد حوالي خمسمائة عام، حين قامت الدولة الساسانية في إيران، ورأت أن في إحيائها لدين زرادشت وانتصارها له ما يدعم ويثبت كيانها، فأخذ رجال الدين يجمعون ما وجدوه من الأجزاء القديمة من الأفستا في كتاب واحد وقاموا بترجمتها إلى اللهجة البهلوية، ولكن صاحب هذه الترجمة تشويه للنصوص الأصلية، وإضافات كثير هي شروحهم لهذه النصوص (الزندا) فضلا عن تأثرهم بوجه من الوجوه بالفكر اليوناني الذي انتقل إلى فارس، ومن ثم يصعب الإدعاء بأن الترجمة والشروح والإضافات الكثيرة تمثل تعاليم زرادشت تمثيلاً صادقاً وفي القرن السابع الميلادي أي حوالي أربعمائة عام، فتح العرب المسلمون بلاد فارس، وأخذوا يدعون إلى الدين الإسلامي، فأقبل الكثير من الزرداشتيين على الدين الجديد وهرب بعضهم إلى خارج فارس، وبقي آخرون على دينهم القديم.

واليوم لم يبق من معتنقي ديانة زرادشت في إيران إلا نزرٌ يسير يعيش في نواحي (يزد) من جنوبي خراسان.

أما أكثر معتنقي هذه الديانة فيعيشون في الهند ويسمون (البارسيين) أو (الفارسيين) حيث هربوا إليها عند الفتح الإسلامي، ويقدر عدد معتنقي الديانة الزرداشتية اليوم في جميع أنحاء العالم بحوالي ١٢٠ ألف نسمة[١].

**موقف المسلمين من الزرادشتيين :**

وقد اختلف الفقهاء المسلمون في المركز التشريعي للمجوس في الدولة الإسلامية فرأى البعض أنهم من أهل الكتاب[٢]، فيعاملون معاملة الكتابيين وذهب جمهور الفقهاء إلى أنهم ليسوا من أهل الكتاب، وقد عدهم الشهرستاني ممن لهم

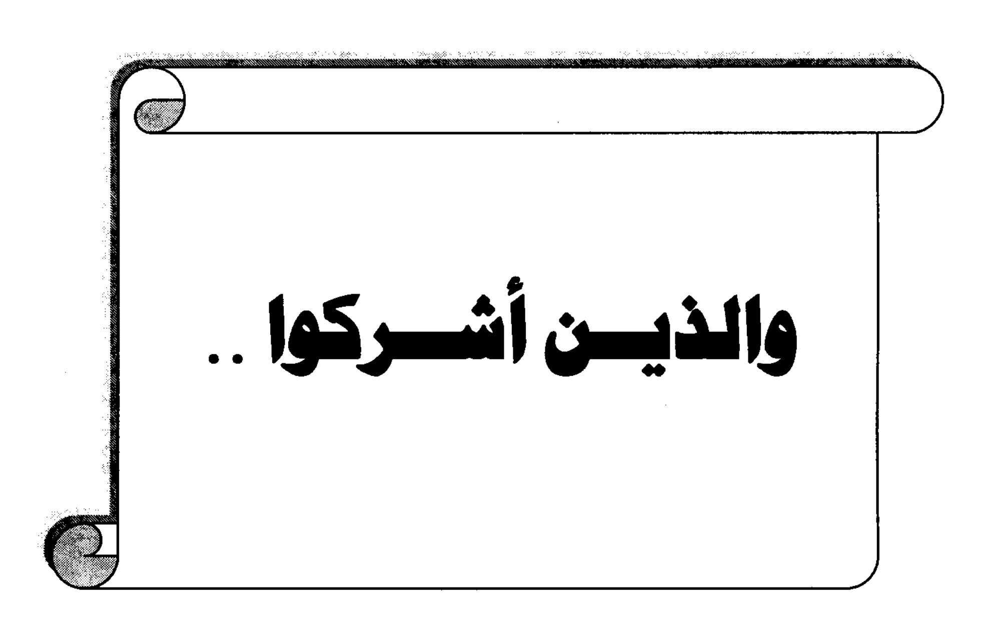
(١) إن أتباع الزرادشتية اليوم قد شوهوا معالم دعوته ولا يحملون منه اليوم إلا انتسابهم إليه.

(٢) الكتابي: هو كل من اعتقد دينا سماويا وله كتاب وله منزل كالتوراة والإنجيل. والذمي: هو من يقيم في دار الإسلام من أهل الكتاب، والأصل في الإسلام هو تمتع الذميين بجميع الحقوق العامة في الدولة الإسلامية، والحقوق العامة هي: الحقوق اللازمة للإنسان باعتباره عضوا في مجتمع ولا يمكنه الاستغناء عنها وهذه الحقوق مقررة لحماية الإنسان في نفسه وحريته وماله كالحق في التنقل وفي الاعتقاد وحرمة المسكن وغيرها: انظر: عبد الكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام ص٦١١ و ٨٧٨. ويعتبر الدستور الإيراني الحالي الزرادشتيون من أهل الكتاب.

شبهة كتاب[1]، إلا أن جميع الفقهاء اتفقوا على أنهم يعاملون معاملة الكتابيين[2] لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في المجوس: (سنوا بهم سنة أهل الكتاب) و(من أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية) لهذا لم يجبر العرب المسلمون المجوس على ترك دينهم والدخول في الإسلام فالإسلام لا يجبر الناس على ترك دينهم (لا إكراه في الدين) وأدل دليل على ذلك بقاء فئة كبيرة من المجوس في فارس تقيم شعائرها وتوقد النار في المعابد في كل ولاية فارسية تقريبا حتى بعد الفتح الإسلامي بنحو ثلاثة قرون، بل حتى اليوم.

| خلاف المفكرين المسلمين حول الزرادشتيين نسبة لاحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم يجعل من بينهم من يعتقد – اعتقاداً جازماً– بانهم اهل كتاب. |
|---|

(١) انظر: الملل والنحل، ج١، ص٣٦، ج٢، ص٣٤.
(٢) انظر: زيدان، أحكام الذميين، ص١٥، ٢٣، ٢٥، ٢٦، ٢٧.



# والذيــــن أشــــركوا ..

# والذين أشركوا

افرد الله تعالى الديانات التي مررنا على ذكرهـا الا أنـه جمـع المشركين – وهم متعددون – بكلمـة واحـدة .. وهنـاك الاف الفئات التي تشرك بالله، تركنا معظمها في هذه الطبعـة وأخـذنا الديانات الشرقية التي يتوسع اتباعها.. وهم في شـرك واضـح بالله او انهم يتخذون الهة اخرى غيـر الله لانـه مـن الـسهل الوصول اليهم والحديث عنهم.. وقد وجدنا فـي تـراث الأمـم الحالية الكثير من المعلومات عن امم مندثرة كانت تعـيش فـي بقاعهم فيها الكثير من المعلومات ايضاً. سنتناولهم في العـرض أولاً ونعود بعد ذاك الى الامم الحية التي لا زالـت تعـيش فـي شركها او كفرها او دياناتها التي يمكـن الحـديث عنهـا بكـل وضوح.

# المعتقدات المندثرة

المعتقدات المندثرة، هي تلك الديانات التي تركت لنا الكثير من خزائنها.. تراثها وافكارها وممارساتها الدينية التي كانت تشرك بالله وتفرد الهة من دون الالهة الاخرى فتجعل لها القوة المطلقة على الالهة الأخرى فتفرض على الناس ما عليهم تقديمه لها. وبطبيعة الحال فان الالهة المذكورة متخيلة وليست حقيقية، فهي لا تفرض آراءها وافكارها على الناس، وانما رجال الدين والكهنة الذين يقومون على خدمة المعابد التي يصورون لاتباعهم أن الالهة المفردة قد اختارتهم لخدمتها فيسمعون لآرائهم وافكارهم ومعتقداتهم.

والمعتقدات المندثرة (الاديان الوضعية) كثيرة، الا اننا اخترنا من بينها ما يتسم بالوضوح (من خلال ما تركته لنا)، البابلية والمصرية والرومانية واليونانية.

# الديانة البابلية

يظن القاريء لافكار البابليين انهم موحدون لالهة معينة.. الا ان النتيجة التي يصل اليها القاريء ان اتباع هذه الديانة هم مفردون وليسوا موحدين، أي أنهم كانوا يؤمنون بفكرة التفريد لا بمبدأ التوحيد، والتفريد هو تخصيص إله أو جملة آلهة بالتعظيم والعبادة دون ترك الآلهة الأخرى.

وأما التوحيد: فهو الاعتقاد بإله واحد وقصده وحده بالطاعة والعبادة.

**الهة بابل والمقاطعات السياسية :**

كانت مكانة الآلهة عند البابليين متفاوتة تبعاً لتفاوت المقاطعات السياسية ونظراً لسيطرة بعض المقاطعات على الأخرى نتيجة الحروب التي كانت تنشب دوماً بينها فقد ارتفعت مكانة إله المقاطعة المنتصرة، ثم أصبح العراق القديم يحكم من قبل ثلاثة آلهة وهم (ادوم أو انو) إله السماء و(انليل أو بعل) آلهة الهواء والأرض و(انكي أو ايا) آلهة البحر أو المحيطات[1]، وكانت هناك مجموعة كبيرة من الآلهة عدا هؤلاء لها اختصاصات أخرى في الكون.

يعتقد البابليون أنهم خلقوا من طينة الأرض وشكلوا حتى يشبهوا الآلهة وأنهم ما خلقوا إلا لعبادتهم وطاعتهم ولذلك اعتبر الناس أنفسهم ملزمين تجاه تلكم الآلهة بأمرين: خشية الآلهة. وعبادته وتقديم القرابين له[2].

---

(١) انظر: مظهر، قصة الديانات، ص٤٠، وطه باقر، المقدمة ص٢٤٧، وعبد المنعم أبو بكر، حضارة مصر والشرق القديم، ص٢٠١، وعيسى الحلو، عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم، ص١٥٢.

(٢) انظر: المصادر السابقة، ص٤١ و٢٢٥، ٢٥٦، ٣٠٣.

يعتقد البابليون بأن الآلهة ترجع من جهة أصلها إلى قوة الطبيعة. حيث انتخب العراقيون أهم الظواهر الطبيعية التي كان لها أثر قوي في حياتهم وشخصوها على هيئة آلهة وبقيت صفة الظواهر الطبيعية بارزة في آلهة العراق، وحتى بعد أن تطورت وابتعدت عن نشأتها الأولى.

**اصل القوى الطبيعية :**

والقوى الطبيعية التي كانت أصل الآلهة العراقية ترجع إلى ثلاثة قوى:

**أولاً:** القوى المستمدة من السماء (كانت السماء بوجه عام على رأس الظواهر الطبيعية فالسماء والأرض -عندهم- تؤلفان الكون- كما يشير إلى ذلك اسم الكون بالسومرية (آن.كي) فكان الإله (آنو) الممثل للسماء على رأس الآلهة البابلية ويمثل أصل السلطة في الكون[1].

**ثانياً:** القوى المستمدة من الجو والهواء وكان يمثل هذه القوى الإله (انليل) وهو يمثل القوة المنقذة. ولذا يأتي بعد الإله (آنو) في الدرجة والمكانة لأن الأخير -كما عرفنا- يمثل مصدر السلطة.

**ثالثاً:** القوى المستمدة من الأرض وقد شخصت بهيئة آلهة متعددة (والأرض عدا أنها مصدر الخصب والإنبات فإنها مصدر الماء. فكان الماء عنصراً مهماً من قوى الطبيعة التي جسمت على هيئة إله، وقد دعي (أنكي) (أي سيد الأرض)، ووصف بالحكمة والدهاء وقوة الخلق، مما هي من صفات الماء التي شعر بها من يمارس شؤون الإرواء مثل سكان العراق القدماء[2].

---

(١) طه باقر، المقدمة ص١١٥، وانظر: عيسى الحلو، عصور ما قبل التاريخ ص١٥٢، والعقاد، الله ص١٠٥.

(٢) نفس المصدر.

## آلهة بابل:

ويمكن حصر الآلهة البابلية بما يلي:

١-مردوخ أو المريخ: كان بداية أمره إلهاً خاصا لمدينة بابل ثم لما عظمت مكانة هذه المدينة في زمن حمورابي وأصبحت عاصمة الإمبراطورية البابلية ارتفع شأن الآلهة مردوخ وصار مقدساً في جميع البلاد.

(وهو الابن البكر للآلهة أنكي أو أيا ورث عن أبيه العلم والسحر وهو الذي يتلو الرقي والتعاويذ للآلهة، ولمردوخ أربع عيون وأربع آذان فهو أعقل العقلاء بين الآلهة تسلم منهم القوة التي استطاع عن طريقها أن يدير شؤون السماء والأرض وقد تركزت فيه صفات الآلهة جميعاً. وكلمته تخلق الخلق أو تمحوهم) [١].

٢-الإله الشمس (شمس): وقد سماه السومريون (اوتو) أي (الضوء والنور) ودعوة كذلك (بيار) أي (النير) وسماه الساميون (شمس) أي (الشمس) وكانوا يمثلونه بهيئة آدمية كما صور في أعلى مسلة حمورابي[٢]. ومثلوه أيضاً -غالباً- بدائرة ذات أربعة خطوط تنبعث منها حزم الأشعة.

وكانوا يصفونه بضوء العالم. ضوء السماوات والأرض. ضوء الآلهة. الذي يولد الليل والنهار ويهب الحياة ويحمي الموتى. (ولأنه ينير بضوئه الظلمات فهو إله العدل والحق والشرائع وهو الذي أملى على حمورابي شريعته المقدسة. وهو القاضي الأعظم وسيد الكهانة والعرافة.

وعبد الإله الشمس بوجه خاص في مدينتي (لارسه) و(سبار) وقدسه الآشوريون وشيدوا له بعض المعابد وعبدت معه زوجته (آي)، وقد جسم البابليون (العدل) و(الحق) وعدوهما ابنتين للآلهة[٣].

---

(١) مظهر، قصة الديانات ص٤٦، وانظر: العقاد، أبو الأنبياء، ص٢٠٤، والله، ص١٠٦.
(٢) انظر طه باقر، المقدمة، ج١، ص٢٥١، وسليمان مظهر، قصة الديانات، ص٤٥.
(٣) طه باقر، المقدمة، ج١، ص٢٥٢.

٣-الإله القمر: كان اسمه عند السومريين والبابليين (سين) وسموه (ننار) أيضاً أو (ننا) ومعناه رجل السماء وسمى عرب الجنوب الإله القمر (ود) وعند الآراميين (شهر) وعند الأمهريين (ورخ) و(يرخ) وخص الإله القمر بمدينة (أور) منذ أقدم الأزمان وشيد له فيها معبد شهير لا تزال بقايا الصرح المدرج فيها (الزقورة) باقية.. وخصصوا له زوجة هي (نتحال) وعبدت معه في معبده في أور وانتقلت عبادة القمر إلى جهات سورية وشيد له معبد في (حران).. وانتشرت عبادته من حران إلى الفينيقيين وقدسه البدو الآراميون والبدو العرب[1].

٤-عشتار: إحدى بنات الآلهة القمر (سين) وهي ذكر في الصباح يشرف على الحروب والمذابح.. وأنثى في المساء ترعى الحب والشهوة.. فهي ربة هلوك تسعى وراء اللذة والإغواء. وقد مثلوها بالزهرة ورمزوا إليها بنجم تخرج منه ثمانية من الأشعة أو ستة عشر داخل دائرة[2].

احتلت عشتار مكاناً بارزاً في ديانة وادي الرافدين و(انتشرت عبادتها إلى جميع أنحاء الشرق الأدنى وأنحاء أخرى من العالم وأخذ عبادتها الإغريق وسموها باسم (أفروديت) وعبدها الرومان باسم (فينوس) وقد سماها السومريون باسم (إينانا) أو (انيني) ومعنى ذلك سيدة السماء ودعاها الأكديون والأشوريون الساميون باسم (عشتار) وعرفت باسم (عشتاروت وعشترويت) عند الأقوام السامية الأخرى ولا سيما في جهات سورية، وعبدها العرب في الجنوب[3].

---

(١) طه باقر، المقدمة، ص٢٥٠، ٢٥١، وانظر: العقاد، أبو الأنبياء، ص٢٠٤، وعيسى الحلو عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم، ص١٥١، ١٥٢.

(٢) انظر: مظهر، قصة الديانات، ص٤٦.

(٣) طه باقر، المقدمة، ج١، ص٢٥٢، وعيسى الحلو، عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم، ص١٤٦.

٥-آشور: وهو الإله القومي عند الآشوريين واحتل عندهم المكان الأول من بين قائمة الآلهة السومرية، البابلية التي عبدها الآشوريون أيضاً. وقد كان آشور في مبدأ أمره إلها محلياً لمدينة آشور ولكنه أخذ يكبر مع مدينته. ثم زاد نموا مع بلاده حتى اغتصب اختصاصات غيره من الآلهة. فأصبح أبا الآلهة بدلاً من الإله (آنو) وإله الأرض بدلاً من الإله (انليل). بل أنه صار خالقاً للآلهة جميعاً. وقد اعتقد الأشوريون بأن له دوراً مهماً ورئيساً في شؤون الكون والخلق وشيدوا له المعابد الفخمة في آشور وفي غيرها من المدن الآشورية المهمة. ورمزوا إليه بإنسان يطير بجناحين، وبيده قوس وسهم والجناحان تتبعثان من قرص الشمس. وقد أخذ الفرس الأخمينيون هذا الرمز لإلههم أهورامزدا) [١].

٦-(بنو) ابن الإله (مرودخ) وكان إله المعرفة والحكمة وسكرتير الآلهة في مجالسها المقدسة.

٧-آنو: وكان يحتل مركز الصدارة بين المعبودات في قوائم الآلهة في العراق القديم وقد وصف بأبي الآلهة. وملك الآلهة ومقره في السماء وعرشه في أعلى قبتها وقد عبد هذا الإله في جميع أنحاء العراق وخصصت لعبادته مدن شيدت فيها معابدة أهمها مدينة نفر واور والوركاء. وعبد معه في المدينة الأخيرة الآلهة الشهيرة (عشتار) التي دعوها ابنته[٢].

٨-انليل: وكان إله الهواء والجو والظواهر المتعلقة بهما وصار كبير الآلهة عند السومريين والبابليين، ولقب بأبي الآلهة أيضاً ومعنى اسمه: (السيد الهواء) أو (الرب الهواء) ولقب بسيد الأرض وكان يحكم جميع البشر وله شبكة مقدسة يحبس فيها العصاة والمذنبين وكانت بيده ألواح القدر ومدينة نفر موضع عبادته وتقديسه وقد حازت بسبب ذلك على أرفع مكان بين المدن السومرية وكان

---

(١) انظر: باقر، المقدمة، ص٢٥٤ ومظهر، قصة الديانات، ص٤٧، وعبد المنعم أبو بكر، حضارة مصر والشرق القديم، ص٣٤٣.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص٢٤٧، ومظهر، قصة الديانات، ص٤٤.

(سن) إله القمر يسمى أحياناً (ثوير انليل القوي) ويعتبر ابنا له يتناوب أخذ الشبكة من أبيه[1].

٩-(أيا) أو (انكي): وهو ثالث أفراد الثالث الرئيسي للآلهة التي اقتسمت العالم وكان يمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من الأرض. الأرض العليا حيث يحكم (انليل) والأرض السفلى حيث يحكم (نرجال) والأرض الوسطى حيث مملكة (أيا) أو (انكي) سيد الماء المقدس، وهو إله الحكمة والمعرفة الذي علم البشر الكتابة والصناعة والفنون وأصول العمران وقد تمت عملية خلق البشر على يده فهو الذي شكل الإنسان من الطين ونفخ فيه نسبة الحياة عندما استنجد به الإله (مردوخ) في عملية خلق الإنسان الأول.

وكان عبادته مدينة أريدو وقدس كذلك في جميع أنحاء العراق وبالأخص في مدينة (أور) ولارسة والوركاء.

١٠-(ادد) إله الجو والمناخ ولا سيما الأمطار والرعد والفيضانات.

١١-(نرجال) إله العالم الأسفل حيث مقر أرواح الموتى. وهو إله الوباء والدمار ويساعده في مهامه زوجته (ايرش-كيجال) ملكة الأرض السفلى ومجموعة من الآلهة الصغيرة مع عدد من الشياطين والعفاريت.

| ما دام الانسان صالحاً فقد استحق رضى الالهة ويعيش متمتعاً بالسعادة. |
| --- |

**الموت والآخرة في الديانة البابلية :**

ويؤمن البابليون بحتمية الموت وفرضه على البشر وجميع الأحياء ولكنهم لم يعرفوا فكرة البعث بعد الموت والجنة والنار في بدء أمرهم على خلاف

---

(٣) المصدرين السابقين، ص٢٤٨، ٤٤.

المصريين القدماء (وعلى ذلك: ففكرتهم في القيام بالصلاة وتقديم القرابين لم تكن للحصول على الحياة الخالدة بل طمعاً في النعم المادية الملموسة في الحياة الدنيا).

وعقيدتهم في ذلك هي: أن الإنسان ما دام يعمل صالحاً فقد استحق رضى الالهة وعاش متمتعاً بالسعادة. أما إذا أذنب -بقصد أو بدون قصد- فإن الإله حاميه يتخلى عنه فتتلقفه مخلوقات الشر ويتردى في عالم الرذيلة[١].

ويعتقد البابليون ان الروح تنفصل عن الجسد بالموت وتنتقل إلى طور جديد من الوجود إذ تنحدر بعد وضع الجسم في القبر إلى عالم الأرواح وهو العالم السفلي وهو عالم مخيف وقد تخيلوه بشكل مدينة يحيطها سبعة أسوار يحرسها مردة الشياطين وسموه بأسماء مختلفة منها (كيجال) و(الأرض التي لا رجعة منها)، وتحكم هذه المدينة آلهة شديدة قاسية هي (ايرش- كيجال) أي (ملكة العالم الأسفل) ويساعدها في حكمها مجموعة من الآلهة والشياطين والكتاب لتسجيل الموتى. وأما الارواح فانها تعيش هناك إلى الأبد حيث لا قيامة ولا رجعة ولا جنة ولا نار.

**عودة الروح الى الجسم في الآخرة :**

وانتقلت بعض المعتقدات المصرية إلى بابل مثل عودة الروح إلى الجسم في القبر والحساب وما يترتب عليه من نعيم أو عذاب يدل على ذلك: طرق الدفن لديهم وما نجد في قبورهم من الأثاث واللوازم الخاصة بالميت ولا سيما ما ورد في اللوح الثاني عشر من ملحمة جلجامس (أن بعض الموتى ممن خلفوا الحسنات والمآثر الصالحة.. يعيش في هذا العالم (العالم السفلي) عيشاً فيه بعض الراحة حيث يمنح الماء والطعام[٢].

---

(١) مظهر، قصة الديانات ص٤١، وعبد المنعم أبو بكر، حضارة مصر والشرق القديم، ص٣٠٢، والعقاد، الله ص١٠٧.

(١) طه باقر، المقدمة، ص٢٣٣، وعبد المنعم أبو بكر، حضارة مصر والشرق القديم، ص٣٠٢، حيث يقول (ومن حقنا أن نفترض أن السومريين كانوا يؤمنون بالحياة ودليلنا على ذلك: تزويد مقابرهم بأنواع شتى من الطعام والأدوات لا بد أنهم اعتقدوا باستعمالها في دنيا الموت ولكنهم في نفس الوقت صوروا الدار الآخرة كعالم مظلم تسكنه الأطياف التعسة ويهوى إليه الموتى أيا كان شأنهم من غير تمييز بينهم وانظر، ص٢٧٦، من المصدر نفسه.

## العبادات والشعائر عند البابليين:

في هذا المقطع سنتبين ان هناك عبادات وشعائر في الديانات الوضعية كما هو الحال مع الديانات السماوية. وان الناس يؤدي هذه العبادات والشعائر تخاف وتعبد الالهة الوضعية كما يعبد اصحاب الديانات السماوية الههم.

واهتم العراقيون القدماء بإقامة المعابد للآلهة وحرصوا على إرضائها وتقديم القرابين لها التزاماً بخشيتها وعبادتها من جهة وأملاً في أن تمنحهم السعادة والرخاء في الحياة الدنيا من جهة أخرى ولعل أوضح مثل لذلك ما قاله الملك آشور للآلهة عندما رمم معابدها (امنحوني -أنا الذي أخشى معبوداتي العظيمة- حياة تمتد أياماً طويلة وسرور قلب) والشعائر الدينية كثيرة متنوعة: منها الصلوات والقرابين والأعياد الدينية ومنها، ما يتخذ لمعرفة طالع الإنسان والوقوف على المستقبل ونتيجة أعمال الإنسان وهو ما يطلق عليه (العرافة والكهانة).

ومنها ما يتخذ لطرد الشياطين من جسم الإنسان وشفاء المرضى مما يدخل تحت السحر. وبوسعنا أن نقسم أنواع العبادات والطقوس الدينية إلى صنفين:

صنف عام يقوم به الفرد لتحقيق الغاية التي خلق الإنسان من أجلها وهي عبادة الآلهة. وصنف يقوم البشر لتحقيق أمل أو حاجة كإزالة الأمراض ودرء الشياطين والأرواح[1].

واعتقد أن الآلهة إنما خلقت البشر لعبادتها وطاقتها وإقامة معابدها ومناسكها وتقديم القرابين لها وأن من يخشى إله ويطيعه ويلتزم بتقريب القرابين له

---

(١) طه باقر، المقدمة ص٢٥٦.

فإنه يعيش في دنياه راضياً مرضياً وأن من يعصي ويقصر في حق الآلهة فإنه يعاقب في الدنيا عقاباً شديداً.

ورغم تعلق البشر بالالهة وطموحهم برحمتها الا أنهم يؤمنون بالسحر وأساليب طرد الشياطين عن طريقهم.

والعبادات كثيرة ومتنوعة منها ما يقوم الفرد بنفسه بدون وساطة كهنة المعبد كالدعاء وصلاة التوبة والاستغفار ومنها ما يقوم به الكهنة كذبح القرابين وما يتبع ذلك من أعمال وصلاة وحرق البخور وسكب السوائل المقدسة.

وهناك احتفالات بالأعياد والمهرجانات الدينية والتي كانت تقام في المدن المختلفة منها الأعياد السنوية التي يحتفل بها في رأس كل سنة لتمجيد إله المدينة.

العبادات في الديانة البابلية متنوعة منها ما يقوم به الانسان بنفسه بدون واسطة ومنها بالواسطة حيث يقوم الكهنة بها.

# الديانة المصرية

وهذه الديانة لا تختلف عن سابقتها بكثرة الالهة والكائنات المقدسة وتتشابه في بعض ممارساتها التعبدية وتختلف في اخرى .

**المصريون قديماً :**

كان المصريون من أكثر الأمم القديمة تعبداً وتمسكاً بالدين وتعاليمه حتى أن الدين كان عاملاً فعالاً في كل نشاطاتهم الحياتية، وأعمالهم اليومية.. في الكتابة في الحاجات الخاصة، وفي الإرشادات الصحية، وفي أوامر الشرطة وسلطان الحكم(١).

آمنت الديانة المصرية بتعدد الكائنات المقدسة التي يعتبر احترامها من احترام الآلهة، بل قد تبلغ هذه الكائنات رتبة الآلهة. ولقد لعبت الحياة السياسية دوراً كبيراً في إعطاء الديانة المصرية طابعها المميز، فقد كانت مصر مكونة من عدة مقاطعات صغيرة وكان لكل منها آلهتها الخاصة، وعبادتها المختلفة، فآمون في طيبة و"رع" في هيلوبوليس و"آتون" في هرموبولس و"بتاح أو فتاح" في منفيس و"هوروس" في أدفو و"هاتو" في دندرة و"أوزيريس" في أبيدوس وغيرهم كثير هنا وهناك. وكانت مكانة الآلهة مراتب متفاوتة تبعاً لتفاوت مراتب المقاطعات السياسية(٢).

---

(١) الشيخ محمد أبو زهرة: مقارنات، الأديان القديمة، ص٥، ومحمد فؤاد الهاشمي، الأديان في كلفة الميزان ص٢٤، والدكتور طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، حضارة وادي النيل، ج٢، ص٧٨، ١١٥.

(٢) انظر: المصادر السابقة وفاروق الدملوجي، تاريخ الألهة، الكتاب الثاني، ج٢، ص٦٤، والدكتور إبراهيم رزقانه، حضارة مصر والشرق القديم، ص٨٥، وجيمس هنري برستيد تطور الفكر والدين في مصر القديمة ص٣٥.

فالديانة المصرية اذن كانت تتميز بتعدد لآلهة وتنوعها الهم إلا في عهد "أختانون" الذي ثار على هذا التعدد والكثرة الساحقة للآلهة ودعا إلى عبادة إله واحد.

**أصل القوى الطبيعية عند المصريين :**

وترجع من جهة أصلها إلى القوى الطبيعية التي كانت ذات أثر مهم في حياة سكان وادي النيل الأقدمين "حيث حسموا وشخصوا هذه القوة وعبدوها على هيئة آلهة، أهم ما تتصف به صفة التشبيه. أي أنها كالبشر من ناحية الصفات الروحية والجسمية ولكنها أعلى وأسمى من الإنسان وبيدها القدرة ومصير الكون والطبيعة والإنسان كما أنها تتصف بالخلود بوجه عام"(١).

ويرى الباحثون بأن القوى الطبيعية التي كانت أصل الآلهة المصرية قد استمدت من القوى الآتية:

**أولاً: القوى المستمدة من الشمس:** إله الشمس (رع) أتوم (خفرع) وقد نشأت ونمت في معبد الشمس (هليوبوليس).

**ثانياً: القوى المستمدة من الأرض:** إله الأرض (جيب) (فتاح) وكان الأخير هو الإله الخالق بحسب لاهوت الخليفة الخاص بمدينة (منفيس) أما (جيب) فقد ورد في الآداب الدينية أن الغلة تنمو على أضلاعه.

**ثالثاً: القوى المستمدة من الحيوان:** قدس المصريون الحيوانات حتى آل بهم الأمر إلى أن اتخذوها آلهة تعبد ولكنها لم تعبد في البداية لكونها آلهة وإنما لأنها رمز للآلهة فكان لكل إله رمز خاص به، فيرمز برأس أبي قردان للإله (توت) ولآمون براس كبش و(فتاح) برأس عجل.

---

(١) طه باقر: المقدمة، ص٨٨، وانظر: إبراهيم رزقانه، حضارة مصر والشرق القديم، ص٨٢، وجيمس هنري برستيد، تطور الفكر والدين في مصر القديمة ص٣٥ والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص٢٤-٢٥.

وقد وجدنا ان الالهة في الديانة المصرية – كما هي الحال في الديانة البابلية– تعتمد على قوى مستمدة من الطبيعة كالشمس والارض والحيوان. وقد اله المصريون الحيوان نفسه ولم تقتصر عبادتهم لحيوان معين وانما النوع كله.

**الحيوان المقدس والالهة المصرية :**

ولكل آله مصري حيوانه المقدس، اذ ان لكل مكان آلهه الخاص به. وقد يكون الحيوان مقدساً في مكان بينما هو غير مقدس في غيره. فالتمساح الذي كان يعبد في (طيبة) كان يطارد ويقتل في غيرها. ولما سرت فكرة تقديس الحيوان بين العامة لم يعبدوه على أنه رمز للآلهة وإنما على أنه من الآلهة نفسها، وبذلك صار عندهم في صف الآلهة، وليس رمزاً لها[١].

وكانت عبادة الحيوان كانت مقصورة على واحد من آحاد نوعه يختار لصفات تلحظ فيه.

ووصف المؤرخ (هيردوتس) العجل آبيس الذي – وافقت أوصافه العلامات عند الكهنة – : هذا عجل شاب، لا تستطيع أمه أن تلد غيره...، ويعرف هذا العجل ببعض علامات: شعره أسود، وفي جبهته غرة مثلثة بيضاء، وعلى ظهره صورة نسر وتحت لسانه صورة عجل، وشعر ذيله مضاعف[٢].

ثم الهت عقائد المصريين في تأليه الحيوان وعبادته ، إلى عبادة النوع كله بحلول الآلهة فيه. وعلى كل حال فإن من الملاحظ في الفكر المصري القديم أنه يؤمن بالتفريد أو بالإله الأعظم رغم إيمانهم بآلهة متعددة وليس أدل على ذلك من قواعد التكوين التي تتحدث عن نفوذ روح الغلة (آمون) في أرواح (كانت ترفرف

---

(١) انظر: أبو زهرة، مقارنات الأديان، ص١٤، وسليمان ومظهر، قصة الديانات، ص١١، وفاروق الدملوجي، تاريخ الآلهة، ج٢، ص٦٤، وإبراهيم زرقانة، حضارة مصر، ص٨٣.

(٢) أبو زهرة: مقارنات الأديان، ص١٥.

فوق البحار. فخلق كل شيء في هذا الكون بعد نفوذه بالأرواح. وقد نزه المصريون الإله (آمون) عن الخطأ ووصفوه بأنه عالم بكل شيء وهو في غاية الكمال، لا يشمله الزمان، ولا يحيط به المكان، وخلق السماوات والأرض ولم يخلقه أحد .. الخ، وهذه الصفات توحي بأن المصريين كانوا يعتقدون بانفراد إله في خلق الكون.

ورغم ان المصريين في كثير من الاحيان قد آمنوا بتعدد الالهة، لكننا نراهم في احيان اخرى يميلون الى التوحيد. اي توحيد الهة معينة. ولعلها بداية الدخول في فكرة توحيد الله عندهم وقبولها بعدئذ.

**الكهنة والتوحيد :**

ولعب الكهنة دوراً رئيساً في ضياع فكرة التوحيد وثبتوا معتنق الآلهة المتعددة في أذهان الناس[1] إن فكرة التفريد (الإله الأعظم) التي عرفها المصريون قد تطورت إلى عقيدة التوحيد الإلهي أو مهدت للدعوة إلى التوحيد التي بدأها الفرعون (أمينوفيس) حوالي عام ١٣٧٥ ق.م، أعظم ملوك الأسرة التاسعة عشرة، بعد أن راعه سلطان الإله آمون، ولم يجسر على تسويد معبودة الحامي (تحوت) خوفاً من ثورة الشعب عليه، وتحزب الكهنة وسدنة الأرباب الأخرى ضده. ولذا بدأ دعوته –وابتدع اسماً رقيقاً (اتون)– قرص الشمس– وكان يقدسه هو وزوجته (تي يي) وصنع قارباً كان يكثر من التنزه فيه مع زوجته أسماه (اتون يسطع) وعمل هذا الفرعون على تنشئة بنيه وبناته وخاصة ولي عهده (أمينوفيس الرابع) على عبادة (اتون).

---

(١) انظر: الدملوجي: تاريخ الآلهة ج٢، ص٦٢–٩١، وسنية قراعة، الرسالات الكبرى، ص١٠٨.

**اخناتون والتوحيد :**

وبعد ان ارتقى (أمينوفيس الرابع) الذي عرف باسم (أخناتون) العرش وكان أكثر جرأة من أبيه فجاهر بالتوحيد، ونادى بإلغاء عبادة الآلهة المتعــددة وعبــادة (أتون) وحده.. أي القوة الكامنة خلف قرص الشمس. فكر أمينوفيس الرابع في تلك القوى التي لا تراها عين والتي ترى كل شيء وتولى العالم والناس ما هم فيه مــن خير وإسعاد.. وطال به تفكيره. ولكنه لم يتشعب لأن بصيرته هدته في سرعة إلى الحقيقة وهي: أن هناك قدرة تسود هذا العالم وتسير أموره وأمور من فيه. وأن هذه القدرة مستترة لا يمكن تشخيصها ولا تحديد هيئة لهــا وأن أياديهــا العديــدة ذات الأفضال والمنن تمتد من سمائها ومن خلف قرص الشمس فتهب العالم كل شيء[1].

ولم يكد يمضي العام السادس على تولية (أمينوفيس) حتى غير اسمه إلى (أخناتون) أي عبد أتون. وأمر الناس بإنكار الإله القديم (آمون) -الذي توارث شعبه تقديســه وعبادته- والإيمان بالآله الجديد (آتون) وخضع له الشعب، إلا أن رجــال الــدين والكهنة وخصوصاً كهنة أمون -الذين ضربت مصالحهم وقلت مــدخولاتهم- لــم يرضوا عن هذه العودة (واعتبروها الحاداً وحكموا على (اخناتون) بالفناء واللعنة، ولكنهم لم يجسروا على إعلان ذلك خشية الانتقاص من سلطان. فرعون كفرعــون للبلاد، إذ كانوا يعتقدون أن هذا الظل البغيض سوف يزول وأن الشيء الذي سيبقى رغم أنف ذلك الكافر بعقيدتهم هو مصر وعقيدتها، التي ما كان لمثل هذه الــدعوى العارضة أن تغير منها شيئاً على الإطلاق أو تنال من قوتها التي تمكنت في النفوس وثبتت[2].

---

(١) سنية قراعة: الرسالة الكبرى ص١١٢، وانظر مظهر: قصة الــديانات ص٢١-٢٤، وإبــراهيم رزقانه، حضارة مصر، ص٢٠٨-٢١٠، وجيمس هنري برستيد، تطور الفكر والدين في مــصر القديمة، ص٤١٨.

(٢) المصدر السابق وإبراهيم رزقانة: حضارة مصر، ص٢٠٦-٢١٠.

وبعد أن مات أخناتون تغلبت فكرة التفريد (الإله الأعظم) على عقيدة التوحيد (الإله الواحد) مرة أخرى[1].

**الاخرة في الديانة المصرية :**

| بامكان المطلع على فكرة الآخرة والحساب والعقاب والروح ان يقارن بينها وبين تلك الفكرة في الديانات السماوية وهو ما يوضح تأثير هذه الديانات بالديانات والمعتقدات المصرية عموماً. |
|---|

تعتقد الديانة المصرية بالحياة بعد الموت وبالخلود فيها، وبالمثوبة أو العقوبة على ما قام به الإنسان من عمل صالح أو طالح في حياته الأولى الفانية. وقد بُنيت عقيدتهم هذه على أمرين رئيسين:

**الأمر الأول:** فكرة العدل الإلهي: قالوا: أننا نشاهد صراعاً عنيفاً بين قوى الخير والشر في الحياة. فلو بقي المسيء على إساءته لما استقام العدل الإلهي. إذن فمن العدالة أن يكون يوم آخر وحياة أخرى لينتصر فيها الخير والأخيار وينتصف فيها من الشر والأشرار.

**الأمر الثاني:** وجود الروح وخلودها. اعتقد المصريون بأن الإنسان مكون من عنصرين متغايرين هما الجسد والروح وأن الجسد شيء كتب عليه الفناء، وأن الله قد وكل أمر حياة البشر وإحساسه وشعوره إلى روح تغاير الجسد صفة ومادة ونسيجاً فهي خالدة لا تعترف بموت أو فناء. فالروح يفارق الجسد بعد الموت، ويعلو إلى السماء حيث يحتشد مع غيره من بقية الأرواح في قارب (رع) المجتاز للسماء سائراً بهذا الحشد إلى (الغرب) حيث (لوكارون) الذي يحمل الأجساد في

(١) يموت أخناتون انهارت دعائم دينه، ولم يستطع خلفاؤه (سكنن رع) زوج ابنة أخناتون الكبرى ومن بعده (توت عنخ أمون) زوج ابنته الثانية –أن يقفوا في وجه التيار الديني المضاد والمتحمس للعودة إلى تأليه آمون فرضخوا لكهنة آمون أملاً في عونهم وطلباً لرضى الشعب وأعلن (توت) بطلان عبادة آتون واستبدال اسمه بآمون وهكذا انتصرت المصالح الذاتية على العقائد الدينية.

قاربه إلى الأبدية وحيث مملكة (أوزوريس) رب المغرب والخلود التي تنتقل إليها الأرواح التي وصلت في مركب (رع). وعالم (أوزوريس) هو عالم الموتى. وفيه أيضاً قاعة العدل التي وصلت في مركب (رع). وعالم (أوزوريس) هو عالم الموتى. وفيه أيضاً قاعة العدل الإلهي أو قاعة الحساب ويتصدرها القاضي الأكبر أوزوريس، إلى جانبه زوجته إيزيس. وأختها نفتيس، وأمامه يقف ابنه (حوريس) ومعه (أنوبيس) الموكول إليه أمر الموتى وبمقربة من عرش القاضي الأكبر يقف (توت) رب الحكمة، يحمل صحائف أعمال الأرواح القادمة إلى قاعة العدل والتي سطرت فيها الحسنات والسيئات. ولا تكاد تبدأ المحاكمة حتى يأخذ كل من هؤلاء مكانه، ويجلس الإثنان والأربعون قاضياً في أماكنهم ويوضع الميزان وإلى جانبه (معات) ربة العدل، وبمبعدة منه الوحش البشع الهيئة الذي يسمى (الملتهمة) يجلس متحفزاً في انتظار الروح الشريرة ليتولى عذابها[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن عودة الروح وبقائها حية بعد الموت يتوقف على أشياء كثيرة عند المصريين منها:

قيام البشر بأمور طقوسية معينة،؟ وتزويد المتوفي بما يحتاج إليه الأحياء من عون مادي كالأدوات والأثاث والطعام والشراب، والمحافظة على سلامة الجسم، ولذا بذلوا أقصى الجهد في سبيل المحافظة عليه، وجعله صالحاً لحلول النفس فيه بعد الموت. وهذا ما حفزهم على التفنن في تحنيط الموتى، وبقاء المومياء على هيئة من التماسك وعدم التحلل حتى تعود النفس إلى غلافها. ولضمان عودة النفس إن كان الجسم غير صالح، ونحتوا أكثر من تمثال للميت الواحد، حتى إذا لم يكن أحدهما صالحاً تحل في غيره[2].

---

(١) نفسه، ص١٢٥، ١٢٦، وانظر: إبراهيم رزقانة، حضارة مصر والشرق القديم، ص١٧٥، وجيمس هنري برستيد، تطور الفكر والدين في مصر القديمة، ص٨٥.
(٢) انظر: أبو زهرة، مقارنات الأديان، ص١٧، وطه باقر، المقدمة، ص٩٦.

## كتاب الموتى المقدس عند المصريين :

يعتقد المصريون أن أحد الآلهة قد كتبه بيديه ولذلك كانوا يتعبدون بتلاوته وهم أحياء، ويوضع معهم في قبورهم وهم أموات.

يشتمل هذا الكتاب على جميع الكلمات السحرية التي تستعمل لعلاج الأمراض وعلى الصلوات والأدعية. وعلى ما يجب للميت من تحنيط وطقوس دينية وعلى ما تلقنه الروح لتحسن الإجابة أمام محكمة الحساب. جاء في أحد أبوابه: (إن الكتاب يعلي شأن الميت في أحضان (رع) ويحبوه السبق لدى (آتوم) ويجعله عظيماً لدى (أوزوريس) ومرهوب الجانب لدى الآلهة. وكل ميت وضع له هذا الكتاب تخرج روحه نهاراً مع الأحياء وتصعد إلى الآلهة، ولا يعترضها عارض تدنيه الآلهة منها وتلمسه لأنه شبهها ويوقفه هذا الكتاب على ما حدث منذ البدء. هذا كتاب خفي وهو حق لم يعلم به أحد، أنه مالا عين رأت، ولا أذن سمعت أنه لا يراه أحد سواك، ومن علمك إياه، فلا تزد عليه شيئاً من خواطرك وخيالك، بل قم بكل ما يدعوك إليه وسط بهو التحنيط) هذا جزء مما تقوله الروح –دفاعاً عن نفسها– أمام محكمة الآلهة في العالم الآخر وهو مقتطف من أحد فصول الكتاب (يا سادة الحقيقة: إني حامل الحقيقة إنني لم أخن أحداً ولم أغدر. بأحد ولم أجعل أحداً من ذوي قرابتي في ضنك ولم أقم بدنيئة في موئل الحقيقة، ولم أمازج عملي بشر قط، وجافيت الضر والأذى، ولم أعمل باعتباري رئيس اسرة ما ليس من عمل ربها، ولم أكن سبباً في خوف خائف ولا عوز معوز، ولا ألم متألم ولا بؤس بائس. لم أجع أحداً، ولم أقتل نفساً، وما حرضت أحداً على قتل أو خيانة.. لم تكن ثروتي عظيمة إلا من ملكي الخاص، إنني لم أنقص مكيال الحبوب، ولم أكن طامعاً، ولم يكن صوتي عالياً فوق ما يجب ولم تأخذني حدة الغضب في طبعي، إنني لم أسب ولم أكن متسمعاً ولم أكن متكبراً. إني لم أرتكب زنا مع امرأة، إني لم أدنس عرضي، قولوا عني الصدق أمام الرب المهيمن، ولا تقدموا ضدي أية شكاية أمام

الإله العظيم، لأني إنسان طاهر الفم طاهر اليدين وإني من قال له كل من رآه: مرحبا، مرحبا. فأنا نقي. أنا نقي، أنا نقي[١].

ورغم ان كتاب الموتى فيه الكثير من افكار السحر والخرافات.. الا ان تأثره بكتب الديانات السماوية وتعاليمها واضح جداً.

وتظل الروح تذكر براءته من اثنين وأربعين خطيئة تغضب ربه وتنهي دفاعها الإنكاري هذا بالتوسل للآلهة الأكبر كي يمن عليه بالمغفرة، وأن يسمح له بالحياة في النعيم الأبدي. ويضرع إلى الاثنين والأربعين قاضياً لكي يشفعوا له.. وإذا نجحت الروح في الدفاع عن الميت، وزكته أعماله أصدرت المحكمة حكمها ببراءته ومن نصوص الحكم كما جاء في الكتاب (ليس فيه شر، ولا خطيئة ولا فساد. ولا دنس وليس عليه اتهام ولا في أعماله ما يشين الأعراض فقد عاش في الحق وتغذى بالحق وأن أفعاله تشرح الصدور وهي ما يطلبه الرجال ويسر الآلة وقد أخلص للآلهة فحبته وأعطى الخبز من كان خاوياً والماء من كان صادياً واللباس من كان عارياً، وأعار الزورق لمن ليس عنده..).

(١) أبو زهرة، مقارنات الأديان، ص١٩-٢٠، وسنية قراءة، الرسالات الكبرى، ص١٢٧-١٢٩، والسيد محمود أبو الفيض، الدين المقارن، ص٧٢،٧١ وإبراهيم رزقانة، حضارة مصر، ص١٧٥.

# الديانة الرومانية

ونتبين في هذه الديانة انها ديانة قد خلقها الرومانيين انفسهم وأن تأثيرها في الديانات المجاورة واضحاً.

**المراحل التي مرت بها الديانة اليونانية :**

يمكن الإلمام بالديانة الرومانية من خلال تتبع تطوراتها في مراحل أربعة:

الدور الأول: في هذا الدور كانت الديانة الرومانية بدائية ومختلفة ترتكز على الخرافة وعالم العفاريت أعتقد الرومان خلاله أن لكل شيء رباً "لكل مظهر من مظاهر الحياة رب، ولكل قوة في الإنسان رب، فعندما يولد الطفل يأتيه رب يعلمه النطق وربة تعلمه الشرب، وأخرى تقوي عظامه وربان يرافقانه إلى المدرسة وآخران يرجعان به ويعتقدون أن هناك أرباباً للمدينة وللكتابة وللجبل ولكل نهر، ولكل نبع ولكل شجرة. ولقد قال الكاتب اللاتيني بترون في إحدى قصصه على لسان امرأة (إن بلادنا غاصة بالأرباب، بحيث يسهل عليك أن تلقي فيها رباً من أن تصادف رجلا)[1] إلا أنه لم يكن لهذه الأرباب معابد خاصة ولا تماثيل مقدسة وكانت عبادة الرومان لها قاصرة على طقوس بيتية يتولى القيام بها رب العائلة وتنحصر هذه العبادة في تقديم المأكولات والمشروبات المأكولات والمشروبات واللحوم للآلهة رغبة في إرضائها وأملاً في عطفها. ولم يصفوها بما يتصف به البشر من حب وبغض زواج وإنجاب كما يفعل اليونان -كما سنرى-. وكل ما كانوا يعتقدونه تجاه الرب أنه يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ويعمل للناس الخير والشر على ما يشاء ويريد.

---

(١) أبو زهرة، مقارنات الأديان، ص١١٤، وانظر: د. سامي سعيد الأحمد، الإلـه زووس ص١٧٧، حيث ذكر أسماء ووظائف كثير من هذه الأرباب والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص٣٣.

الدور الثاني: في هذا الدور – ونتيجة لاتصال الرومان بالعالم الخارجي واحتلالهم لكثير من الأقطار- عرف الرومان المعابد الخاصة والتماثيل المقدسة ودخلت معتقدات أرباب اليونان –التي سنتحدث عنها- وكثير من الأرباب المحلية للجماعات والشعوب المحتلة إلى روما وتأثر الرومان بها وعبدوها كذلك "فمن المستعمرة اليونانية في كوماي دخلت عبادة الإله (أبولو) إلى روما ومع هذا الإله أتت الإيحاءات السلبية التي أكدت على إمكانية اتصال البشر بالأرباب عن طريق الكهنة الملهمين مما أدى إلى زيادة العنصر الخرافي في الدين الروماني"[(١)].

| الديانة الرومانية تشابه الكثير مما سنراه في الديانة اليونانية والتأثير بينهما كبير وواضح. |
|---|

**الادب اليوناني وأرباب الرومان :**

ومع الأرباب التي أوفدت إلى روما وفدت أنماط جديدة من العبادات والطقوس والشعائر الدينية. وكان للأدب اليوناني الذي انتشر في روما خلال هذه الفترة أثر كبير في اكتساب الأرباب الرومانية مظاهرها وأشكالها وشخصياتها[(٢)] نجد ذلك في:

١- الأساطير المشتملة على قصص شعرية جذابة خيالية.

٢- الفلسفة.

٣- مراسيم الدولة الدينية.

الدور الثالث: وكنتيجة للاتصالات العسكرية والسياسية دخلت الديانات الشرقية إلى ساحة روما وتأثر بها أهلا تأثراً كبيراً حيث شاعت عبادة الآلهة الشرقية كالإله (بعل) و(سول) السومريين كما انتظمت أكثر عبادة الآلهة (ايزيس) المصرية

---

(١) د. سامي سعيد الأحمد، الإله زووس، ص١٧٨.
(٢) انظر المصدر السابق، ص١٧٩.

والآلهة (فينوس) أو (عشتار) البابلية. ولقد ساعد دخول الفكر الديني الشرقي على تحويل الوثنية الرومانية إلى نظام يؤكد على قواعد سلوكية عالية وعلى حياة أخرى بعد الموت حتى اعتقد الرومان بقدسية الموت وأطلقوا عليهم اسم الآلهة (مانيس) يقول شيشرون (أعطوا الآلهة مانيس ما هو لهم أنهم أناس هجروا الحياة الدنيا، اعتبروهم كائنات إلهية) [1].

الدور الرابع: ونتيجة لتضخم الآلهة ونوع المقدسات كالموتى والأبطال وانتشار الديانات مع عدم تناسقها وانسجامها وتعدد الطقوس والشعائر الدينية واختلافها وتنافرها وكثرة الأعياد الدينية كثرة فاحشة بحيث بلغت حوالي مائة يوم في السنة[2].

**موقف الرومانيين من الالهة :**

نتيجة لذلك كله اضطربت الديانة الرومانية وضعف تماسك الرومان بها وانصرفوا إلا قليلاً عنها فقد أخذ كثير من الناس بهاجم الآلهة ويسخر من الطقوس والشعائر الدينية فانتشرت اللادينية. وأخيراً انتهت هذه الفوضى بسماح الامبراطور (قسطنطين) بعد أن فتح روما للمبشرين المسيحيين بالعمل العلني واتباعه ذلك بإعلان المسيحية ديناً رسمياً للبلاد حتى يومنا هذا[3].

| كانت الديانة الرومانية تحمي الدولة الرومانية وتعبر عن افكارها لذلك فان مراسيم الدولة الدينية فيها تعتبر جزءاً من ايديولوجية تلك الديانة. |
| --- |

---

(٢) نفسه، ص١٨٣.
(١) انظر المصدر السابق، ص١٨٢-١٨٦.
(٢) انظر: فاروق الدملوجي، تاريخ الآلهة، الكتاب الثاني ج٢.

# الديانة اليونانية

**ادوار الديانة اليونانية :**

وكذلك تميزت الديانة اليونانية بأربعة أدوار متلاحقة كالديانة الرومانية وهي:

الدور الأول: وهو دور الديانة الكريتية -نسبة إلى جزيرة كريت- ذلك لأن اليونانيين قد تدينوا بهذه الديانة في مبدأ أمرهم نظراً للتأثيرات الكبيرة بين الحضارتين الكريتية واليونانية. وهي ديانة وثنية في كافة عهودها، فقد عبد الكريتيون مظاهر الطبيعة من حيوان وجماد ونبات كالحية والطيور والثور والفأس ذي الرأسين ومزجوا هذه العبادات بطلاسم السحر والشعوذة. ومن الأرباب التي شاعت عبادتها في كل مكان من كريت (الربة الحية) ربة المنزل الحارسة و(الآلهة آلام) ربة المحلات المرتفعة والحيوانات الوحشية والطيور، وكانوا يرمزون إليها بالحية والحمامة. كما عبد الكريتيون الأشجار والينابيع المقدسة التي تشرف عليا ربة من الربات[١]. ويبدو أن الكريتيين قد اعتقدوا بنوع من الحياة الأخرى بدلالة ما وجد في قبورهم من حاجيات وأدوات.

الدور الثاني: وتبلورت ذهنية اليونانيين من خلال التطورات الطبيعية للديانة الكريتية وبدأوا بجمع عقائدهم ضمن قواعد ومفاهيم معينة، حيث جاء الشاعر هوميروس -صاحب الألياذة- فوضع بعض المميزات للآلهة (زووس) في كتابه (الأوديسة) [٢]. ثم جاء (هسيود أو أزيود) شاعر الفلاحين والعمال فكتب كتابه (أصل الآلهة) ويحوي مجموعة من الأساطير والمأثورات القديمة وفي الكتاب

---

(١) انظر: العقاد، الله، ص١٠٩، والدكتور سامي سعيد الأحمد، الإله زووس ص٩-١١، وأبو زهرة، مقارنة الأديان، الديانات القديمة، ص١٠٢.

(٢) The World's Religions. Charles S. Barden.

تركيز ظاهر على ولادة آخر الآلهة اليونانية (زووس). الذي قتل والده ليصبح الإله الأعظم للكون. وعلى هذا فإن هوميروس وهسيود هم الذين (صنعوا أجيال الأرباب لليونانيين وأعطوهم أسماءهم وميزوا وظائفهم ومهنهم ورسموا أشكالهم)[١].

وقد سمى هذا الدور... دور الآلهة أو الأرباب الأولمبية -نسبة إلى جبال الأولمب- حيث استقر الإله زووس (الإله الأعظم أو رأس الأرباب) ليحكم منه العالم وهو نفسه الإله (ديوس) المعروف في الديانة الهندية الآرية القديمة. وأما الأرباب الأخرى فهي كثيرة:

منها الربة (ارتميس) -ومثلها الربة أفروديت أو فينوس- وهي الربة (عشتار) البابلية ومنها الربة (ديمتر) وهي (ايزيس) المصرية -كما قال المؤرخ- (هيرودتس) وهي واحدة من أرباب كثيرة تشابهت عبادتها في بلاد الإغريق وعبادتها بين قدماء المصريين.

ومنها الرب (أدونيس) وهو من (أدوناي) العبرية بمعنى السيد أو الإله ومنها الرب (سرابيس) وهو اسم مركب من اسمي (أوزيريس وأبيس المعبودين المصريين)[٢].

**التشبيه والهة اليونان :**

وكانت صفة التشبيه طاغية على أرباب اليونان -كآلهة بابل- فقد وصفوها بكل صفات البشر الروحية والمادية كالصورة والأعضاء والفكر والعاطفية فهي - أي الأرباب- تأكل وتشرب، وتلعب وتلهو، وتحب وتكره وتفرح وتحزن وتبغض وتحسد وتحقد وتنتقم وتحارب وتغزو وتنتصر وتنهزم... الخ، إلا أنها تختلف عن البشر في أنها خالدة وفي أن أعمالها خارقة[٣]. ولم يكن لدى اليونانيين في هذا

---

(١) سامي سعيد الأحمد، الآلهة زووس ص١٢، والنص للمؤرخ هيرودتس.

(٢) العقاد، الله، ص١٠٩، والسيد محمود أبو الفيض، الدين المقارن، ص١٢٥.

(٣) انظر: المصادر السابقة وأبو زهرة، الديانات القديمة، ص١١٣، والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص٣٢.

الدور أي كتاب مقدس أو شرائع دينية ثابتة وإنما كانوا يحتكمون إلى العرف والعادة وأقوال الحكماء والفلاسفة.

الدور الثالث: وفيه دخلت إلى اليونان –مع موجات من المبشرين الأجانب– أفكار جديدة حول الحساب والعقاب والخلاص شبيهة إلى حد ما بالأفكار المسيحية فيما بعد وقد عملت هذه الأفكار على تطوير الفكر الديني فصار الإنسان اليوناني –تحت تعليمات الأورفية[١]– نسبة إلى (أورفيوس) يخاف الموت ويحسب له حساباً.

**الرهبان في اليونان :**

وكانت نتيجة ذلك ظهور طبقة أشبه ما تكون بالرهبان وتتميز الفترة الأورفية بغموض الفكر الديني الإلهي والاستناد إلى الأسرار ركضا وراء فكرة الخلاص من عقاب اليوم الآخر وكان أعظم هؤلاء المبشرين هو (اكسينوفون)[٢]. وهو (أول من نقل إلى الأغريق فكرة الإله الواحد المنزه عن الأشياء وكان ينعي على قومه أنهم يعبدون أرباباً على مثال أبناء الفناء ويقول: أن الحصان لو عبد إلهاً لقال: أنه أسود الأهاب وأن الإله الحق أرفع من هذه التشبيهات والتجسيمات ولا يكون على شيء من هذه الصفات البشرية.. بل هو الواحد الأحد المنزه عن الصور والأشكال وأنه فكر محض، ينظر كله ويسمع كله ويفكر كله، ويعمل كله، في تقويم الأمور وتصريف أحكام القضاء)[٣]. ويمكن أن يسمى هذا الدور.. دور التكوين القائم على مؤثرات خارجية. وأهم هذه المؤثرات كان الديانات الآسيوية والمصرية.

---

(١) أورفيوس: شخصية مجهولة ولعله شخصية أسطورية وقيل أنه عاش قبل هوميروس إلا أنه لم يرد له ذكر في كتاب هسيود. والأورفية: نظام يشبه الرهبنة وقد سمى المنظمون أنفسهم (أورفيكوي) أي تابعي نصائح وإرشادات أورفيوس وعبدوا الإله (دايونيسيوس زاكريوس) وشجعت الدولة هذه العبادة وصار دايونسيوس زاكريوش مشرفاً على تطهير النفوس في الدنيا ومنحها ما تستحق من ثواب أو عقاب. انظر: د.سامي سعيد الأحمد، الإله زووس ص١٨-١٩.

(٢) ولد في آسيا الصغرى، نحو ٦٠٠ ق.م، انظر: أنعام الجندي، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، ص٣٦.

(٣) انظر: الدكتور جعفر آل ياسين، فلاسفة يونانيون، ص٢٩،٣٠، وأنعام الجندي، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية ص١٨.

الدور الرابع: والذي يعتبر من أهم أدوار الديانة اليونانية لأن فيه برز الفلاسفة الذين أكدوا على سعادة الإنسان كهدف عليه أن يسعى لتحقيقه في هذا الحياة.

وبرز الأدباء والشعراء الذين أبدعوا في تصوير التراث اليوناني، الذي كان له تأثير كبير في معظم التراث العالمي إلى اليوم. ويمكن القول بأن الفلسفة قد بدأت منذ الدور الأول ولكنها لم تبرز وتتبلور إلا في هذا الدور.

| وبعد ان عرفنا ادوار تلك الديانة.. فهل يمكن القول بان هذه الديانة بعيدة عن الديانة الرومانية؟ وأن التأثير بينهما قليلاً ؟ |
|---|

**الفلسفة اليونانية :**

وفيه ظهرت الفلسفة المادية الطبيعية المستندة إلى تحليل ظواهر الكون. ونشوء العالم دون اللجوء إلى الخلق الإلهي، نظراً لعدم وجود أنبياء -عندهم- أو شرائع سماوية تحد من تفكيرهم فراح (انكسمندريس) ٦١٠-٥٤٥ ق.م، واضع الفلسفة الدهرية- ينسب جميع حوادث الكون إلى الدهر ويمد الوجود إلى غير حد من الزمان والمكان ويقول بعوالم لا تحصى وبدور عام يتكرر إلى ما لا نهاية.

| كانت الديانة اليونانية سبباً في انبعاث الافكار الفلسفية عند اليونانيين، بل يمكن القول بان اليونانيين كانوا يتصفون بعقلية فلسفية فريدة من نوعها. |
|---|

وأما التكوين عنده فهو اجتماع العناصر المادية وافتراقها تحت تأثير الحركة والدوران دون أن يكون لها سبب أو علة فاعلة[١].

(١) نفس المصدر.

وأهم ما يمتاز به هذا الدور.. طغيان فكر الإله الواحد فقد قال أفلاطون أن العالم معلول بعلة فاعلة مدبرة وهذه العلة هي (زووس-الله) وقال: أن المادة بحاجة إلى من يحركها[١].

وهذه العلة سرمدية لا أول لها ولا آخر, وهي الجوهر الأول في الكائنات جميعاً. وقال أرسطو: أنه يجب أن يكون لحركة العالم علة فاعلة أولى ثابتة غير متحركة -(الله-زووس) ولا يجوز أن يكون لهذه العلة أبعاض أو أجزاء وإلا افتقرت إلى شيء من خارجها يستوفيها وهي مجردة عن المادة لأن المادة بحاجة إلى من يحركها[٢].

وهكذا لعبت الفلسفة اليونانية دوراً مهماً في جعل الأفكار اليونانية مرنة تتمكن من التمازج والتفاعل مع أفكار العالم الحية. إذ بعد احتكاكها بالديانة المصرية وبالذات مدرسة الإسكندرية الفلسفية والديانات والفلسفات الآسيوية ظهرت المدرسة اليونانية الحديثة بزعامة الفيلسوف (فيلون) [٣]. الذي وضع شرحاً كبيراً لآراء أفلاطون وجاء من بعده (أفلوطين) فجدد مذهب (فيلون) وعرف مذهب أفلوطين هذا بالأفلاطونية الحديثة. وخلاصة رأي الأفلاطونية الحديثة في نظرية الوجود وخلق العالم هي: أن هذا العالم كثير الظواهر دائم التغير فلا يمكن أن يكون

---

(١) يعتبر افلاطون من أوائل الفلاسفة القائلين بوجود الله وبأنه الخالق للعالم والمدير لأمره وبرهن على ذلك بعدة براهين أهمها برهان النظام حيث قال: أن العالم آية في الجمال والنظام ولا يمكن أبداً أن يكون هذا نتيجة علل اتفاقية (مصادفة) بل هو صنع عاقل كامل توخي الخير رب كل شيء عن قصد وحكمة. انظر نديم الجسر، قصة الإيمان ص٣٩-٤٠. وأنعام الجندي، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، ص٥٤.

(٢) يعتبر أرسطو أعظم الفلاسفة المؤهلة الأقدمين وهو واضع علم المنطق ويلقب بالمعلم الأول انظر: أنعام الجندي، دراسات في الفلسفة اليونانية والعربية، ص٣٣، وول ديورانت، قصة الفلسفة ص٧٨.

(٣) نشأ فيلون في الإسكندرية (٢٠ ق.م – ٥٤ ب.م) في الوقت الذي كانت فيه الإسكندرية قد خلفت أثينا في مركزها العالمي وكان المذهب المسيطر فيها يومئذ هو مذهب أفلاطون وكثر البحث والجدل في أصل العالم وكونه حادثاً أو قديماً فوضع فيلون شرحاً كبيراً لآراء أفلاطون وكثر البحث والجدل في اصل العالم وكونه حادثاً أو قديماً فوضع فيلون شرحاً كبير لآراء أفلاطون ثم جاء بعد ذلك أفلوطين بين سنة ٢٠٧، ٢٤٠نـ فجدد هذا المذهب الذي عرف بعد ذلك بالأفلاطونية الحديثة. انظر نديم الجسر، قصة الإيمان، ص٥١.

قد وجد بنفسه بل لا بد له من خالق مبدع وهذا الخالق هو الله. وهو واحد أحد أزلي أبدي قائم بنفسه وهو فوق المادة وفوق الروح. ولما كان التشبه منقطعاً بينه وبين الأشياء فلا بنفسه يمكن وصفه إلا بصفات (سلبية) فهو ليس مادة ولا يوصف بأنه متحرك أو ساكن ولا يقال بأنه موجود في زمان أو في مكان ولا يمكن أن تضاف إليه صفة لأن هذه الإضافة تشبيه له بشيء من مخلوقاته وتحديد لـــه. وهو لا نهائي وكامل ولا يفتقر إلى شيء ولسنا نفهم عن طبيعته إلا أنه يخلق كل شيء ويسموا على كل شيء ولا تدري كنهه العقول[١].

**الفلسفة اليونانية والمسيحية :**

ولكن على الرغم مما أنجبت اليونان من فلاسفة عظام ونظريات فلسفية في غاية الأهمية في الوجود... والخلق.. والمعرفة وما إلى ذلك. وعلى الرغم من اتفاق تكلم النظريات في العديد من المسائل المتعلقة بالدين والعقيدة. كاعتبار أن الله موجود، كامل، خالق، وأن معرفته لا تكون إلا بالوحي والإلهام، والزهد، والتقوى، والعبادة، والتجرد عن الدنيا. فقد بقيت ديانة اليونان وثنية في جوهرها.. حتى ظهرت المسيحية فغلبتها حيناً من الزمن وتمكنت من القضاء عليها ولكن بعد أن تركت هذه الفلسفات بصماتها واضحة جلية في المسيحية وأثرت فيها أبلغ الأثر[٢].

---

(١) نديم الجسر، قصة الإيمان، ص٥١، ٥٢ـ وقد علق على هذه الآراء بقوله: وهذا الكلام على مـا فيه من حق ينطوي على كثير من الغلو في التنزيه حتى يكاد يجعل الله موجوداً بلا ماهية فالاكتفاء بالصفات السلبية غير صحيح لأنه وإن كان فيه اعتراف وإيمان بصفات الوجود والقـدم والبقـاء والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس إلا أنه لا يثبت لله صفات العلم والقدرة والإرادة مع أنها متوجبة عقلاً لله تعالى.

(٢) The Worldls Religions, Charles. Barden

كانت العقيدة اليونانية - التي تتحدث عن الله - واضحة مبرهن عليها بالعديد من النظريات بحاجة إلى بلورة وكان يفترض من المسيحية التي انتشرت هناك واختلطت بها ان تكون اكبر عون على بلورة فكرتها. الا ان المسيحية كانت قد آمنت بالتثليث الذي ابعدها عن التوحيد فصار الله متجزأ باقانيم ثلاثة - كما سبق أن ذكرنا ذلك.



# الديانات الوضعية الحية

١- الديانات الهندية .

٢- الديانات الصينية.

٣- الديانة اليابانية .

# الديانات الهندية والصينية واليابانية

ان الديانات الحية في الشرق كثيرة جداً، ولكننا هنا نختار منها دياناتها الكبرى والتي يدين بها ملايين البشر.. مقتصرين على الديانات الهندية والصينية واليابانية، حيث هي من اوضح الأمثلة على ذلك. والسبب في ذلك ان هناك المئات من المصادر التي تسهل عملية الاطلاع على عقائدها وتاريخها والممارسات الدينية لاتباعها.

# الديانات الهندية

في هذا المبحث سنختار الديانة الهندوسية وتطورها والديانة الجانتية التي انقسمت عنها. ثم نتناول بعد ذلك المذاهب الاصلاحية الدينية الكبرى في تلك الديانة كمذهب كبير ومذهب السيك ومذهب ديانندا، وسنتعرف من خلالها كيف ان الديانات السماوية النصرانية والاسلام قد اثرت في الديانة الهندوسية فاخرجت الكثيرين منهم ليعملوا على تأسيس مذاهب اصبحت خارجة عن الهندوسية وبعيدة جداً عن الديانات السماوية التي تأثرت بها.

## الديانة الهندوسية

**أول البشر عند الهندوس :**

تقول الاساطير الهندوسية أن براهما روح العالم قد خلق (مانو) أول البشر فأخرج منه زوجة له فصار أول زوج وزوجة على وجه الأرض وجاء منهما نسل البشرية، وبإرادة براهما كذلك جاءت جميع الكائنات، فصار براهما هو الخلق نفسه لأنه أخرجه من نفسه، وجاء من مانو أبي البشر أربع طبقات، فمن رأسه جاء أفضل الناس وأعظمهم قدسية وهم الكهنة البراهمة (Brahman) ومن ذراعه جاء من يليهم في الأفضلية وهم الملوك والمحاربون (الكاشتريا Kastria) ومن فخذيه جاء أرباب المهن ممن يهيئون أسباب المعيشة للطبقتين اللين سبقتها بالأفضلية وتسمى هذه الطبقة الفيشية (Visaya)، ومن قدم مانو جاءت الطبقة السفلى من الناس وهم الطبقة المنبوذة أو العبيد أو الخدم الذين يسمون بالشودرا (Sudra) [١]..

(١) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص ٢٥-٥٣.

**الاريون والهندوس :**

أما ما جاء في الحوادث التأريخية فإن الآريين حين سيطروا على شمالي وشرقي الهند في الألف الثانية قبل الميلاد فإنهم استعبدوا الاهالي وخلقوا هذه الطبقات وذلك بجعل أهالي البلاد عبيداً ومنبوذين يقومون بخدمة الأسياد الذين تتكون منهم الطبقات الثلاث التي تنتمي إلى الجنس الأرى[1]. واصبحت لكل طائفة من الطوائف التي تألف منها الشعب الهندي القديم واجباتها. فالبراهمة هم الكهنة الذين يدرسون أسفار " الفيدا" الكتاب المقدس لدى الهندوس ويقومون بكافة التعاليم التي تنص عليها تلك الاسفار. وطبقة الكاشتريا تقوم بحماية الشعب وتلاوة الكتاب المقدس، وطبقة الفيشية تقوم بزراعة الأراضي وتربية المواشي وعمليات البيع والشراء ودراسة الكتب المقدسة. أما طبقة الشودرا فما عليها إلا خدمة الطبقات الثلاث – كما أوضحنا – وعليهم الامتثال المطلق لأوامر البراهمة.

**موقع البراهمة عند الهندوس :**

ولما كانت طبقة البراهمة هي الطبقة الممتازة بين الطبقات الأخرى فقد كانت لها مدارس خاصة تربي أبناءها تربية دينية حتى يصبحوا كهنة. وكان تعليمهم ينصب على اجتيازهم أدواراً أربعة، هي دور التلمذة. وفي هذا الدور يحتضن الأستاذ طلبته كأبنائه. ثم دور الدعاء حيث يتدرب البرهمي على المناجاة والأدعية وخلال هذا الدور يتزوج البرهمي ببرهمية، ثم ينتقل إلى دور الخلوة والتفكير ليعود بعدها إلى حياته الطبيعية "عالم الوجود"[2]. وهذه الأدوار اختيارية حيث يتمكن البرهمي من الانقطاع في أي دور يشاءه.

---

(١) انظر : (الهند شعبها وأرضها مانوراك موداك: ترجمة العميد محمد عبد الفتاح إبراهيم كذلك انظر: مقارنة الأديان – الجزء الرابع للدكتور أحمد شلبي.

(٢) انظر : تاريخ الآلهة، الكتاب الثاني، ج٢، فاروق الدملوجي.

وجدنا ان الطبقات هي الاساس العقائدي الذي تقوم عليه الديانة الهندوسية. فما شكل الالهة التي تحمي هذه المعتقدات؟ وما هي الاساطير التي تدور حولها؟

**الهة الهندوس :**

وقد كثرت الآلهة عند الهندوس بشكل ملحوظ فأصبح لكل شيء روح ولكل روح قدسية معينة عندهم. وكانت كل الآلهة قد أخذت وظيفة معينة تختلف باختلاف شخصياتها إلا أن الآلهة العليا أخذت لنفسها ثلاثة أقانيم فدعى الأول (براهما) ووظيفته الخلق والإيجاد.؟ ودعى الثاني ( فشنو) حيث يتولى المحافظة على الخلق والوجود. و (سيف) المخرب الجبار(١).

فهذه الصفات الثلاث تكون الإله الواحد الاعلى. فهم وإن عددوا الآلهة فإن إيمانهم يعترف بنوع من الوحدانية، وأنه ليس للآلهة الأخرى كيان منفصل إذ أن حياتها تستمد من روح واحدة هي روح (براهما) أو الإله الأعظم وقد اتسع نطاق هذه الفكرة بحيث أخذت الديانة الهندوسية تؤمن بوحدة الوجود أو الحلول عندما قالوا بأن روح الإنسان هي نفس روح (براهما) موجودة في الإنسان كما هي موجودة في المخلوقات الأخرى(٢). وكذلك تؤمن الهندوسية بتناسخ الأرواح فقد تنتقل الروح من الإنسان إلى الحيوان وبالعكس ولذلك فقد قدسوا الحيوانات.

**الأساطير والمعتقدات والأهداف الهندوسية :**

وللآلهة أساطير أشبه ما تكون بخرافات مقدسة دونت في كتابهم المقدس (الفيدا Veda). وهذا الكتاب ينقسم إلى أقسام أربعة هي الرجفيدا (Rig-veda) وهي مجموعة من الشعر الكهنوتي أو أناشيد العوامل المقدسة والسامافيدا (Sama-Veda) وتحوى أناشيد موجهة إلى الآلهة (اجني) إليه النار و (اندرا) اله المطر والقسم

---

(١) انظر: مقارنة الأديان، ج٤، للدكتور احمد شلبي.
(٢) الهند، شعبها وأرضها، ص ٥٩-٦٥.

الثالث. ويسمى الياجور فيدا (Yajur-Veda) وهو مجموعة من التراتيل التي ينشدها الكهنة عند إحراق جثث الموتى، والقسم الأخير وهو الآثارفيدا (Athar-Veda) وهي أناشيد تتلى عند الزواج أو تلمس البركات أو أدعية ضد الشيطان ومكروهات الأمور[1].

ومن معتقدات الهندوسية أيضاً إيمانهم (Karma) ومعناها قانون الجزاء أو العدالة. وتعني أن جميع أعمال الإنسان الاختيارية التي تؤثر على الآخرين شرا كانت أم خيرا يجازى عليها بالثواب أو العقاب.. وهذا الجزء يكون في الحياة، فإن لم يقع هذا في الحياة الاعتيادية فقد يقع في الحياة الأخرى بعد أن تنتقل الروح إلى جسد آخر[2].

| يرى النقاد ان جملة مآخذ على الهندوسية منها اهتمامها بالخرافات التي تهبط بمستواها الفكري. |
|---|

**مرحلة النرفانا :**

وهدف الإنسان الهندوسي أن يصل إلى مرحلة الانطلاق أو الخلاص والتي تعني انعتاق روحه من الجسد واتحادها بالإله براهما. ويكون ذلك بالعمل الجيد الصالح الذي يساعد المرء على الانتقال بعد الموت إلى طبقة أعلى من طبقته حتى يصل إلى أعلى الطبقات، ويستمر بعمله الصالح لتنطلق روحه بعد ذلك الاتحاد مع براهما[3].

وللنقاد بعض مآخذ على الهندوسية منها أنها ديانة تهتم بالخرافات وتهبط في مستواها نظراً لأنها تتأثر بالسحر ولا تهتم بتحسين اقتصاد معتنقيها لأن العمل

(٣) انظر : The World's Religions Hinduism أحمد صلبي، مقارنة الأديان، ج٤، (أديان الهند) ص٤٢-٤٣.
(١) مقارنة الأديان ج٤، ص١٠٢-١٠٤.
(٢) قصية الديانات، ص٥٦.

عند بعض طبقاتها كالبراهمة والكاشتريا لا يليق بهم. وبدلاً من العمل فإن الهندوسي يدرب نفسه على تحمل المشاق في الصوم الطويل أو القيام بالأعمال المضنية للجسم أو قيامه بالاستعطاء أو أنه يقوم بغرز مسامير في جسده. وقد يتعرى ما بقي من عمره أو لا ينام لفترة أو لا يحرك جسده ويقوم الناس بإطعامه الغذاء. والجدير بالذكر أن القصد من ذلك هو ولوج باب الموت بنظافة ونزاهة ليصل إلى (النرفانا) بعيداً عن أي عارض يعترضه.

**مآخذ على الديانة الهندوسية :**

ومن المآخذ على تلك الديانة أنه لا تكتفي بحرق جثمان أفرادها الذين يتوفون بل أن زوجات المتوفى لا بد من حرق أنفسهن معه. وقد قضي على هذه العادة منذ أجل قريب وتعتبر الهندوسية من الديانات القليلة التي لم تستطع الأفكار الدينية المتوافدة على الهند من تغيير جوهرها ومعتقداتها[١].

ويمكننا أن نلخص المبادئ التي ترتكز عليها الديانة الهندوسية بما يلي:

١- أنها بنت كيانها على الإيمان بالكارما أو قانون الجزاء.

٢- وتركز على عقيدة ناسخ الأرواح.

٣- وتنظر إلى الحياة متشائمة بالدعوة إلى تخليص الروح منها.

٤- وتدعو إلى الزهد.

٥- وتركز كثيراً على الفضائل.

٦- وترتكز على الإيمان بكتب (الفيدا).

٧- وتؤمن بآلهة كثيرة[٢].

**الحركات التبشيرية الهندوسية في الوقت الحاضر :**

من المهم أن نعرف أن للهندوسية حركة عالمية تبشيرية في الوقت الحاضر تسمى أو ضمير كرشنا، تقودها جامعات تبشرية في معظم أقطار العالم.وخاصة

---

(١) مقارنة الأديان، ج٤، ص١٠٢-١٠٤.

(٢) The Worlds Religions p. 115.

أمريكا وأوربا ولها أنصار عديدون في تلك الأقطار يوجههم الكائن المقدس - كما يدعونه - براهوباتا ومن تعاليم هذه الحركة أن الفيدا أو البغوات جيتا هي الكتاب المقدس الأول في الكون الذي يحمل معاني الحقيقية الإلهية. وأن الإنسان جزء من الإله الأزلي الأبدي ولأجله فإن كل الناس إخوان وعليهم التضحية في سبيل الأب الأعظم (كرشنا) [١].

ومن الملاحظ أن هذه الحركة تحظى بتأييد المراهقين في أوربا وأمريكا أكثر من غيرهم وقد يكون ضعف الدافع المسيحي في الوقت الحاضر سبباً في انتشار هذه العقيدة في تلك القارات.

وفي خاتمة بحثنا للديانة الهندوسية نقول: أن الهند من الأمم ذات التاريخ المجيد أتى بها غزاة فاتحون آريون، وكان هؤلاء الفاتحون يحملون معهم ديانة أخرى غير ديانة الهند القديمة وهي الديانة "الهندوسية والبرهمية" والديانة الهندية القديمة كانت ذات أصول "توتمية" حيث ارتكزت على تقديس أرواح كثيرة تسكن الصخور والحيوان والأشجار ومجاري الماء والجبال والنجوم كما كانت ذات أصول طبيعية حيث ارتكزت أيضاً على تقديس القوى الطبيعية المختلفة من سماء وشمس وأرض ونار ونور وريح وماء.

فجعلوا السماء أبا وسموه (فارونا) والارض أما وسموها (بوينيفي) والمطر هو الإله (بارجانيا) والنار هي (اجني).. والريح (فايو) والعاصفة (اندرا) والفجر (أوشاش) ومجرى الممرات في الحقل (سينا) والشمس (سوريا أو متراً أو فشنو).

**البراهمية ديانة المحتلين :**

وجاءت الديانة الجديدة (البرهمية) ديانة الفاتحين ولكنها لم تمح الديانة القديمة محوا تاماً بل أن الناس قد مازجوا بين قديمهم وما عرض لهم. والديانة البرهمية ديانة وثنية أيضاً ترتكز على عبادة قوة الطبيعة المؤثرة في الكون، ومع

---

(٣) Back to Godhead (The Magazine of the Hare Krishna Movement) No.40 (p.5)

الزمن تمثل الناس هذه الآلهة في صورة أشخاص راحوا يعبدونهم وأصبحت الشمس التي تهب الحياة إلهاً جديداً اسمه (سافيتار) وضوؤها إله آخر اسمه (فيفاسفات) ثم أصبحت الشمس التي تولد الحي من الحي إلها عظيماً جديداً اسمه (براجاباتي) والى جانب هذه الآلهة توجد آلاف غيرها منها القردة والتماسيح والنمور والطواويس والببغاوات بل وحتى الفئران والأفاعي.. وكان أكبر مركز عبادة الافاعي في شرقي ميسور فهناك في معابد هذا الإقليم تسكن جموع زاخرة من الأفاعي حيث يقوم الكهنة على إطعامها والاهتمام بها لأن الهندوسي لا يرى فارقاً بين الحيوان والإنسان.. لأن لكل منهما روحا، والأرواح تنتقل دائماً بين الحيوان والإنسان، ولهذا فهي صنوف إلهية نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لها.

**البقرة والهندوسية :**

والبقرة أكثر الحيوان قدسية عند الهندوسي. فلها تماثيل في معبد ومنزل وميدان، وهي تتمتع بحرية مطلقة في ارتياد الطرقات كيف شاءت، ولا يجوز للهندوسي تحت أي ظرف من الظروف أن يأكل لحمها أو يستغل جلدها في أي صناعة من الصناعات إلا إذا ماتت فيمكن حينها استغلال جلدها.

> ورغم تقديس الهندوس للبقرة الا ان الهتهم لا علاقة لها بالحيوان، وانها مؤلفة من اقانيم ثلاثة تجمع كل ظواهر الكون كالخلق والمحافظة على الخلق ثم التدمير لها.

وبالجملة فقد كثرت الآلهة الهندية كثرة فاحشة وتعددت تعدداً غريباً. حتى وصلت إلى ثلاثة وثلاثين إلها، ثم أخذ العدد ينحسر حتى انحصرت الآلهة في ثلاثة أقانيم وهي:

١- براهما: الإله الخالق، الذي صدرت عنه جميع الأشياء والذي يرجو لطفه وكرمه جميع الأحياء وينسبون إليه الشمس التي يكون بها الدفء وتجري الحياة في الحيوان والنباتات.

٢- سيفا أو سيوا: الإله المخرب المفني الذي تصفر به الاوراق الخضراء، وتفني مياه الأنهار وينسبون إليه النار لأنها عنصر مدمر مخرب.

٣- فشنو: الإله الذي يتولى المحافظة على الخلق والوجود، فكل معاني الخير والسمو من فيض فشنو وكل الحكماء والصالحين يقومون بالعدل والصلاح، والفضيلة وينصرون الأخيار على الاشرار بغيض من فشنو، وأعظم ما يتجسد فيه فيشنو هو شخصية (كريشنا). وبعد أن أرجع الهندوس كل شيء إلى هذه الآلهة الثلاثة. عادوا إلى توحيدها في شخص "براهما" وارجعوا إليه كل شيء، وهكذا عرف الهندوس مبدأ التفريد (الإله الأعظم) لا عقيدة التوحيد لأنهم لم يفردوا (براهما) في العبادة والخلق والاعتقاد وإنما كان اعتقادهم شبيهاً باعتقاد عرب الجاهلية حيث كانوا يعتقدون بإله خالق لكل شيء ولكنهم كانوا في الوقت نفسه يعبدون الأوثان لتقربهم إلى الله زلفى[١].

| لا يُفهم الهندوس في ممارساتهم فالبقرة تجوب طرقاتهم تأكل ما تشاء دون ان يتجرأ احد من منعها.. ولكنك تجد بعض العربات تجرها الابقار هناك وتعامل كما يعامل الحمار او الحصان دون ان ترى رد فعل لاحد من الناس. وهذا ما رأيته هناك بنفسي ولم اتمكن من فهم هذا التناقض. |
|---|

(١) مظهر، قصة الديانات، ص٦٥-٧٢، وأبو زهرة، مقارنات الأديان، ص٢٧.

# الجانتيــة

**النظام الطبقي والجانتية :**

وقد تعرضت الديانة الهندوسية شأنها شأن الديانات الأخرى إلى انقسامات وهزات فخلقت فيها ديانات فرعية أو طوائف. وكانت الديانة الجينية والبوذية من تلك الديانات الفرعية.

وفي ظل النظام الطبقي الهندي القديم والذي كان يؤكد على قدسية طبقة البراهما فقد استبد هؤلاء وتعسفوا بطغيانهم، وتمنى الناس ظهور زعماء روحانيين ينقذونهم من ويلات البراهمة.

وكانت طبقة الكاشتريا(Kastira) من أكثر الطبقات الأخرى تحسسا لظلم البراهمة وطغيانهم باعتبارها الطبقة الثانية التي تأتي بعدها في المرتبة وفيها الملوك والمحاربون الذي يفقدون كلمتهم وسطوتهم أمام البراهمة.

**مؤسس الجانتية :**

وقد ولد (مهاويرا) سنة ٥٩٩ ق.م، من طبقة الكاشتريا وهو ابن امير البلاد وبعد أن عاش في نعيم ويسر اتجه لدراسة الديانة والرهبنة وقد تعرف على أفكارهم وأسرارهم فانطلق بعد وفاة والده ليتعلم قسوة الحياة وتحسس آلامها[١]. فعاش عل الكفاف بعيداً عن الغنى، صائماً عن الكلام طيلة اثنى عشر عاماً[٢]. حتى تمرس خلال تلك الأعوام على كل الولايات والمصائب وتعرف على جميع الأسرار الكونية وكشفت له حجب الحقيقة. فعاد بعد اثنى عشر عاماً ليبشر بعقيدته الجديدة التي تبدو لأول وهلة أنها تماثل الهندوسية. إلا أنها اختلفت عنها اختلافاً كثيراً. ولما صارت هذه الدعوى تمثل ثورة على البرهمية فقد تبعه الملوك والقادة والأهالي،

(١) انظر: مقارنة الأديان، ج٤، للدكتور أحمد شلبي.
(٢) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص١٢٦.

وتوفي مهاويرا بعد أن ترك تراثاً ضخماً من التعاليم والوصايا صـارت الأسـاس الأكبر لمعتقدات الطائفة الجينية في الهند.

الجانتية هي اثر من آثار الهندوسية بل هي ثورة عليها.. وهي قريبة جداً من الديانة البوذية في كثير من ممارساتها او حتى في تاريخ نشوئها.

والجينية التي دعا لها مهاويرا عبارة عن حركة عقلية حرة من سلطة تعاليم الفيدا عمادها الرياضة الجسمانية الشاقة وهروبها من الملذات بالعيش فـي تقـشف شديد. ويتبع أفرادها سياسة رهبانية تختلف عن رهبنة البراهمة حيث يهتم (الجيني) بافناء عواطفه الشخصية(١).

**التعاليم الجينية :**

والتعاليم الأولى للجينية تعكس ثورة على معظم معتقدات الهندوسية بما فيها الآلهة فهي أقرب إلى الديانة الإلحادية حيث تعترف بآلهة كبيرة للكون خالقة له.

وتتصب اعتقاداتها على وجود أرواح لكل الكائنات. وهنا تعـود الجينيـة للاتفاق مع الهندوسية في الاعتقاد بأن هذه الأرواح خالدة يجري عليها التناسخ.

وبنيت فكرة الجينية على المسالمة وعدة الاعتداء والعنق حتى على أصغر المخلوقات والحشرات الصغيرة. ومن مواعظه الأخيرة: " لا تقتل الحيوان لتتخـذ منه طعاماً ولا تصد برا أو بحراً ولا تقتل أدنى المخلوقات في أي وقت ولا تقتـل البعوضة التي تعضك أو النملة التي تلسعك. ولا تذهب إلى الحرب ولا تقاتل مـن يهاجمك ولا تدس دودة على الطريق. فحتى الدودة لها روح".

ولم ينف مهاويرا آلهة الهندوس رغم عدم إيمانه بها فولد موقفه هذا بعض الغموض عند اتباعه اضطروا إلى اعتباره إلها لهم. وقد راحوا إلى الاعتقاد بأن في

---

(٣) مقارنة الأديان، ج٤.

الكون أربعة وعشرين (جينياً) أو إلها. كان آخرهم صاحب التعاليم الواسعة مهاويرا. ولكنهم رغم ذلك لم يتمكنوا من إيجاد صيغة معينة للتعبدات والصلاات أو تقديم القرابين، فكان اتباع تعاليم مهاويرا في التدريب على الصبر والمسالمة وتجويع النفس وترويضها على الآلام هي صورة التعبدات التي مارسها الأتباع إلى اليوم.

**الجينية والكارما :**

وتؤمن الجينية كأمها الهندوسية بالكارما (أي قانون الجزاء) وتعتقد بأن التخلص من هذا القانون يتم بالتقشف وبالحرمان من الملذات لأن الروح متحدة بالكارما أسيرة في يدها ولا سبيل لتخليصها منها إلا بالتطهر من الرغبات وحين ينتهي الإنسان على مر الأيام وبالتناسخ من الرغبات البشرية تتخلص روحه من الكارما وتبقى في نعيم خالد وهذا ما يسميه الجينيون النجاة الذي يعادل (النرفانا) في الهندوسية والبوذية[١].

| الالهة الهندوسية محترمة عند الجانتيين رغم ان الجانتية هي ثورة على الهندوسية بل ان قانون الجزاء وقانون النجاة هما نفس القانونيين في الديانتين. |
|---|

**طرق الوصول عند الجانتية إلى النجاة :**

وهنالك طريق للوصل إلى النجاة بان يتبع الجيني ثلاثة سبل في حياته يسمونها يواقيت، فالياقوته الأولى هي الاعتقاد الصحيح فعمل الذنوب والرغبات يضعف الاعتقاد الصحيح بالديانة أما الثانية فهي العلم الصحيح بما في الكون فلا يكون هنالك علم صحيح بأمور الحياة ما لم يكن للمرء اعتقاد صحيح في دينه.

(١) راجع The World's Religions p.107-109 وكذلك مقارنة الأديان، الجزء الرابع، الديانة الهندوسية، ص١١٣ –١١٧.

والياقوته الثالثة هي الخلق الصحيح في التخلي عن السيئات والابتعاد عن الاعتداء على المخلوقات والصدق والعفو والاستقامة والتواضع والنظافة والإيثار واعتزال النساء.. الخ[1].

وتتلخص الجينية بالتالي:

١- عدم الإيمان بالطوائف، ولا بالأصنام وعبادتها، ولا بالصلاة وتقديم القرابين، ولا بإله أسمى أو أعلى، ومن ةهان سمي واتباعه (ملاحدة) ومن قوله: " لا بالصلاة ولا بالقرابين ولا بعبادة الأصنام يمكن أن تجدوا الغفران والطريق إلى الحياة الصالحة ولكن بالعمل الطيب يمكن أن تبلغوا النرفانا، في داخل نفوسكم الخلاص".

| الاعتقاد الصحيح والعلم الصحيح والخلق الصحيح.. هي ما يوصل الجانتي الى النجاة. وبهذا يختلف الجانتيون عن الهندوس في سلوكياتهم الحياتية. |
|---|

٢- يؤمن الجيني بالجنة والنار والجنان عنده ست وعشرون، فالروح الصالحة النقية ترتفع وترتفع حتى تصل إلى الجنة السادسة والعشرين، وعندئذ تدخل النيرفانا. والنيران، عندهم سبع وتقع تحت سطح الأرض، فالروح الشريرة تهبط وتهبط حتى تجد نفسها ملقاة في أسفل درك في الجحيم.

---

(١) مقارنة الأديان: الجزء الرابع ١٢٢-١٢٣، ومن أقوال مهاويرا: (الطريق إلى النيرفانا هو طريق جواهر النفس الثلاث وهي الاعتقاد الصحيح والمعرفة الحقيقية والسلوك السليم الذي يأتي أولاً، باتباع الوصايات الخمس للنفس وهي:

١- لا تقتل أي كائن حي أو تؤذه بالكلام والتفكير والعمل.

٢- لا تسرق.

٣- لا تكذب.

٤- لا تحيى حياة الفجور أو تخدر نفسك.

٥- لا ترغب في شيء على الإطلاق.

٣- ويمضي الزمن لم يثبت الجينيون على تعاليم سيدهم (مهاويرا) وإنما بنــوا المعابد وعبدوا الأصنام وعلى رأسها تماثيل مهــاويرا إلا أنهــم تمــسكوا بالتعاليم الأخرى، فلم يشتغلوا مثلاً بالزراعة خوفاً مــن الحــاق الــضرر بالكائنات الحية ورفضوا الانخراط في الجيش. ولكنهم شقوا طريقهم فــي الهند بمزاولة الأعمال التجارية والمصرفية لأنه يقل فيها الاعتــداء علــى الأحياء إلى أقصى حد. وكان ذلك سبباً في ثرائهم الكبير واحتلالهم منزلة رفيعة في الهند. ويبلغ عدد الجينيين الآن حوالي مليون ونــصف مليــون نسمة من مجموع سكان الهند. وهم يعيشون على الأغلب في أعالي الهنــد على طول نهر الجنجز وفي كلكتا.

لعل ايمان الجانتيين بالجنة والنار وتعدد طبقات النار قد اتت بفعل وجود الاديان السماوية قريبة من اتباع هذه الديانة في الهند.

# مذاهب الإصلاح الديني

ظهر في الهند مصلحون كثيرون ومذاهب دينية كثيرة خصوصاً بعدما وصلت الديانات المنزلة إلى الهند عن طريق التبشير المسيحي والفتح العربي الإسلامي، وإقبال كثير من الهنود عل السماع والدراسة والتفكير في الديانات الوافدة ولا سيما الإسلام (دين الفاتحين) وإعجابهم بالدعوة إلى الاعتقاد بإله واحد، مما حمل البعض منهم إلى إدخال التوحيد إلى ديانتهم القديمة (الهندوسية) فأدى ذلك إلى ظهور مذاهب جديدة نادى بها بعض المصلحين أمثال (كبير) و(ناناك) و (ديانندا).

**١- مذهب كبير:**

> ان الدين الاسلامي قد تمكن من النفاذ الى نفوس معظم البشر ، فمنهم من آمن به ودخل ضمن كيانه، اما الآخرون فقد اخذوا الكثير من مبادئه فخرجوا بمعتقدات جديدة.

**مؤسس المذهب :**

ولد (كبير) لأبوين هندوسيين فقيرين وتوفي والده وهو طفل رضيع ولم تستطع أمه تربيته والإنفاق عليه فكفله رجل مسلم اسمه (نيرو) كان يعمل نساجاً فأحسن تربيته ولما كبر أرسله إلى أفضل المعلمين في بنارس وأحب (كبير) دراسته، وما أن بلغ السادسة عشرة من العمر حتى تعلم الكثير من عقائد الإسلام والهندوسية، وقد تأثر كثيراً بتعاليم شاعر حكيم اسمه (راماناند) كان " يبشر بأنه ليس هناك سوى إله واحد، وإن هذه الحقيقة أكبر صديق للبشر، وأن الحياة البسيطة هي الطريق إلى النيرفانا"[1].

(١) مظهر: قصة الديانات، ص١٥٨.

وأخذ (كبير) ينظم شعراً على غرار شعر (راماناند) في الوقت الذي أخذ (نيرو) يعلمه صنعة النسيج.. وهكذا صار (كبير) نساجاً بارعاً وعالماً كبيراً ولم ينس وهو في زحمة العمل أن ينظم أشعاراً يضمنها أفكاره وآراءه الجديدة التي كان فحواها: الدعوة إلى الإيمان بإله واحد، وهجر عبادة الاصنام والزهو والكبرياء والطائفية وأن الناس جميعاً أخوة، لا فرق بين برهمي وكاهن وتاجر ومنبوذ إلا بالعمل الصالح.

التف الناس حول (كبير) واصبح له اتباع ومريدون وذاع صيته وانتشرت قصائده التي نظمها حاملة عقيدته التوحيدية ومع ذلك بقي يكسب قوته من عمله نساجاً لأن من مبادئه وجوب العمل حتى على الرهبان والكهنة.

وبعد أن توفي (كبير) جمع أتباعه حكمه وأشعاره في كتاب سموه (بيجاك) وسموا أنفسهم اتباع طريقة (كبير) ويبلغ عددهم الآن في الهند حوالي مليون نسمة(١).

### ٢- مذهب السيخ أو السيك:

| لعل ظهور الإسلام وانتشاره في بقاع الأرض ومنها الهند، كان سبباً في تغيير البنية الدينية عند الهندوس، فصار سبباً في ظهور الفرق والمذاهب المختلفة. |
|---|

**مؤسس المذهب :**

من المذاهب الجديدة التي نشأت نتيجة انتشار الإسلام في الهند وإقبال الكثير من أبنائه على دراسته وتأثر بعض الرهبان من الهندوس بتعاليمة وعقائده مذهب (السيخ أو السيك) وكان مؤسس هذا المذهب يدعى (ناناك) (١٤٦٩-

(١) The World's Religions (p.109-119)

١٥٣٩م) قد ولد في إقليم لاهور لابوين نبيلين هندوسيين حرصا على تربيته وتعليمه، درس (ناناك). الهندوسية والإسلام، وتأثر كثيراً بأشعار (رامانانـد) و (كبير) اللذين كانا يبشران بكثير من عقائد الإسلام وتعاليمه كالتوحيد والمساواة بين الناس جميعاً.

أخذ (ناناك) يميل إلى العزلة ويكره العمل ويأوي إلى الغابات يفكر في عقيدة شعبة ويقرأ أشعار (رامانّاند) و (كبير) وبعد أن كون فكرة واضحة عن عقيدة جديدة أعلن نفسه أول (جورو) أي معلم ومرشد وأخذ يدعو إلى مذهبه ويجوب بلاد الهند في سبيل نشر تعاليمه وتقوم دعوته على الوحدانية والمساواة كالإسلام كما تقول بالتناسخ كالهندوس، لقيت دعوته هذه قبولاً لدى كثير من الهنود وصار له أتباع ومريدون، وبعد وفاته خلفه في إمامة المذهب (أبخاد) الذي أصبح الجورو الثاني، وجمع الجورو الخامس (أرجان) أقوال (ناناك) وعظاته وأشعار (رامانّاند) و (كبير) في كتاب واحد سماه "صاحب المواهب" وأصبح هو الكتاب المقدس لإتباع (ناناك)، الذين سموا أنفسهم (السيخ)، أي المريدين أو الأتباع وبذل زعماء السيخ جهداً كبيراً في نشر مذهبهم مما أدى إلى وقوف أتباع المذاهب والديانات الأخرى ضد أعمال السيخ التبشيرية.

وعندما صار (كروكنبدر سنج) زعيماً للسيخ لجأ إلى تدريب أتباعه عسكرياً في جبال الهيمالايا، ثم نزل بهم إلى مدينة (البنجاب) لتدور بينه وبين حاكمها المسلم حروب طويلة امتدت اثنى عشر عاما، هلك فيها آلاف من السيخ وكانت نهاية هذه الحروب هزيمة السيخ وإخماد ثورتهم ولكنهم ظلوا يكنون العداء للمسلمين حتى اليوم وما هو جدير بالذكر أن طائفة السيخ كانت قد أهدت (موشى دايان)[١] سيفاً مرصعاً بالجواهر في أعقاب حرب حزيران عام ١٩٦٧م، إعجاباً بقدرته على التنكيل بالعرب المسلمين وتقديراً لانتصاره عليهم.

---

(١) موشي دايان، وزير دفاع العدو الصهيوني الذي قاد حرب إسرائيل ضد العرب، عام ١٩٦٧م.

ويبلغ عدد السيخ اليوم أكثر من عشرة ملايين نسمة ويمكن تمييزهم عن الهندوس بخمسة أشياء يعتبرونها من شعائر عقيدتهم وهي:

١- الشعر الطويل إذ أنهم يطلقون شعورهم ولا يعتدون على أية شعرة في أجسامهم.

٢- المشط الخشبي الطويل في شعرهم.

٣- السوار المعدني الخفيف حول المعصم على أساس أنه يذكرهم بالله.

٤- الخنجر القصير ذو الحدين الذي يحملونه دائماً.

٥- السراويل البيضاء القصيرة تحت الملابس بخلاف عامة أهل الهند الذين يكتفون، بلبس السراويل الطويلة البيضاء[1].

**٣- مذهب ديانندا، أو جمعية النبلاء:**

| اذا كان هناك من درس الاسلام فتعلم منه ما يدخله الى معتقداته، فان هناك من درس الانجيل وتأثر بالنصارى وادخل من عقائدهم الكثير من عقيدته. |
|---|

**مؤسس المذهب :**

توالى تمرد المفكرين على التعاليم البرهمية وظهور فلسفات تهدف إلى إصلاح عقيدتهم القديمة كان أهمها في الآونة الأخيرة مذهب ديانندا ذلك الشاب البرهمي الذي درس الهندوسية لمدة ستة أعوام فلم ترقه عقائدها وخصوصاً تعدد الآلهة وعبادة الأصنام. والطائفية فقرر أن يبحث عن حقيقة الدين، وأخذ يجوب أنحاء الهند عله يجد معلماً يهديه إليها، والتقى في تجواله بمعلم يكره الأصنام

(١) مظهر: قصة الديانات، ص١٦٨.

فارتاح له ديانندا وقرر أن يدرس معه الحقيقة، فأشار إليه هذا المعلم أن يدرس الإنجيل وتعاليم (راجاراموهان) [(١)].

أقبل ديانندا على دراسة الإنجيل وتعاليم " راجاراموهان" فاقتنع بأنه يجب على المرء ألا يؤمن بآلهة متعددة بل بإله واحد فقط وبأنه ليس هناك طوائف بالبلاد بل هناك من يولدون أكثر شقاء من الآخرين وبأن من يندم ويتوب فإن الله يغفر له خطاياه ولكنه إلى جانب ذلك ظل يؤمن بالنرفانا والتناسخ الهندوسية.

انطلق ديانندا بعد ذلك يبشر بعقيدته الجديدة فتبعته طائفة كبيرة سماها "اربا ساماج" أي "جمعية النبلاء"... وبعد وفاته واصل أتباعه أداء رسالة زعيمهم، فانتشر أمر جمعيتهم حتى بلغ عدد أتباعه اليوم حوالي سبعين مليونا[(٢)].

## البوذيـــة

ان الكثير من الديانات الوضعية الشرقية اعتمدت في بدايتها على موقف وتعليمات شخص معين.. تأثر الناس به وصاروا اتباعاً له.. الا ان أنهم بعد وفاته قد سلطوا الاضواء عليه فجعلوا منه عظيماً او الهاً وغيروا الكثير من تعاليمه .

**انتشار البوذية :**

كان سبب انتشار البوذية في الهند أولاً يعود إلى نفس أسباب انتشار الجينية إذ أن تحكم وتسلط البراهمة أدى إلى نفور الطبقات الأخرى وخاصة الطبقات الحاكمة. الكشتارية منها فحاولت الإفلات من سيطرتها. ولعل السبب الثاني يكمن في صلب العقيدة الهندوسية. إذ أن وجود آلهة كثيرة تسيطر على الكون وتفرض

(١) انظر : قصة الديانات ص١٦٧. و The World's Religions (p.112-113).
(٢) المصدرين السابقين.

نوعاً من الوصاية على البشرية بأن تجزأها إلى طبقات تتحكم واحدة بالأخرى وتفرض أيضاً أنواعاً من التعبدات والالتزامات الدينية قد أعيت الناس.

**مؤسس البوذية :**

لقد ولد سدهارتا (٥٦٠-٤٧٠ق.م) (Siddharta) مؤسس البوذية أميراً في مملكة كوسالا شرقي الهند ونشأ في بحبوبة من العيش ولكنه كان طيلة حياته يتطلع إلى الفلسفة والعلم. فكان أكثر ما يحيره في أمر الكون بعض الغوامض التي يصعب تفسيرها كالمرض والشيخوخة والموت. فدأب على دراسة فلسفة الهندوس البرهمية وتخرج على أيدي فلاسفتهم. إلا أنه لم يجد الأجوبة الشافية لتساؤلاته[١].

وكانت غوامض الكون دافعاً أساسياً له للترهيب واعتزال الدنيا ولذلك دعاه أصحابه غوتاما (Gautama) أي الراهب.

وذهب غوتاما إلى غابات الكهوف معتزلاً حياة الآخرين ليعيش على الكفاف والتزهد شأنه شأن الرهبان الهندوس في ذلك الحين وقضى في ذلك سنين طويلة وبعد أن أنهكه الجوع والنسك، عدل آنذاك عن قراره بأماته نفسه وقرر الانصراف إلى حاله وفي طريقه جلس تحت شجرة (البو – Bo) المقدسة وأطال جلسته وتقول الكتب البوذية المقدسة أن الحقيقة قد تجلت لغوتاما في تلك الجلسة فخرج بفلسفته التي تقول (من الخير يجب أن يأتي الخير ومن الشر يجب أن يأتي الشر)[٢]. فقام من تحت تلك الشجرة التي أصبحت شجرة البوذيين المقدسة فيما بعد لينشر دعوته بين الأمم. وكانت دعوته تنصب على تطهير النفس والعمل على إزالة الآلام. فالمولد ألم والهرم ألم والمرض ألم والموت ألم والاجتماع بغير المألوف ألم والافتراق عن المألوف أمل وعدم الظفر بما يهوى ألم، فالإنسان يجب أن يعمل على إعدام الالم. ولن يعدم ذلك الألم إلا بالاعتقاد الصحيح والعزم الصحيح والقول الصحيح والعمل الصحيح والعيش الصحيح والجهد الصحيح والفكر الصحيح

---

(١) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص٨٩-٩٨.

(٢) المصدر السابق، ص١٠٠، ومحمد الهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص١٦.

والتأمل الصحيح [١]. هذه هي الأمور التي لو تمت على وجه صحيح سار الشخص على الجادة وسلك الممر الوسط الذي يوصل إلى حياة سعيدة خالية من الآلام.

| كانت غوامض الكون دافعاً اساسياً للبعض للترهب والاعتزال.. وذلك كان دافع بوذا نفسه ايضاً. |
|---|

**منشأ الرذائل في البوذية :**

أما الرذائل فمنشؤها – عندهم – هو اللذات والانهماك فيها وما تدعو إليه. وترجع الرذائل إلى أصول ثلاثة:

١- الاستسلام للملاذ فإنه يجعل الحياة كلها في ألم مستمر.

٢- سوء النية في طلب الاشياء وذلك من تمكن اللذات في النفس.. وهو أيضاً أصل لكثير من الرذائل كالغش والكذب والنميمة.

٣- عدم إدراك الامور على الوجه الصحيح وغالباً ما يكون منشؤه سيطرة الشهوات على النفس فتمنع عنها الإشراق الذي ينشأ من التجرد من الملاذ، والإلهام الذي يكون من هجر الشهوات وهنالك حقائق في الحياة لا بد من إدراكها في العقيدة البوذية وهي أن الألم موجود وأن لهذا الألم سبباً كالشهوات والرغبات وغيرها وأن ذلك السبب قابل للزوال ولإزالته لا بد من اتباع إحدى الوسائل التي تعدم الألم كما مررنا على ذكرها[٢].

---

(١) مقارن الأديان، ج٤، ص ٦٣، وكذلك The World's Religions (p.121)

(٢) انظر : الحكماء الثلاثة أحمد الشنتناوي، ص٨٣-٨٤، وكذلك: The World's Religions p.121

هل رفض بوذا وجود الله؟ هل عاش بين اتباعه ملحداً..؟ اذا كان كذلك فلماذا يدعو للخلاص من الكارما ؟ .. ولماذا يدعو للوصول بطـرق معينة الى النرفانا؟

**التناسخ في عقائد البوذية :**

وتعتقد البوذية بتناسخ الأرواح، وان الإنسان يستمر في المـوت والمولـد طالما كان بعيداً عن التعاليم والاعتقادات التي تبعده عن النجاة والنرفانا ولـم تُعـد النيرفانا في معتقدات بوذا كما هي في الهندوسية إذ أن بوذا أنكـر وجـود آلهـة فالخلاص لن يتم بالاندماج في الله ولكن بوصول الفرد إلى أعلى مراتب الـصفاء الروحي بتطهير نفسه والقضاء على جميع الرغائب وفناء الأغـراض الشخـصية وإنقاذ نفسه من ربقة الكارما ومن تكرار المولد وذلك بالتوقف عـن فعـل الـشر. وهناك بعض القيود التي تمنع المرء من الوصول إلى النرفانا وهي:

١- الوهم الخادع في خلود النفس.

٢- الشك في بوذا وتعاليمه.

٣- الاعتقاد في تأثير الطقوس والتقاليد الدينية.

٤- الشهوة.

٥- الكراهية.

٦- الغزو.

٧- الرغبة في البقاء المادي.

٨- الكبرياء.

٩- الجهل[1].

---

(١) مقارنة الأديان، ص١٦٤، والهاشمي، الأديان، في كفة الميزان، ص١٨.

ولقد كانت الدعوى البوذية منصبة على إلغاء الطبقات عند الدخول في ديانتها والتنازل عن المال ورفض الرهينة واحترام الحياة والمحبة الشاملة.

ترك موسى عليه السلام لاتباعه عشرة وصايا.. وترك عيسى عليه السلام وصاياه هو الآخر لاتباعه، وقد ذكر القرآن الكريم العديد من الوصايا للمسلمين.. ونجد بوذا قد ترك وصاياه هو الآخر لاتباعه وهي تشابه في معظم الأحيان الوصايا الدينية في الاديان الموحدة دليلاً على وجود التأثيرات المتبادلة بين الاديان والمعتقدات العالمية.

**وصايا بوذا العشرة :**

وقد ترك بوذا وصايا عشرا تجسم فلسفته في الحياة وهي:

١- لا تزن ولا تأت أي أمر يتصل بالحياة التناسلية إذا كان محرماً.

٢- لا تشرب خمرا ولا تتناول مسكراً ما.

٣- لا تكذب ولا تقل قولاً غير صحيح

٤- لا تقتل أحداً ولا تقضي على حياة حي.

٥- لا تأخذ إلا ما يعطى اليك فلا تسرق ولا تغتصب.

٦- لا تأكل في الليل طعاماً غير ناضج.

٧- لا تقتن أثاثاً فاخراً.

٨- لا ترقص ولا تحضر مرقصاً ولا حفل غناء.

٩- لا تستعمل العطور.

١٠- لا تقتنِ ذهباً ولا فضة[١].

(١) تاريخ الآلهة الكتاب الثاني، ج٢، فاروق الدملوجي، ص٤٥. وأبو زهرة، مقارنات الأديان، ص٧٦ وشلبي، مقارنة الأديان، ج٤، ص١٦٦.

**الكتب المقدسة عند البوذيين :**

وللبوذين كتب مقدسة يعتمدون عليها في تعاليمهم الدينية إلا أنهم لا يدعون أنها منزلة من الله بل يقولون بأنها مجموعة تعاليم بوذا التي جمعت في عصور مختلفة وهي عبارة عن ثلاث مجموعات من الكتب وتسمى السلال الثلاث (Pitakas) وتعرف المجموعة الأولى باسم (سلة النظام أو الطريقة) وتشمل القواعد والنظم التي يسري عليها البرهان في حياتهم والثانية باسم (سلة العقائد) وهي المسائل الفلسفية التي يتداولها البوذيون بوجه عام[1]. ومن الحري بالذكر أن الهندوس اعتبروا بوذا أحد آلهتهم فانحسرت البوذية التي رفضت الديانة الهندوسية، تحت ضغطهم عن الهند ولم يبق فيها إلا عدد ضئيل جداً من أتباعها وتوزعوا في البلدان المجاورة[2].

**الطوائف البوذية :**

وكبقية الأديان فقد انقسمت الديانة البوذية إلى طائفتين:

أولاً : الهينايانا (Hinayana) : وهذه الطائفة تمسكت بمذهب بوذا باعتباره المعلم العظيم وليس الإله. وتعتقد هذه الطائفة بأن الوصول إلى النرفانا يتم في هذه الحياة. ويقطن أصحاب هذه العقيدة في جنوب الهند وفي سيلان.

وثانيهما : الماهايانا (Mahayana) وهي تعتقد بألوهية بوذا، ولا يصل المرء إلى النرفانا إلا بعد المرور في تجارب كثيرة يتكرر فيها مولد وينتقل عبر حيوات كثيرة وتسود هذه الطائفة في التبت ومنغولياً والصين واليابان[3].

---

(١) قصة الديانات، سليمان مظهر، ١٢٢.

(٢) الحكماء الثلاثة، أحمد الشنتناوي، ص٩٠-٩١.

(٣) The World's Religinos p.127-129

تتشابه البوذية والمسيحية في نوعية الطوائف التي نتجت عنها، فطائفة تعتقد بان بوذا هو الله وطائفة اخرى تعتقد بانه اعلى من البشر ولكنه ليس الاله، وقد مر علينا ان المسيحية كان فيها طوائف موحدة تعتقد بان المسيح هو انسان اعلى من مستوى البشر وأقل من الاله وطائفة اخرى تعتقد بانه ابن الله وانه هو الله .

# جدول مقارن بين
# البوذية والجينية والهندوسية

١- إن البوذية لم تم في الواقع ديانة خالصة وإنما هي فلسفة اجتماعية غايتها تخفيف الآلام عن الناس وإسعادهم، وإلغاء الطبقات وتحقيق المساواة بين البشر جميعاً لا فرق بين شخص وآخر بنسبته أو وظيفته وإنما بالموهبة والقدرة والعمل ولا فضل لأحد إلا بالمعرفة وسيطرة الإدارة الإنسانية بحيث لا تقوى اللذائذ عليها. ولذلك فإن البوذية لم تعن بالبحث فيما وراء الطبيعة، فلم تتجه إلى الدراسات التي تتصل بالجانب الإلهي وليس في تعاليم بوذا شيء عن الله أو عن تقديم القرابين.

٢- إن البوذية كالبرهمية والجينية تؤمن بتناسخ الأرواح. ومعنى ذلك أن الروح بعد أن يموت الشخص تحل في كائن آخر أعلى إن كان صالحا باراً وأدنى إن كان شريراً شقياً وبما وصل به التناسخ إلى الخروج عن درجة الإنسان إلى درجة الحيوان حيث تتقمص روح الشرير جسد حيوان.

٣- لعل فلسفة بوذا تتلخص في كلمتين " السلام والحب" السلام لجميع الكائنات وحب الخير وعمل الخير للجميع، على الإنسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة وأن يزيل الشر بالخير، إن الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها، إنما تزول الكراهية بالحب، لا تقتل كائناً حيا، لا تسرق أو تأخذ ما لم يعط لك، لا تقل كذباً مطلقاً. لا تقسم على دنس لا تسكر أو تخدر نفسك في أي وقت، وهكذا استمر بوذا في نشر تعاليمه الإنسانية بين الناس حتى وافاه أجله المحتوم في عام ٤٧٠ ق.م.

٤- كثر اتباع بوذا، وبمضي الزمن أخذوا ينسون أن تعاليمه كانت خلقية خالصة ولم تكن ديانة مستقلة، وإن كل ما يعنيه هو سلوك الناس، أما

الطقوس والشعائر الدينية وما وراء الطبيعة فلم يكن يهتم بها، نسي الاتباع ذلك وراحوا يؤلهون بوذا نفسه وأخذت كتبهم المقدسة تتحدث عن الإله بوذا، وتصف كيف تقدم له القرابين، وبعد أن كان بوذا ينهى عن عبادة الأصنام أقام له اتباعه التماثيل في كل معبد وجعلوا منه إلها يعبد. وهكذا صارت البوذية ديناً وأصبح لها كهنة. أخذوا يفسرون تعاليمه بطقوسهم الخاصة مما أدى إلى وقوع الخلاف بين الأتباع وانقسامهم إلى طائفتين: طائفة تقدسه على أنه معلم عظيم ويوجد هؤلاء في جنوب الهند وجزيرة سيلان. وطائفة اعتقدت ألوهيته ويوجد هؤلاء في التبت ومنغوليا والصين واليابان إلى جانب من بقي منهم في الأرجاء الشمالية للهند. ويبلغ مجموع اتباع بوذا الآن أكثر من أربعمائة مليون نسمة.

٥- هناك تشابه كبير بين مهاويرا وبوذا من حيث نشأتهما وفلسفتهما فقد كان كل منهما أميراً هندوسياً. اتصف بالشجاعة والإقبال على دراسة الهندوسية وتزوج كل منهما وعاش سعيداً ثم هجر بيته لصبح كاهناً متوسلاً ووجد كل منهما عيوباً في الديانة الهندوسية دعته إلى تبني فلسفة جديدة. وأما التشابه في فلسفتهما فقد تبع كل منهما طريق البرهمية في الاعتقاد بالكارما والتناسخ والنرفانا ورفضا فكرة قدسية الطوائف والخلاص بالصلاة وتقديم القرابين. ولكنهما اختلفا بعد ذلك في رسم قواعد السلوك الصحيح للإنسان فاختار بوذا الطريق الوسط، طريق الاعتدال وأعتقد أن التطرف شر. بينما اختار مهاويرا طريق تعذيب النفس واعتقد أن التجويع وتعذيب النفس يساعدان الإنسان على الوصول إلى الحياة الصالحة[١].

(١) انظر: مظهر، قصة الديانات ص١٤٠-١٤٣.

# الديانات الصينية

## الكونفوشيوسية

الكونفوشيوسية هي ديانة معظم الصينيين.. وعندما يقرأ المرء عنها، لا يجد فيها ما يسمى ديناً.. فهي عبارة عن جملة افكار تركها كونفوشيوس الحكيم وكان له اتباع كثر.. ولا زال الصيينون على العهد له وهم يحبونه حب العبادة ويقدسونه تقديس الاله.

**مؤسس الكونفوشيوسية :**

ولد كونفوشيوس (٥٥١-٤٧٩ ق.م) في أسرة فقيرة وتوفي أبوه وهو في الثالثة من عمره ثم رعته والدته إلى أن اشتد عوده فأخذ يعمل لدى الحكومة وبعد زواجه بفترة توفيت والدته فحزن عليها حزناً شديداً آثر على أثرها البقاء في البيت بعد أن ترك عمله وتركته زوجته بعد أن يئست من حاله، وكان خلال فترة الحداد يقرأ الكتب الفلسفية ويراجع تراث الحكماء الصينيين القدماء فقرر أن يعمل على تدريس الفلسفة والحكمة إلى الناس فخرج بعد فترة الحداد يجوب البلاد كمعلم جوال[١]. وقد تسلم منصب رئاسة الوزراء في إحدى المقاطعات الصينية بعد أن تمكن من نشر أفكاره بين الناس وأصبح حكيماً يشار إليه بالبنان، إلا أن أمد وزارته لم يدم أكثر من أربعة سنوات آثر العودة بعدها إلى حياة التعليم والتجول ليصبح بعد ذلك حكيم الصين العظيم.

---

(١) الحكماء الثلاثة، أحمد الشنتاوي، ص١٤٦-١٤٨.

**طبيعة الكونفوشيوسية :**

والكونفوشيوسية ليست ديناً في نظر الكثير من المفكرين لأنها مجموعة من الحكم والأقوال العظيمة تفوه بها كونفوشيوس في تصريف أحوال الدنيا واضطر لجمعها تلاميذه من بعده(١).

فكان طيلة فترة عمله في الحكومة يؤكد على أن كل موظف في الدولة يجب أن يقوم بواجبه على الوجه الأكمل وأن يكون رائده العدالة والاستقامة وبذلك تستقيم الأمور وينال أصحاب الحق من الناس حقوقهم(٢).

أما عن التدين فلم يؤثر عن كونفوشيوس أنه ذكر في تعاليمه أي نوع من أنواع العبادة المعروفة في الأديان المنزلة. ولم يرد له أيضاً ما يدل على ضرورة إقامة أماكن مقدسة خاصة بالعبادة يؤمها الناس في أوقات مخصوصة(٣). ولكن ذكر عنه أنه سلم بشرائع السماء وقد قال بأنه من المحال على المرء أن يكون متفوقاً دون التسليم بشرائع السماء(٤). فإنه وإن كانت أفكاره تمثل نزعة فلسفية إنسانية وأساس تعاليمه لا تعتمد على أي كائن علوي أو أية قوة غير منظورة(٥). إلا أنه كان يعتقد بإله السماء إذ أثر عنه القول بأن الكون قد خلقه إله عظيم هو (شانغ-تي) وفق أنظمة لا يعتورها الخلل والفساد وما السماء والنجوم والحركة الكونية إلا إنموذج للنظام العلوي الذي وضعه الإله لهذا العالم.

فالإله يلاحظ مجرى الكون ويهب الحياة للأحياء وهو الذي أعطى للإنسان عقلا يميز به أفعاله وأعماله ومنحه الذكاء والإدراك والمعرفة ليسعى إلى عمل الخير والفضيلة والبر والإحسان ومكرم الأخلاق ويتجنب الشر والرذيلة وعقوق الوالدين وما إلى ذلك من مخالفات خلقية(٦).

---

(١) الحكماء الثلاثة، ص١٢٦، وقصة الديانات، سليمان مظهر، ص١٨١.
(٢) الحكماء الثلاثة، ص١١٠، والهاشمي، الأديان في كفة الميزان، ص٢٧.
(٣) نفس المصدر، ص١٣٦.
(٤) نفس المصدر ص١١٠.
(٥) نفس المصدر، ص١٥٤.
(٦) نفس المصدر، ص١١١.

| ينظر كونفوشيوس الى الاله نظرة عدم اكتراث فهو عنده – ان كان موجوداً – فانه لا يتدخل بشؤون البشر . |
| --- |

في السماء من يشرع القوانين والقواعد العامة التي تنظم الحياة الإنسانية والحكومة تتلقى هذه القوانين والقواعد وتقوم على تنفيذها. أما الشعب فهو من يعيش وفقاً لنصوصها[1]. واعترافه بقوة السماء لا تعني تسليمه بالأديان السماوية فالدين هو المعاملة وليس اجتماع الناس بطريق تأدية شعائر معينة. الدين عنده مواساة اليتيم والبر بالفقراء والمعوزين وكف اليد عن الاعتداء على الغير.

ولذلك فإن تعاليمه تمثل فلسفة أخلاقية منها إلى دين تعبدات[2] ولكنه برغم ذلك أوصى بتعلم الشعر ومعرفة الطقوس والشعائر الدينية المختلفة لأنه يرى أن الطقوس والشعائر تربي في النفس ملكة الانتباه الشديد إلى تفاصيل الأمور ودقائقها[3].

**كونفوشيوس والطبقية :**

ولقد رفض كونفوشيوس أن تكون هناك طبقية في المجتمع. ورفض الكهنوتية بشدة ولكنه قسم الدولة إلى حكام وشعب ووضع بينها طبقة المعلمين وجعل لها مكاناً ممتازاً لأن واجباتها دراسة القوانين وصياغتها من كل عبث[4]. وكان جل فكره ينصب على شؤون الحياة الدنيوية ولم يكن يتكلم عن أمور ما وراء الطبيعة فقد أثر عنه أنه لام تلميذاً له كان يفكر بالموت فقال له: (إذا كنت لا تعرف الحياة فماذا تعرف عن الموت).؟ وكان في حديثه عن العلاقات الإنسانية يؤكد على قانون العدالة. وقال بأن رد الإساءة لا بد أن يكون بالعدل، ورد الإحسان. وفسر

(١) تاريخ الآلهة، الكتاب الثاني، الجزء الثاني، ص٤٩.
(٢) نفس المصدر، ص١٣٣.
(٣) نفس المصدر، ص١٥٠.
(٤) نفس المصدر، ص١١١.

ذلك بالقول بأنه إذا كانت الحكومة مثلا تحسن أو تتغاضى عمن يسيء إلى البلاد أو إلى القائمين بالحكم فإن مآل ذلك إلى الفوضى وسوء الحال.

طبقة المعلمين، هي الطبقة الوحيدة التي يقتنع بوجودها كونفوشيوس.. رغم انه يرفض الطبقية الاجتماعية.

أما إذا حاسبتهم على أفعالهم حساباً عادلاً فإن الأمور تستقيم وتستطيع الحكومة القيام بواجباتها على الوجه الأكمل[1]. ولذلك فإن العقوبات في رأيه يجب أن تكون من جنس العمل.

وكان يدعو الناس إلى الفضيلة فيقول اجعل الأمانة والإخلاص من مبادئك الأولى وكان يدعو إلى المعرفة فيقول أن المرء لا يصل إلى السعادة ومراتب التقدم عن طريق التعبدات، بل يصلها عن طريق ذاته فحسب بالمعرفة الصحيحة. وكان يدعو للرأفة بالآخرين فيقول ما لا تحب أن يصنع معك فلا تصنعه مع الآخرين[2].

لم يكن كونفوشيوس يسعى وراء الشهرة لانه كان في أعلى المناصب، وتخلى عنها حتى يكون معلماً. ولم يكن يسعى ليكون قديساً كما ينظر له شعبه الآن.

**مخلفات كونفوشيوس :**

وقد خلف كونفوشيوس تراثاً قيماً في خمسة كتب تدعى (كنج) يقال أنه كتب بعضها وجمع البعض الآخر. وهذه الكتب عبارة عن حكم وأمثال ووثائق وأشعار

---

(١) نفس المصدر، ص١١٣، وقصة الديانات، سليمان مظهر، ص٢٠٠.
(٢) تاريخ الآلهة، فاروق الدملوجي، الكتاب الثاني، ص٤٨.

وطقوس قديمة تتكلم عن البر والمحبة والحشمة والمعرفة والإيمان وحقوق المـرأة وخلف تلامذته من بعده أربعة كتب أخرى كانوا قد جمعوها عنه وهي بحوث فـي الأخلاق والفضيلة وفي الاعتدال وعفة النفس وعدم المغالات في الأمـور وكـذلك شروح على حكم وأقوال كونفوشيوس(١) .

**كونفوشيوس والعبادات :**

وبرغم أنه لم يتحدث هن العبادات والمعابد في حياته إلا أنه أصبح (أقدس القديسين) كما يدعوه الصينيون اليوم. فشيدوا له المعابد في أنحاء الصين وأخـذوا يتعبدونه ويقدمون له القرابين والذبائح وأصبح له أتباع يؤمنون بأفكاره ويقـسمون باسمه وهم طائفة كبيرة في الصين يزيد عدد أفرادها عن ٢٥٠ مليون فـي وقتنـا هذا.

## الداويــة

> انا طيّب مع اولئك الذين ليسوا طيبين.
>
> (لاوتسي)

**ديانة لاوتسي :**

وكانت العقيدة الداوية قد نشأت جنبا إلى جنب مع الكونفوشيوسية، وفي نفس الفترة التي بدأت فيها البوذية بالانتشار في الهند، الأرض المجاورة للصين ولد (لاوتسي) أو الفيلسوف العجوز في القرن السادس قبل الميلاد وفي التسعين من عمره كتب كتابه (العقل والفضيلة) فأصبح كتابا مقدساً لطائفة من الصينيين دعيت فيها بعد بالداوية. و(داو) كلمة قد تعني الله وقد تعني طريقة التفكير أو الامتناع عن

(١) الحكماء الثلاثة، ص١٣٩

التفكير، إذ تنصب فلسفة (لاو) على هجر التفكير، إذ يرى أنه لا خير فيه للجدل أو النقاش فهو يضر الحياة أكثر مما ينفعها وتكسب سعادة المرء بالعزلة والتقشف والتأمل الهادئ في الطبيعة لا في التفكير.

و(لاو) يرى الأمور عكس ما يراه كونفوشيوس إذ أن أولى واجبات الإنسان لإقامة حياة فاضلة هي إيمانه (بالله) ولا يرى ضرورة لأن تقابل الإساءة بالعدل بل بالإحسان إذ أن الطريقة الوحيدة لجعل الناس خيرين صالحين هي معاملتهم برفق وإحسان (أنا طيب مع أولئك الذين ليسوا طيبين) فالرجل الصالح عند (لاو) هو من يحب جميع الناس ولا يكره أحداً قط. ويمكن تلخيص العقيدة الداوية: بأنها الميل إلى السكون والهدوء والاستسلام إلى الطبيعة الأولى حيث أن الحضارة الجديدة عقدت الحياة بمخترعاتها وكتبها وفلسفتها فنشأ من ذلك ما أصاب الناس من بؤس وشقاء.. فالمرء لا بد أن يعود إلى الطبيعة بعيداً عن كل ما جد من أمور[1].

كان لاوتسي يدعو لاقامة حياة فاضلة وهو يؤمن بالله ويدعو إلى مقابلة الاساءة بالاحسان.

وبعد وفاة لاو-تسي، ذهب أتباعه إلى تشويه أفكاره بأن حولوها إلى عقيدة تؤمن بمعبودات لم يذكرها في حكمه وأقواله وبدعوا يؤلهون كل شيء في الطبيعة حتى الفئران والثعابين وآمنوا بالشياطين والجن والأرواح الشريرة ثم تحول الناس بعد فترة من وفاته إلى عبادته هو جاعلين منه إلها فبنيت له المعابد في كثير من مدن الصين.

---

(١) قصة الديانات، ص٢١٩-٢٢٨.

**الداوية والحياة بعد الموت :**

ولما لم تكن الداوية أو الكونفوشيوسية تتحدث عن الحياة بعد الموت لـــذلك فإن كثيراً من الصينيين سرعان ما اتجهوا صوب الدين الجديد في الهند -البوذية- والتي راحت تفسر لهم النيرفانا فانتشرت لذلك البوذية في الصين انتـــشاراً هـــائلاً وصارت دين الأكثرية الصينية ولكن انتشار هذه العقيدة الجديدة لم يجعل الصينيين ينبذون الكونفوشيوسية أو الداوية بل اختلطت معان هذه العقائد الثلاث ولذلك فإنـــه يسمى الشعب الذي يعتنق ثلاث عقائد في آن واحد[١].

| الداوية، ديانة لاوتسي لم تكن تتكلم عن حياة ما بعد الموت، فهو ومـــن قبله كونفوشيوس لم يكونا يتكلمان عن اليوم الآخر ولم يعن لهمـــا شـــيئاً فيما تركاه من تراث. |
|---|

(١) انظر: قصة الديانات، ص٢٤٢، و The World's Religons (p. 135)

# جدول مقارن بين
# الكونفوشيوسية والداوية

١- عبد الصينيون قديماً مظاهر الطبيعة المؤثرة في الكون كأغلب الشعوب القديمة، وكان أهم مظاهر تلك العبادة الخوف من خوارق الطبيعة وعبادة الأرواح الكامنة في جميع الأشياء وتقديس ما على الأرض من صور رهيبة وما لديها من قدرة على الإنتاج والتوالد ومن هنا عبدوا الريح والرعد والأشجار والجبال والأفاعي، وآمنوا بأن لكل من هذه المقدسات روحاً يجب أن يعبد ولكنهم في الوقت نفسه عرفوا مبدأ التفريد آمنوا بوجود قوة عليا مسيطرة على العالم (الإله الأعلى) ووصفوه بأنه في غاية العدل والحكمة[١].

٢- لم يقتصر الصينيون القدماء على عبادة مظاهر الطبيعة بل عبدوا أيضا وعلى مدى تاريخهم كله وعلى نحو شبه عام أرواح أسلافهم، كما عبدوا أرواح حكمائهم والأبطال منهم. وحتى أباطرتهم كانوا يعتبرونهم دائماً مقدسين[٢] لأنهم كانوا يعتقدون أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم وتبقى في الدنيا. وكان أهم مظاهر العبادة عندهم هو الغناء والرقص والموسيقى وتقديم القرابين.

٣- لم يكن الصينيون القدماء يؤمنون باليوم الآخر وما فيه من نعيم مقيم أو عذاب دائم وكانوا يؤمنون بالقضاء والقدر ويقولون: أن كل الحوادث مقدرة في السماء

---

(١) انظر مظهر، قصة الديانات، ص١٧٥، وأبو زهرة، مقارنات الأديان، ص٩٠، والمنوفي، الدين المقارن، ص٩٢.

(٢) انظر: البان، ج. ويد جيري، المذاهب الكبرى في التاريخ، من كونفوشيوس إلى توينبي ترجمة ذوقان قرقوط، ص١٢، والمنوفي، الدين المقارن، ص٩٢.

معروفة، ويعتقدون أن السلوك القويم يجلب الخير والبركة وأن السلوك غير القويم يحدث الاضطراب والقحط.

٤- التزم كونوشيوس بديانة قومه ولم يغير فيها شيء فلم يؤمن باليوم الآخر ولم يشغل نفسه بالتفكير فيما بعد الموت وكان كل همه إصلاح الحياة الدنيا. وكان يقدم القرابين ويقوم بواجب العبادة التي يقوم بها كل صيني تجاه الآلهة المتعددة، ولقد كان في الناحية الدينية ساذجاً يتشاءم من صوت الرعد ويرتجف وترتعد فرائصه عندما يسمعه ويقرأ التعاويذ لطرد الأرواح الشريرة من بيته.

٥- لم يكن لكونفوشيوس مذهب أو عقيدة دينية يدعو إليها وإنما وضع قواعد للسلوك المستقيم كان حريصاً على تطبيقها أو شيوعها خصوصاً عندما تولى منصب قاضي القضاة في مدينة (جونج دو) ووزارة الجرائم في إقليم (لو) وبعدما تخلى عن مناصبه تلك امتهن التعليم. وكان تعليمه كتعليم سقراط، شفيهاً لا يلجأ فيه إلى الكتابة وكان جوالاً ينتقل من مكان إلى آخر وفي صحبته نفر من التلاميذ والمريدين يستوحون آراءه.

٦- بعد موت كونفوشيوس أقام له الصينيون معبداً وعبدوه كعادتهم في عبادة أرواح الأسلاف ثم عمت عبادته الصين كلها وأصبح له في كل مدينة من مدن الصين معبد يؤمه الناس لسماع الدروس وإقامة الصلوات وتقديم القرابين، ومن لم يؤمن اليوم بألوهيته من الصينيين المتعلمين فله في نفسه توقير وتقديس يقرب من التأليه باعتباره أعظم حكيم وطني صيني عاش على أرض الصين.

٧- وكذلك لاو-تسي الذي كان معاصراً لكونفوشيوس والذي يكبره في السن ولكنه لم يشتهر خارج الصين شهرة كونفوشيوس. لم يكن هو الآخر صاحب مذهب أو عقيدة دينية وإنما كان فيلسوفاً التجأ إلى الزهد والعزلة والتقشف والتأمل الهادئ في الطبيعة وكان يبشر بالحلم والصبر والرفق والعطف على الآخرين ويدعو إلى التسامح ومقابلة الإساءة بالإحسان وكان يقول: (إذا لم تقاتل الناس فإنه أحداً على ظهر الأرض لن يستطيع أن يقاتلك. قابل الإساءة بالإحسان. فأنا

طيب مع الطيبين وطيب أيضاً مع غير الطيبين فبذلك يصير الناس كلهم مخلصين. إن ألين الأشياء في العالم تصدم أصلبها وتتغلب عليها. وليس في العالم شيء ألين ولا أضعف من الماء ولكن لا شيء أقوى من الماء في مغالبة كل ما هو صلب وقوي).

٨- وبعد موت لاو-تسي بسنوات تحولت الداوية من اتجاه فلسفي إلى ديانة لها معبوداتها وآلهتها وراح أتباعه يعبدون الفئران وأبناء آوى والثعابين، وبمضي الزمن زاد اعتقادهم بالسحر والشعوذة ووجود الشياطين والمردة والجن ومصاصي الدماء والغيلان وكل أرواح الشر وهكذا عبد الصينيون (لاو-تسي) بعد أن جعلوا منه إلهاً وشادوا له المعابد وأغدقوا المال بسخاء على كهنتها ولا تزال أصول هذه الديانة وفلسفتها تهمين على عقول الملايين في الصين حتى يومنا هذا.

٩- ثم وفدت الديانة البوذية إلى الصين مع التجار الصينيين العائدين من رحلاتهم في نيبال والهند، ولقيت لها أتباعاً، وأخذت تنافس وتغالب بهم أتباع كونفوشيوس ولاو-تسي حتى انتصرت وانتشرت في جميع أنحاء الصين بسبب عقيدتها في الحياة بعد الموت (النرفانا) فقد كان الصينيون تواقين إلى معرفة مصيرهم ومصير أسلافهم الذين يعبدون أرواحهم تلك العقيدة التي خلت منها الداوية وحتى الكونفوشيوسية بل أن كونفوشيوس كان ينهي تلاميذه عن التفكير في هذا الموضوع ويحثهم على التفكير في الحياة الدنيا وصرف همتهم لإصلاح أحوال أمتهم ويروى أن أحد تلاميذه سأله عن مآل الأرواح بعد الموت فأجابه (لم نقدر على خدمة الأحياء: فكيف نقدر على خدمة الأموات ولم نعرف الحياة فكيف نعرف الممات)؟

١٠- كان بين لاو-تسي وكونفوشيوس اتفاق واختلاف:

أما الاتفاق فيتمثل في أن كلا منهما يبشر بالحلم والصبر والبر بالوالدين والعطف على الأقربيين والغرباء وفي أن كلا منهما لم يغير عقائد قومه الدينية ولم يزد عليها شيئا وإنما كان يشاركهم في طقوسها وشعائرها.

أما الاختلاف بينهم فمن أوجه:

أ- يرى (لاو-تسي) أن التفكير وشحذ العقل في محاولة إصلاح المجتمع الفاسد لا خير فيه وأنه يضر الحياة أكثر مما ينفعها وأن الخير كل الخير في الزهد والتقشف والعزلة والتأمل الهادئ في الطبيعة.

بينما يرى كونفوشيوس ضرورة الاختلاط بالناس ليصلح من حالهم وليس من مذهبه اعتزال الناس والزهد في الدنيا، جاء في حوار كونفوشيوس للاو-تسي عندما التقيا وكان الأول شاباً والثاني كهلاً (إذا كان واجب كل شخص من آحاد الأمة أن يعتزل في كهف من الكهوف فمن الذي يبقى في المدن يعمرها وفي الأرض يفلحها ويزرعها وفي الصنائع يمهر فيها ومن الذي ينسل ويعمل ليبقى الكون عامراً ببني الإنسان؟ وإذا كان الاعتزال مقصوراً على الحكماء والفضلاء فمن الذي يربي الإنسان ويؤدبه؟ أم يترك الناس حائرين لا هادي ولا مرشد.

كان من مبادئ لاو-تسي العفو والتسامح ومقابلة الإساءة بالإحسان (قابل الإساءة بالإحسان ، أنا طيب مع الطيبين ، أنا مخلص للمخلصين ، ومخلص أيضاً مع غير المخلصين). بينما كان كونفوشيوس يرى ضرورة أن يأخذ العدل مجراه في كل الأمور فمن العدل أن يعاقب المسيء على إساءته وليس من العدل العفو عن سيئته ولكن يعدل معه.

**داو هو الطريق إلى الله :**

ب-يرى لاو-تسي ان (داو) هو البداية العظمى لجميع الأشياء في العالم، وأن أول واجب على الناس الذين يريدون أن يحيوا حياة فاضلة سعيدة هو الإيمان بداو، أي طريق الله وإن الدنيا هي التي ستعني بنفسها بعد ذلك.

بينما كونفوشيوس كان لا يهتم بمعرفة شيء عن الله وأسمائه وصفاته بل بذل جهده في إصلاح الناس وإسعادهم في دنياهم وكان يقول: أن الله يمكن أن يعني بنفسه.

| يوجد في الصين الآن بالإضافة إلى الديانات الثلاث (الكونفوشيوسية، الداوية، البوذية) الدين الإسلامي ويبلغ عدد أتباعه أكثر من ٣٠ مليون نسمة والدين المسيحي بجانب الشيوعية التي أصبحت النظام الرسمي للصين. |
| --- |

# الديانة اليابانية

**ديانة الشنتو وعبادة الشمس :**

وتكثر الديانات في اليابان كما هي الحال في الصين حيث تنتشر في اليابان ديانات الشنتو والبوذية والكونفوشيوسية والمسيحية والإسلام.

إلا أن الشنتو هي ديانة يابانية عريقة، كانت في بدايتها ديانة بدائية النمو والارتقاء ورغم أنها قد بنيت على مبادئ بدائية قديمة إلا أنها لا تزال في ظل شعب متحضر ومتطور في النواحي الاقتصادية والسياسية(١).

وقد كان اليابانيون القدماء يعبدون الشمس بصورة خاصة ويعبدون الظواهر الطبيعية الأخرى كالقمر والنجوم والجبال والأنهار ...الخ، ولقد عبدوا بجانب هذه الظواهر أباطرتهم وأبطالهم الحربيين.

اعتمدت تعاليم الشنتو على كتابين قديمين كانا معروفين في اليابان اسمهما كوجيكي وينهوجي، ويتحدث الكتابان عن الخليقة والكون وقيام العالم.

وتعني الشنتو طريق الآلهة أو (طريق الأرواح الخيرة) و(شن) تعني الأرواح الخيرة و(تاو) اسم الديانة الداوية التي جاء بها (لاو-تسي) في الصين، فالأرواح تشكل أساساً للعقيدة اليابانية(٢). اتخذت هذه العقيدة خمس قواعد يقوم عليها الدين وهي:

١- الإيمان بأن النار مطهرة.

٢- لا بد من التطهير الروحي بالخضوع للعقل. ولا بد من التطهير الجسدي بالاحتراس من النجاسات.

٣- يجب تقديس الأعياد وضبط أيامها.

---

(١) The World's Religons p. 153

(٢) قصة الديانات، سليمان مظهر، ص٢٤٥.

٤- ضرورة الحج إلى الأماكن المقدسة التي يربو عددها على ٢٢ معبداً.
٥- يجب القيام بعبادة الآلهة في المعابد والهياكل[١].

**الالهة لا تتدخل في شؤون البشر :**

ورغم أن اليابانيين يؤمنون بآلهة واحدة عليا إلا أنهم لا يقيمون لها أي وزن في تعبداتهم لأنها لا تتدخل بشؤون البشر اليومية. أما الآلهة الثانوية الأخرى كالظواهر الطبيعية والإمبراطور فإنه من الواجب القيام بالصلاة لهم وإطاعة أوامرهم المتمثلة بأوامر الإمبراطور وقوانين المملكة، أما الظواهر الطبيعية فإنها تكون دائماً ملتصقة مع البشر في كل ما تقدمه للكون من قضايا خير أو شر.

وكذلك فإن الظاهر أن العقيدة اليابانية تتخذ وجهين الأول ويسمى عقيدة الدولة (State Religion) ويقوم اليابانيون بعبادة الحاكمين والأسلاف الذين أسسوا الدولة وقاموا ببنيانها، والوجه الثاني هو اتجاههم إلى عبادة أسلاف القبائل ويسمى العقيدة المنزلية[٢] وكان كل إمبراطور حتى الحرب العالمية الثانية يعتبر ضل الله في الأرض لذلك فإن الكثير من أبناء الشعب ينتحر لدى وفاته ليرافقونه إلى العالم الآخر إذ أن الإخلاص له يعتبر تديناً وعرفاناً بالجميل لكن تلك النظرة تبدلت نحو الإمبراطور بعد خسارة اليابان في الحرب العالمية الثانية وأصبح ينظر له نظرة دنيوية خالصة وبذلك فقد تخلصت المعابد والكهنة من سلطة الدولة الموجهة لشؤونهم[٣].

أما رجال الدين والكهنة فلم تكن لهم في الديانة السابقة مكانة خاصة ممتازة بين طبقات الشعب كما في الديانات الأخرى، وكان الناس يعاملونهم كمعلمين روحانيين يتعيشون على صدقات زوار وحجاج المعابد وكان الإمبراطور فيما سبق رئيساً للكهنة في البلاد، وتمتاز معابد الشنتو ببساطتها لو قورنت بمعابد البوذية.

---

(١) تاريخ الآلهة، الكتاب الثاني، ج٢، فاروق الدملوجي، ص٥٩.
(٢) قصة الديانات، ص٢٤٦، والله، للعقاد، ص٨٨.
(٣) The World's Religons p. 164-165.

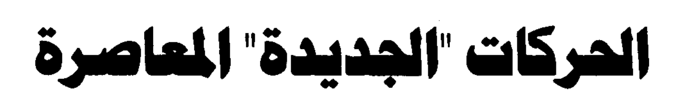
وقد دخلت الديانة البوذية إلى اليابان عن طريق كوريا في القرن السادي الميلادي ودخلت الكونفوشوسية إليها أيضاً وساعدت الأخيرة على خضوع الشعب التام للسلطان الحاكم ولذلك وجدت مرتعاً خصباً لها هناك.

**العقائد الثلاثة في اليابان :**

وفي كثير من الأحيان نجد في اليابانيين ما وجدناه في الصينيين حيث أن هناك الكثير من الناس من يؤمن بالأديان الثلاثة في آن واحد، والجميع يردد ما جاء في العقيدة اليابانية (التفت إلى وطنك والأرض يا صديقي وحاول أن تؤدي واجبك نحوها حتى تموت)[1].

لم نر في كل الديانات الشرقية اي ذكر لله وانما اجمع الاهتمام فيها على شخصيات بشرية أو مبادئ من صنع البشر، والهّوا الكثير من قادتهم ليجعلوا منهم الهة من دون الله . علماً بان كل الاديان السماوية تعيش بينهم.

(١) قصة الديانات، ص٢٧٢.



# الحركات "الجديدة" المعاصرة

١- القاديانية

٢- البابية

٣- البهائية

# الحركات المعاصرة

هذا الفصل .. يضم مجموعة من المعتقدات التـــي لا تــشرك بالله ولكنها تشرك برسالة الاسلام، اذ يعتقد دعاتها ان النبوة لم تنقطع بوفاة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم.. وانمـــا النبوة فيض.. وانما بعثوا - هكذا - لاكمال الرســـالة التـــي بعث بها النبي الكريم.. حتى وصل الامر ببعضهم القول بـــان رسالتهم افضل من رسالة الاسلام - تعالى الله عما يقولون-

# القاديانية

رأى المسلمون ان النحلة القاديانية هي مؤامرة ضد الاسلام والمسلمين وهي ترمى الى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

**نشوء القاديانية :**

نشأت القاديانية في وقت كانت الهند تحت الاستعمار الإنجليزي ولهذه العقيدة صلة مع الإنجليز وقد قام ميرزا غلام أحمد بالاتصال مع الإنجليز وهادنهم وربط نفسه بهم لذلك قدموا له الكثير من المساعدات الأدبية والمادية، كانت القاديانية تعمل بوحي من الإنجليز وقد قال أحد القاديانيين (اعتقادي الذي رأيت على إبدائه للناس المرة تلو المرة هو أن الإسلام قائم على أصلين، الأول: أن نطيع الله تبارك وتعالى، ثانياً: ألا نبغي على الحكومات التي وجدت دعائم الأمن وصانت أرواحنا من اعتداء المعتدين وإن كانت هنا هي الحكومات البريطانية) ولذلك قام بتعطيل الجهاد في الإسلام لأن الجهاد هنا هو منصب على الإنجليز وقد أعلن صراحة أن نبوته قامت لخدمة الإنجليز ووجوب طاعتهم ولنصرتهم في قوله: (لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ولنصرتها وقد ألفت من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضه إلى بعض لملأ خمسين خزانة وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل) وكما قال أيضاً: (لقد ظللت منذ حداثة سني وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين

إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية ولما فيه خيرها والعطف عليها وأنادي بإلغاء فكرة الجهاد التي يدين بها بعض جهالهم ولتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة).

**القاديانية والإسلام :**

ولذلك رأى المسلمون أن النحلة القاديانية هي مؤامرة ضد الإسلام والمسلمين وبمجرد أن رفعت هذه النحلة رأسها بادر علماء المسلمين وقادتهم إلى مواجهتها ومقاومتها وكان من الذين قاموا على مواجهتها أبو العلاء المودودي قائد الحركة الإسلامية في باكستان وقام بتأليف كتاب يكشف فيه زيف القاديانية (ما هي القاديانية؟) وقد طلب المسلمون مراراً وتكراراً في عهد الاحتلال الإنجليزي بفصل القاديانية عن المسلمين وفي طليعة الذين أبدوا حبهم وجهادهم في سبيل الإسلام ولرد كيد القاديانية إلى نحرها حيث قام بنشر مقالات وتصريحات في الصحف يبين فيها موقف الإسلام من النحلة هذه وكشف عورات القاديانية والاعتقادية وكذلك خدماتهم للاستعمار لإنجليزي وتمسكهم بأذياله بقول الدكتور رحمة الله الهندي في إحدى تصريحاته: (إن كل طائفة دينية في الأمة الإسلامية يقوم كيانها على إدعاء نبوة جديدة وتعلن بكفر جميع المسلمين الذين لم يصدقوا بهذه النبوة المزعومة يجب أن ينظر إليها كخطر جدي علي وحدة المجتمع الإسلامي لأن وحدته وتماسكه وتضامنه لا تقوم إلا على دعامة عقيدة ختم النبوة).

وقال أيضاً في رسالة وجهها إلى كبرى صحف الهند قائلاً: (أن القاديانية مؤامرة مدروسة ترمي إلى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نبوة جديدة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ولأجل ذلك فإن القاديانيين يتخذون موقف الانفصال الكامل من المسلمين في الشؤون الاجتماعية والدينية).

**ميزرا غلام احمد والقاديانية :**

وتنسب الحركة القاديانية كما بينّا إلى غلام أحمد وهو من أصل هندي ولد في مقاطعة البنجاب عام ١٨٣٩م في قرية تسمى قديان وكان لوالده روابط وعلاقات مع الاستعمار الإنجليزي وكان عيناً للإنجليز على الحركات المناهضة

للاستعمار وتلقى علومه وبعض اللغات في الهند وقد أصيب منذ الصبا باضطراب عصبي يؤدي إلى العيش في الخيال وكان يصاب بشدة الخوف وشرود الذهن وقد توفي مصاباً بمرض الكوليرا عام ١٩٠٨م ودفن في مقبرة يسميها القاديانيون مقبرة الجنة ويظن كثير من الناس أن القاديانية فرقة من فرق المسلمين ولكنهم في الحقيقة ليس لهم أي علاقة بالمسلمين بل لقد نفوا في أصولهم أنه إذا مات مسلم فلا يجوز أن يدخل مقابرهم أي أن يدفن فيها. كما أنهم يحرمون الزواج من المسلمين وهم يعتبرون أن الذي لا يؤمن بالغلام فإنه كافر وقد كتب أحد علمائهم على لسان مؤسس الدعوة: (إن الله قال له أي لغلام إن الذي يحبني ويطيعني وجب عليه أن يتبعك ويؤمن بك وإلا لا يكون محباً لي بل هو عدو لي وإذا أراد منكروك أن لا يقبلوا هذا بل كذبوك وآذوك فنجزيهم جزاء سيئاً واعتدنا لهؤلاء الكفار جهنم سجناً لهم).

| ان كل طائفة في الأمة الاسلامية يقوم كيانها على ادعاء نبوة جديدة يجب ان ينظر اليها كخطر جدي على وحدة المجتمع الاسلامي. |
|---|

**ميزرا علام أحمد والأفكار المختلفة :**

وقد مر الميرزا بفترات تقلبت فيها أفكاره وعقائده ولكن تقلباته تلك كانت بتسلسل مقصود. ومن تلك الفترات:

١. ما بين سنة ١٨٨٠-١٨٨٨م كان الميرزا داعياً يدعو إلى الإسلام ويدفع عنه أذى من يطعن فيه وكان شديد الحرص على أن يوضح العقيدة الموافقة لعقائد سائر المسلمين إلا أن المسلمين كانوا يشعرون بأن كلامه مبطن.

٢. وفي شهر ديسمبر سنة ١٨٨٨م نادى بالمسلمين ودعاهم إلى مبايعته وبدأ في أوائل ١٨٨٩م بأخذ البيعة منهم وكان يدعى حين ذاك مجدد العصر وكان

يظهر للناس مماثلته للمسيح زعماً منه أنه يقوم بمهمة الدعوة والإرشاد بمثل ما كان عليه المسيح من التواضع.

٣. وفي سنة ١٨٩١م ادعى أنه هو المسيح الموعود والمهدي الموعود وفي بـدء هذه المرحلة كتب الميرزا عن نفسه قائلاً: (ثم بقيت إلى اثنتي عـشرة سـنة وهي مدة مديدة غافلاً كل الغفلة عن الله تعالى قد خاطبني بالمسيح الموعـود بكل إصرار وشدة وفي البراهين وما زلت على عقيدة نزول عيسى العامـة ولكن لما انقضت اثنتا عشرة سنة آن أن تنكشف عن العقيدة الثانيـة فتـواتر عليها الإلهام إنك أنت المسيح الموعود). وهذا التصريح ورد في كتابه حقيقة الوحي ص ١٤٩.

٤. وفي سنة ١٩٠٠م بدأ أتباعه يلقبونه بالنبي وينزلونه المنزلة السامية التـي قـد خصها القرآن بالأنبياء وأما من غير أتباعه المترددين في الإيمان بنبوته قام بتأويل نبوته بكلمات النبي الناقص أو النبي الجزئي وفي خطبة الجمعة فـي ١٩٠٠/٨/٧م خطب أحد أتباعه وهو المولى عبد الكريم وقال فـي خطبتـه: (واعلموا أنكم إن لم تحكموا المسيح الموعود في كل ما يشجر بينكم وتؤمنوا به كما آمن الصحابة بالنبي الكريم صلى الله عله وسلم كنتم إلى حد كبير من المفرقين بين رسل الله كغير الأحمدين).

وبعد الصلاة صدقه الميرزا وأيده قائلاً: (نعم إن مذهبي هو عين ما قد بينتـه في خطبتك).

٥- وفي سنة ١٩٠١م أعلن الميرزا أنه النبي والرسول ولم يعد أثر كتاباته بغيـر النبوة ورسالته بكلمات النقص أو الجزئية.

٦. وفي سنة ١٩٠٤م أضاف الميرزا دعوى جديدة إلى دعاويه السابقة وهي أنـه كرشن (معبود من معبودي الهنادك).

**اماكن تواجد القاديانيين :**

أما أماكن تواجد القاديانيين في الوقت الحاضر فهي: الباكستان والهند وإيران وهم منتشرون في دول أوروبا الغربية وأمريكا. ولكنهم يتمركزون في الهند وباكستان حتى استطاع بعضهم أن يصل إلى مراتب عليا في الدولة إلى درجة وزير وقد حاولوا من خلال هذه المراكز وبعض رؤوس الأموال التي حصلوا عليها أن ينشروا أفكارهم من خلال الجامعات التي تبشر بأفكارهم.

| الباكستان، الهند، ايران هي اماكن تواجد القاديانيين . |
|---|

**علاقات القاديانيين الدينية :**

لقد أقاموا علاقات وثيقة مع الفرق الأخرى المنحرفة وخاصة البهائية كما أنه يتمتعون بعناية خاصة من قبل الدول الأوروبية وخاصة بريطانيا. بل لقد كان الإنجليز السبب الأهم في نشأة الحركة القاديانية وتبنيها ودعمها بالأموال وكانت تهدف بذلك إلى عدة أمور على رأسها إجهاض الحركات التحررية في شبه القارة الهندية التي كانت تستند إلى الإسلام إضافة إلى التشويش على المسلمين والتشكيك في الإسلام ويمكن أن نلخص أهم أفكار ومعتقدات القاديانية بما يلي:

أولاً: ادعى غلام أحمد أن عيسى عليه السلام بعد موته الظاهري هاجر إلى كشمير ينشر تعاليم الإنجيل في البلاد ثم توفي عندما بلغ من العمر ١٢٠ عاماً وقبره لم يزل هناك.

ثانياً: ادعى أنه المهدي ولذلك فالقاديانيون يعتقدون أن غلام أحمد هو المهدي والنبي معاً ويفضلونه على أولي العزم من الرسل.

ثالثاً: أنه لا يوجد جهاد بالسلاح وإنما يجب استعمال الإقناع حتى لو تعرض الإنسان للاضطهاد، وكما لا يجيزون التعامل مع غير القادياني أو الزواج منه أو الصلاة عليه أو دفنه في مقابرهم.

> للقاديانيين جانب تنظيمي هام والاعلام يركز على بعض أعضاء هذا التنظيم حتى تصبح عناصر مؤثرة في المجتمع .

أما بالنسبة إلى الصلاة فإنهم يعتقدون أنه لا تصح الصلاة إلا خلف القادياني بل لا تجوز الصلاة في غير معابدهم.

وللقاديانيين جانب تنظيمي هام، فهم بحكم ارتباطهم بالاستعمار الإنجليزي يتاح لهم مكان الوصول إلى مستويات عليا في مختلف أوجه النشاط البشري وهذا هو السر وراء التركيز الإعلامي حول بعض الشخصيات القاديانية حتى تصبح عناصر مؤثرة يتطلع إليها الناس.

**موت الميرزا غلام احمد :**

وبعد موت ميرزا مؤسس الفرقة بفترة قصيرة انقسم القاديانيون إلى قسمين قسم متطرف في أفكاره أصر على أن الميرزا كان نبياً وكان على رأس هؤلاء مولاى نور الدين الخليفة الأول وميرزا بشير أحمد الخليفة الثاني وقسم آخر رأى في التطرف خروجً على جوهر الإسلام وهذا الفريق يعرف باسم جماعة لاهور أو الأحمدية ولذلك لا يقولون نبوة ميرزا ولا تعترف بمعجزاته ولكنهم يعتبرونه مصلحاً ملهماً وعلى رأس هذه الجماعة خوجة كمال الدين ومولاي محمد علي بترجمة القرآن إلى الإنجليزية وألف كتاباً أسماه دين الإسلام.

**مصادر الحركة القاديانية :**

أما أهم المصادر للحركة القاديانية فهي كتاب حقيقة النبوة وسيرة المهـدي وبراهين أحمدية والخطبة الإلهامية وهي إحدى خطب المؤسس التي قـام أتباعـه بشرحها شروحات طويلة واعتبروها معجزة واستنبطوا منها الكتـب والتـشريعات وهي في الحقيقة لا تعدو كلاماً هو في صياغته دون المتوسـط وأفكارهـا مليئـة بالانحرافات العقائدية والعقلية.

## البابيـة

كان للاستعمار الروسي والانجليزي دوراً كبيراً في مناصرة الحركة البابية ودعمها.

**مؤسس الفرقة :**

تنسب الفرق البابية إلى الميرزا علي محمد المولود في ستراز في جنـوب إيران سنة ١٢٣٥ هجري.

وتسمى البابية لأن الميرزا في بداية دعوته اعتقد أن الباب الذي يوصل إلى المهدي الذي يعتبر بالنسبة لكثير من الفرق التي تعش في إيران هو أملها الوحيـد وقد اعلن الميرزا دعوته سنة ١١٢٦٠هـ وقد عرف بين أهله ومعارفه أنه لم يكن شخصية جادة في تحصيل العلوم بل كان يميل إلى الجانب الخرافي والسبب في ذلك أنه تأثر كثيراً ببعض الانحرافات العقائدية التي كانت سائدة في إيران في تلك الفترة وعلى رأس تلك الانحرافات الحلولية ووحدة الوجود.

**نبوة ميرزا محمد عند البابيين :**

أما الأدلة التي اعتمدها البابيون لإثبات نبوة ميرزا محمد:

أولاً: يزعم البابيون أن تضحية أصحابه في سبيله هو دليل على أنه كان رسولاً يوحى إليه.

ثانياً: أن ثبات محمد على دعوته رغم ما تعرض له من منافسة ومعارضة يدل على أنه نبي.

ثالثاً: أن إيمان الناس به وانتشار دعوته يدل على أنه نبي.

رابعاً: أن الباب ميرزا كان يتمنى الشهادة وهذا يدل على أنه نبي، لقد اختفى الميرزا لمدة سنتين وقال البعض ثلاث سنوات ويبدو أن السبب في الاختفاء هو الإعداد لنفسه أولاً ليكون أقدر على التنظير لحركته وحتى يثير حوله حالة من الاهتمام من ناحية أخرى.

| يزعم البابيون ان تضحية اصحاب الميرزا علي في سبيله دليل على نبوته |
|---|

**دور الروس والانجليز في مناصرة الحركة البابية :**

لقد كان للاستعمار الروسي والإنجلزي دور كبير في مناصرة الحركة البابية ودعمها وقد عقدت السفارة الروسية والإنجليزية مؤتمراً سنة ١٢٦٠هـ للإعلان عن دعوته، كما قامت الدول الاستعمارية بفتح المراكز والمؤسسات لتعليمية ونشر الكتب والترويج الإعلامي من أجل نشر هذه الحركة وقد ظهر في هذه الحركة امرأة تسمى قرة العين وقد وصفت بأنها كانت شديدة الذكاء والفصاحة والجمال وكان لها أثر كبير في نشر هذه الدعوة حيث بدأت دعوتها في بغداد في حي الكاظمية ثم انتقلت إلى إيران وعقدت عدة مؤتمرات للدعوة إلى البابية وهي

التي جاءت بفكرة أن البابية ناسخة للشريعة الإسلامية. ويذكر المؤرخون أن كثيراً من الذين اتبعوا البابية كانوا مفتتنين بهذه المرأة.

**العقائد البابية**

وهي منقولة عن كتاب (البيان) المقدس عند البابيين، ونرى أن التعاليم التي جاءت فيه، فيما يخص العقائد والعبادات، لم تكن واضحة وجلية إلى حد اليقين، فإن الرموز والإشارات التي يستعملها علماء الكلام والفلاسفة تدخل كثيراً بين جمل الكتاب.

**أ- عقيدتهم في الإله:**

كان الاعتقاد بوجود إله واحد أزلي، تستمد صفاته من أساس العقيدة الباطنية، ومن الناحية الاعتقادية يبنون كل مظاهر العمل والعبادة على أنها أمور ظاهرية تعبر عن أمر باطني، فيقول الباب: (إن الحقيقة الروحانية المنبعثة من الله، قد حلت في شخص (الباب) حلولاً مادياً جسمانياً، وأن الأنبياء جميعاً من لدن آدم قد تجسدوا في شخصه، واتخذوا منه سبيلاً للعودة إلى الدنيا من جديد)، وكان الباب يرى نفسه الممثل الحقيقي لهؤلاء الأنبياء والمعبر عن رسالاتهم.

**ب- عقيدتهم بالأنبياء:**

الاعتقاد بـ (النبي) مستمد من العقيدة بالخالق نفسها، فالنبي في حياته مظهر من مظاهر الله في الأرض وارتقاؤه إلى هذه المنزلة إنما هو باستكماله صفات أخلاقية جعلته يعبر عن الأمر الواقعي ويصل إلى الحقيقة دون غيره. فمن استكمل الصفات التي استكملها النبي فهو أحق وأهل للتظاهر بمظهر الدعوة والتبشير، لهذا صح (للباب) أن يكون مظهراً من مظاهر الله في الأرض، ولهذا يقول (الباب) عن نفسه: (هو نفس محمد صلى الله عليه وسلم الذي كان نقطة الفرقان)، ويقول: (إن ظهوره في هذا العصر في (إيران) أقوى وأكمل وأعلى وأشرف من ظهوره في العرب قبل ثلاثة عشر قرناً (بصورة محمد صلى الله عليه وسلم)، وقبل اثني عشر ألف سنة (بصورة آدم).

وعلى هذا فهم يعتقدون بأن النبي محمداً صلى الله عليه وسلم، ليس بخـاتم الأنبياء والرسل، بل وحتى (الباب) ليس بخاتم المظاهر (يكون بعد ظهـوره مـن يظهره الله ظهورات أخرى إلى ما لا نهاية لها).

**ج- عقيدتهم باليوم الآخر:**

والبابيون ينكرون أمور الآخرة جميعها من القيامـة والبعـث والـصراط والحساب والميزان والجنة والنار... وغير ذلك، يقول (الباب) عن القيامة: (إنهـا عبارة عن وقت ظهور شجرة الحقيقة في كل الأزمنة، مثلاً إن بعثة عيسى كانـت قيامة لموسى، وبعثة رسول الله قيامة لعيسى، وبعثته هو (الباب) قيامة لرسول الله، وكل من كان على شريعة القرآن كان ناجياً إلى ليلة القيامة، أي من يوم الـساعة، وهي (الساعة الثامنة والدقيقة الحادية عشر من غروب الشمس من اليوم الرابـع، وأول الليلة الخامسة من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٦٠هـ، وأن ما يسمى بلقـاء الله واليوم الأخر، ليس إلا رموزاً لحياة روحية متجددة).

وكذلك يمكن تلخيص بعض معتقداهم الأخرى بما يأتي:

١- العمل على نسخ الشريعة الإسلامية فهم يعتقدون أن الشريعة البابيـة ناسـخة للإسلام.

٢- العمل على الحط من قدر النبي عليه الصلاة والسلام من خلال إشاعة التفاسير المنحرفة والخاطئة والضالة ونصوص مفتراة ومن هذه النصوص مثلاً قولـه: (كنت في يوم نوح نوحاً وفي يوم إبراهيم إبراهيماً وفي يوم عيسى عيسى وفي يوم محمد محمداً ولأكونن في يوم من يظهره الله من يظهره الله).

٣- اعتقاده أن البعث هو بعث الله من يشاء من عباده من أنفس الأحياء وليس بعثاً شاملاً وليس فيه حساب.

٤- يعتقد البابي أن الجنة والنار هما غير ما جاء عنهما في الإسلام فالجنة والنـار عندهم هي السرور بمعرفة الله أما النار فهي عدم الدخول في البابية.

٥- يعتقدون أن الله تعالى ليس خالق كل شيء بل الذي يخلق المشيئة الإلهية التـــي تظهر في مظاهر الله.

ويستندون في عقائدهم إلى كتاب البيان ويعتبرونه دســتورهم ويعتبــرون الكافر به في جهنم مهدور الدم ويرون أنه يجب إجبار الناس علــى الــدخول فــي البابية إذا كانوا قادرين على ذلك.

لقد تعرض الباب ميرزا للاضطهاد من قبل الشيعة وطلبوا من حاكم شيراز أن يستتيبه ولكنه رفض فقاموا بتعذيبه حتى أعلن توبته في المسجد ولكنها كانــت مرحلة تكتيكية حتى يخلص نفسه من الموت.

## البهائية

ان أماكن انتشار الحركة البهائية هي باكستان، ايران، الهند واسرائيل.

**مؤسس البهائية :**

بعد مقتل الباب ميرزا وبعد أن حاول البابيون اغتيال الــشاه قــام الــسفير الروسي بإقناع الشاه بأن الميرزا حسين طاهر اليدين ولم يــشترك فــي الإعــداد لاغتيال الشاه وكان يلقب بالبهاء فوافق على أن يكون أميراً للبابية وتحول اســمها إلى البهائية نسبة إليه وقد حدث تجديد في الفرقة الجديدة في العقائد والتشريع وأهم أفكارهم: (إن الله تعالى لا يوصف بوصف ولا يسمى باسم فهم بذلك ينظرون إلــى الله أنه عدم ومن عقائدهم وجوب عدم المواظبة على الصلاة وعدم الانتظام فيهــا صفوفاً وقبلتهم ليست الكعبة وإنما حيث يوجد الميرزا وعدد صلاتهم هــي ثــلاث صلوات في كل صلاة ثلاث ركعات والصيام هو صيام شهر يسمى عندهم شــهر العلاء وهذا الشهر هو آخر الشهور التسعة عشر البهائية التي تكون منهــا العــام

البهائي وشهرهم هو تسعة عشر يوماً أما الزكاة فقد سكتوا عنها ولم يتكلموا فيها والحج هو فرض على الرجال دون النساء لأن المرأة لا يصلح لها العبادة، أما الطهارة والنجاسة فليس لها معيار فكل شيء عندهم طاهر والسبب في ذلك الروح الإباحية التي تسيطر عليهم وكذلك ينكرون الجنة والنار والصراط والميزان وكل الآخرة، ومن أسوأ أفكارهم أنهم يجيزون الزواج من الشقيقات والأشقاء بل أنهم يفضلونه.

**أماكن انتشار البهائية :**

انتشرت الحركة البهائية في باكستان وإيران والهند ورغم الاضطهاد الذي تعرض له في السنوات الأخيرة في إيران إلا أنها ما زالت تحظى بدعم واحترام الدول الاستعمارية الغربية وخاصة أمريكا وبريطانيا حتى جعل لهم ممثل في الأمم المتحدة أما مكانهم المقدس فهو جبال الكرمل في حيفا وهم يتواجدون هنك ويحبون الزيارة إلى هذا المكان.

**أهم مؤلفات البهاء**

لقد كتب البهاء المازنداري كتباً كثيرة تحتوي على صفحات قليلة حتى أننا يمكننا اعتبارها رسائل فكتاب الأقدس الذي يعتبره البهائيون كتابهم المقدس هو عندهم أفضل من كل الكتب السماوية السابقة حيث يقول في كتابه الأقدس ما نصه: (قل فالله الحق لا يغنيكم اليوم كتب العالم وما فيه من الصحف إلا بهذا الكتاب الذي ينطق في قطب الإبداع أنه لا إله إلا أنا العلي الحكيم) (البهاء الأقدس طبعة بومباي).

ويقول في سورة الأمين: (يا قوم امسكوا أقلامكم قد ارتفع صرير القلم الأعظم من لدن مالك القدم ثم انصتوا وقد ارتفع نداء الله الأبهى في برية الهدى أنه لا إله إلا أنا المهيمن القيوم) (كعبة باكستان ص٤٣).

وهناك نصوص كثيرة بهذا الشكل هذا الكتاب مليء بالتراكيب الخاطئة والأخطاء اللغوية التي لا يصح أن يقع فيها تلميذ في المرحلة الابتدائية وكل فقرة من فقراته وعبارة من عباراته مهملة رديئة ومليئة بالأخطاء من حيث اللغة والقواعد وقد حاول المازنداري أن يقلد القرآن إلا أنه فشل فشلاً ذريعاً لأن كلمات القرآن تشهد بأنها وحي إلهي وأنه لن يستطيع أحد أن يأتي بمثل هذا القرآن أبداً.

قال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ سورة البقرة، ٢٤-٢٥[١].

**عقائد البهائية**

**١- عقيدتهم في الله**

ذكرنا العديد من آراء البهائية في الله عز وجل ويتبين من هذا أن البهائية دين يستمد اعتقاده من أساس العقيدة الباطنية، فهم يعتقدون بوجود إله واحد، وإن هذا الوجود مظهر من مظاهر الله. (حيث أن الله ليس له أسماء ولا صفات ولا أفعال، وأن كل ما يضاف إليه من أسماء وصفات وأفعال هي رموز لأشخاص ممتازين من البشر قديماً وحديثاً هم مظاهر أمر الله، فيذكرون أن (حسين علي بهاء الدين) يتكلم كمظهر الله يعبر عن إرادته).

ويقول بهاء الله: (أنه موعود كل الأنبياء، وأنه هو المظهر الإلهي الذي في عهده يتأسس حكم السلام).

فالبهائيون يعتقدون أن ظهور (حسين علي البهاء) هو عين ظهور الله). فيقول البهاء: (لا يرى في هيكلي إلا هيكل الله ولا في جمالي إلا جماله ولا في كينونتي إلا كينونته ولا في ذاتي إلا ذاته ولا في حركتي إلا حركته ولا في سكوني

(١) من تقرير كتبه "بسام فيصل أمين قاسم" تحت إشرافي.

إلا سكونه ولا في قلمي إلا قلمه العزيز المحمود، قل لم يكن في نفسي إلا الحق ولا يرى في ذاتي إلا الله).

إذن البهائية هم آخر الطوائف الباطنية يعبدون البهاء عبادة حقيقية ويدينون بألوهيته وربوبيته ولهم شريعة خاصة بهم.

وعلى هذا فهم يقولون (أنه ما دامت الحقيقة الإلهية مجرداً صرفاً فلا بد لهذا المجرد الصرف من هيكل يتعين فيه ويتجسد لكي يعرف ويرى، وهذا الهيكل يسمى عندهم (بالنقطة) أو (النقطة الأولى)، كما قالوا: إن الناس لا يبصرونه تعالى ولا يسمعونه بآذانهم إلا إذا تجلى لهم في هيكل مرئي، وتكلم معهم بلغة بشرية).

وعلى هذا تكون عقيدة البهائيين في (حسين علي البهاء) هي: (أن ظهوره ظهور الله مستقلاً).

**٢- عقيدتهم في النبوة:**

أما عقيدة البهائية في النبي، فإنهم، يعتقدون أن النبي في حياته مظهر من مظاهر الله في الأرض، وارتقاؤه إلى هذه المنزلة إنما هو باستكماله صفات أخلاقية جعلته يعبر عن الأمر الواقعي، ويصل إلى الحقيقة دون غيره.

ولذلك فالبهائية يعتقدون أن (المرزة حسين علي البهاء) هو الموعود من جميع الأنبياء السابقين).

لأن البهائي يعتقد أن (بهاء الله) هو الحامل للرسالة الإلهية في هذا العصر الجديد الذي نعيش فيه، وأنه هو المعلم العظيم الذي جاء في العالم لتنفيذ وإتمام أغراض من سلفه من الأنبياء.

ومما تقدم نلاحظ أن البهائية تعتقد أن الأنبياء لم يتموا رسالتهم على الوجه الصحيح، وأن (حسين علي البهاء) جاء ليتم النقص الحاصل عند الأنبياء!!!.

فقد قرر (بهاء الله) (بوضوح وجلاء، مراراً أنه هو المعلم المنظر في العصور الأولى، وأنه معلم جميع العالم وأنه السبيل الموصل إلى نعمة عجيبة تفوق جميع ما تقدم من الفيوضات، وأن جميع الأشكال والأوضاع الدينية المتقدمة كلها راجعة إليه).

ويعتقد البهائيون كما يقول (الباب الشيرازي): (أن ظهوره في هذا العصر في (إيران) أقوى وأكمل وأعلى وأشرف من ظهوره في العرب قبل ثلاثة عشر قرناً (بصورة محمد صلى الله عليه وسلم)، بأن النبي صلى الله عليه وسلم، ليس بخاتم الأنبياء والرسل، بل وحتى (البهاء) ليس بخاتم المظاهر (يكون بعد ظهور من يظهره ظهورات أخرى إلى ما لا نهاية لها).

فهم يقولون دائماً بعدم انقطاع الوحي بعد النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

| يقول البهائيون: أن النبي في حياته مظهر من مظاهر الله في الارض. |
|---|

**٣- عقيدتهم في الآخرة:**

إن الأمور التي تتعلق بالآخرة لا ذكرَ لها في الديانة البهائية أصلاً، مثل عذاب القبر، والبعث بعد الموت، والحشر والنشر، والحساب والجزاء، والثواب والعقاب، والجنة والنار... وغير ذلك من المسائل فلا يجد الباحث أو القارئ أي أثر أو ذكر لهذه الأشياء في كتب البهائية جميعها.

والبهائي لا يدري ماذا يكون بعد الموت؟ ولم العمل وما نتيجتــه؟ فهــذه المسائل المهمة والضرورية سكتت عنها شريعة البهائية!! ولكنهم يعرفون (طبقاً للتعاليم البهائية لا علاقة للقيامة بالجسد المادي الغليظ فــإن ذلــك الجسد ينتهي بالموت ويتحلل إلى عناصره الأولية ولا تتركــب أجــزاؤه ثانية في البدن نفسه. فالقيامة هي ولادة الإنسان فــي الحيــاة الروحيــة بموهبة الروح القدسية، والقبر الذي يخرج منه هو قبر الجهل والغفلــة، والنوم الذي يستيقظ منه هو السبات الذي يعقبه طلوع فجر يوم الله وهذا الفجر يضـيء جميع من يعيش على ظهر الأرض مادياً وروحياً.

# المصادر


**القرآن الكريم**

**الكتاب المقدس**، إصدار دار الكتاب المقدس، ١٩٦٥، Arabic Bible 43. IIm.

١- الأحمد، الدكتور سامي سعيد

الإله زووس، ط١، مطبعة الجامعة، بغداد، ٩٧٠.

الأسس التاريخية للعقائد اليهودية (من منشورات الجمعية العراقية للتاريخ والآثار)، رقم (١) مطبعة الإرشاد بغداد، ١٩٦٩.

اللغات الجزرية (من منشورات اتحاد المؤرخين العرب) بغداد ١٩٨٢.

٢- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد (ت ٧٢٨هـ).

النبوات، ط١، المطبعة المنيرية بمصر، ١٣٤٦هـ.

٣- ابن حزم: أبو محمد علي

الفصل في الملل والأهوال والنحل.مكتبة المثنى، بغداد، (د.ت).

٤- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ).

تفسير القرآن العظيم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٩.

٥- ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب.

كتاب الأصنام "تحقيق أحمد زكي" نسخة مصورة عن دار الكتب، ١٩٢٤.

٦- ابن النديم: أبو الفرج محمد (ت ٣٨٥هـ).

الفهرست (نسخة مصورة عن طبعة لايبزج ١٨٧٢) نشرة مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٤.

٧- أبو زهرة: الشيخ محمد

مقارنات الأديان، الديانات القديمة، دار الفكر العربي القاهرة (د.ت).

محاضرات في النصرانية، القاهرة، (د.ت).

٨- أبو علية وياغي: عبد الفتاح، ود. إسماعيل.
تاريخ أوربا الحديث والمعاصر، الرياض، ١٩٧٩.
٩- أسود: عبد الرزاق محمد
الموسوعة الفلسطينية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ١٩٧٨.
١٠- باقر: الدكتور طه
مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، القسم الأول: تاريخ العراق القديم، ط٢، بغداد، ١٩٥٥.
القسم الثاني: حضارة وادي الرافدين، ط٢، بغداد، ١٩٥٦.
١١- الباقلاني: أبو بكر محمد بن الطيب
كتاب التمهيد، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٥٧.
١٢- برستيد: جيمس هنري
تطور الفكر والدين في مصر القديمة "ترجمة زكي سوس" دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع القاهرة، ١٩٦١.
١٣- براناتيس: الأب أي بي.
فضح التلمود ، تعاليم الحاخامين السرية "ترجمة زهدي الفاتح"، بيروت، ١٩٨٥.
١٤- البغدادي: عبد القاهر بن طاهر بن محمد (ت ٤٢٩هـ).
الفرق بين الفرق "تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد. مطبعة المدني بمصر (د.ت).
١٥- بوتيرو: جان
الديانة عند البابليين "ترجمة وليد الجادر" ط١، بغداد ١٩٧٠.
١٦- الجرجاني: علي بن محمد علي الزين.
التعريفات، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٣٨

١٧- جرجيس: صبري

تاريخ الصهيونية، ج١، بيروت، ١٩٧٧.

١٨- الجسر: الشيخ نديم

قصة الإيمان، مطابع المكتب الإسلامي، ط٣، بيروت، ١٩٦٩.

١٩- جعفر: الدكتور محمد كمال إبراهيم.

في الدين المقارن، دار الكتب الجامعية، ١٩٧٠.

٢٠- الجندي: أنعام

دراسات في الفلسفة اليونانية العربية، ط١، بيروت (د.ت).

٢١- حسن: محمد علي.

بين التوراة والقرآن خلاف. بغداد، ١٩٨٣.

٢٢- حسين: الشيخ محمد الخضر.

محمد رسول الله ، مطبعة العلم بدمشق، ١٩٧١.

٢٣- الحسني: عبد الرزاق.

الصابئون، ط٤، مطبعة العرفان، صيدا، بيروت، ١٩٧٠.

٢٤- الحلو: عيسى.

عصور ما قبل التاريخ وتاريخ بابل القديم، دار الطليعة، بيروت.

٢٥- الحيني: الدكتور محمد جابر عبد العال.

دراسات إسلامية في العقائد والأديان، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧١.

٢٦- خان: ظفر الله.

التلمود، تاريخه وتعاليمه، ط٢، بيروت، ١٩٧٢.

٢٧- الخشاب: الدكتور أحمد.

الاجتماع الديني مكتبة القاهرة الحديثة، ط٣، ١٩٧٠.

٢٨- دراوو: الليدي:
الصابئة المندائيون "ترجمة نعيم بدوي وغضبان رومي" ، مكتبة خياط، بيروت، ١٩٦٤.
أساطير وحكايات شعبية صابئية، مطبعة الأديب البغدادية، (د.ت).
٢٩- الدملوجي: فاروق
تاريخ الآلهة "سبعة أجزاء" بغداد، ١٩٥٤.
٣٠- دي بور: الأستاذ ت.ج
تاريخ الفلسفة في الإسلام "نقله إلى العربية د. محمد عبد الهادي أبو ريدة" ط٤، ١٩٥٧.
٣١- ديورانت: ول
قصة الفلسفة "ترجمة د.فتح الله محمد المشعشع" ط٢، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٢.
٣٢- الرازي: الإمام فخر الدين.
اعتقاد فرق المسلمين والمشركين،مطبعة لحنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة،١٩٣٨.
٣٣- رزقانة: د. إبراهيم (وأخرون).
حضارة مصر والشرق القديم، دار مصر للطباعة (د.ت).
٣٤- رستم: د. أسد.
حرب في الكنائس، بيروت، ١٩٦٥٧.
٣٥- زيدان: د. عبد الكريم.
أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، ط١، مطبعة البرهان، بغداد، (د.ت).

٣٦- السامرائي: نعمان بعد الرزاق.
دراسات في التوراة مستلة من العدد الرابـــع، مجلـــة الـــشريعة ١٩٦٧- ١٩٦٨.
٣٧- الساموك: د. سعدون محمود الساموك.
موجز تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية. محاضرات أ لقيت على طلبة الصف الرابع، كلية الشريعة، جامعة بغداد، ١٩٨٥.
مختصر تاريخ الكنيسة، مجلة كلية الآداب، القسم الثاني، العدد ٢١، لسنة ١٩٧٦.
موسوعة الاديان والمعتقدات القديمة، دار المناهج، عمان، ٢٠٠٢ .
تاريخ الديانتين اليهودية والمسيحية، جامعة بغداد، ١٩٨٨.
محاضرات في اليهودية والنصرانية، بغداد، ١٩٩٨.
مقارنة الاديان، دار وائل، عمان، ٢٠٠٤ .
٣٨- سوسة: د. أحمد
العرب واليهود في التأريخ ، ط٢، العربي للإعلان والنشر والطباعة.
٣٩- شلبي: د. أحمد
مقارنة الأديان "أربعة أجزاء" ط٤، القاهرة، ١٩٧٣.
٤٠- الشنتناوي: أحمد
الحكماء الثلاثة، ط١، القاهرة، ١٩٥٣.
٤١- الشهرستاني: محمد عبد الكريم أحمد
الملل والنحل "تحقيق د. عبد العزيز محمد الوكيـــل، مؤســـسة الحلبـــي وشركاؤه". القاهرة، ١٩٦٨.
٤٢- صالح: د. محمد محمد.
تاريخ أوروبا من عصر النهضة وحتـــى الثـــورة الفرنـــسية (١٥٠٠- ١٧٨٩)، بغداد، ١٩٨٢.

٤٣- ضو: د. بطرس.
تاريخ الموازنة الدينية والسياسي والحضاري، بيروت، ١٩٧٧.

٤٤- الطبري: أبو علي الفضل بن الحسن.
مجمع البيان في تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٤٥- عاشور: د.سعد عبد الفتاح.
أوروبا، العصور الوسطى، ط١، التاريخ السياسي، القاهرة، ١٩٧٢.

٤٦- العامري: أبو الحسن محمد بن يوسف، (ت ٣٨١هـ).
كتاب الإعلام بمناقب الإسلام "تحقيق د. أحمد عبد الحميد غراب" دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧.

٤٧- عبد الباقي: محمد فؤاد
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مطابع الشعب، مصر، ١٣٧٨هـ.

٤٨- عبد الوهاب: د. أحمد
المسيح في مصادر العقائد المسيحية،القاهرة، ١٩٧٨.

٤٩- عبده: الشيخ محمد
رسالة التوحيد، دار الهلال، عدد ١٤٣، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

٥٠- العقاد: عباس محمود.
الله كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف بمصر.

٥١- العقيقي: نجيب.
المستشرقون، القاهرة، (د.ت).

٥٢- عليان: د. رشدي.
العقل عند الشيعة الإمامية، ط١، دار السلام، بغداد ١٩٧٣.

٥٣- عليان والساموك، د. رشدي و د. سعدون محمود.
الأديان دراسة تاريخية مقارنة، بغداد ١٩٧٨.

٥٤- علي: د. فؤاد حسنين:
التوارة الهيروغليفية، القاهرة، (د.ت).
٥٥- غردبة، لويس و (ج قنواتي).
فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية (نقلة إلى العربية. د. صبحي الصالح والدكتور فريد جبر) ط١، دار القلم، بيروت، ١٩٧١.
٥٦- فريزر: سير جيمس:
الغصن الذهبي، دراسة في السحر والكهانة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (ترجمة د.أحمد أبو زيد وآخرون) القاهرة، ١٩٧١.
٥٧- الفندي: محمد ثابت والشنتاوي (أحمد وخورشيد) وآخرون.
دائرة المعارف الإسلامية "نقلا عن الإنجليزية"، ط١٩٣٣.
٥٨- الفيروز آبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٦هـ).
القاموس المحيط،ط٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ١٩٥٣.
٥٩- الفيومي: محمد.
المصباح المنير، القاهرة (د.ت).
٦٠- القاضي، عبد الجبار.
المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج٥، القاهرة، ١٩٨٥.
٦١- قراعة: سنية.
التوحيد من عهد آدم والرسالات الكبرى، دار ومطابع الشعب، القاهرة، (د.ت).
٦٢- قطب: سيد
في ظلال القرآن، ط٥، دار إيحاء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٧.
٦٣- قنواتي: الأب الدكتور جورج شحاتة.
المسيحية والحضارة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٤.

٦٤- كاير: جوزيف
حكمة الأديان الحية "ترجمة حسين الكيلاني" ط١، بيروت، ١٩٧٤.
٦٥- كراوس: بول.
رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، مطبعة بـــول بـــارين، مصر.
٦٦- مظهر: سليمان
قصة الديانات، القاهرة، ١٩٨٤.
٦٧- المسيري: عبد الوهاب.
اليهودية والصهيونية وإسرائيل ، المؤسسة العربية للدراسات والنـــشر"، بيروت، ١٩٧٥.
٦٨- المنوفي: السيد محمود أبو الفيض.
الدين المقارن، بحث في سائر الديانات العالمية، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط١، القاهرة، ١٩٧٠.
٦٩- موسى:د. محمد يوسف.
الإسلام وحاجة البشرية إليه، الشركة العربيـــة للطباعـــة والنـــشر، ط٢، القاهرة، ١٩٦١.
٧٠- موداك: مانوراك.
الهند، شعبها وأرضها "ترجمة العميد محمد عبد الفتاح إبـــراهيم طـــه" ، ط١، القاهرة، ١٩٦٤.
٧١- ناصر: محمد علي.
أصول الدين الإسلامي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
٧٢- النجار: عبد الوهاب
قصص الأنبياء ، ط٣، مكتبة وهبة، مصر (د.ت)

٧٣- النشار: الدكتور علي سامي.
نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، ط٣، ١٩٦٥.
٧٤- نهرو: جواهر لال
لمحات من تاريخ العالم، ط٢، بيروت، ١٩٥٧.
٧٥- هاولز: وليام
ما وراء التاريخ، دار نهضة مصر للطبع والنشر "ترجمة د. أحمد أبو زيد)، القاهرة، ١٩٦٥.
٧٦- الهاشمي: العميد الركن طه.
تاريخ الأديان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت.
٧٧- الهاشمي: محمد فؤاد
الأديان، في كفة الميزان، مطابع دار الكتاب العربي بمصر.
٧٨- هويدي: د. يحيى
محاضرات في الفلسفة الإسلامية، ط١، القاهرة، ١٩٦٦.
٧٩- وافي: د. علي عبد الرزاق.
الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، القاهرة، ١٩٧١.
٨٠- وجدي: محمد فريد.
دائرة معارف القرن العشرين، ط٣، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧١.
٨١- ويد جيري: "البان ج".
المذاهب الكبرى في التاريخ، من كونفوشيوس إلى توينبي "ترجمة ذوقان قرقوط" دار العلم، ط١، بيروت، ١٩٧٢.
٨٢- آل ياسين: الدكتور جعفر.
فلاسفة يونانيون، ط١، مطبعة الإرشاد، بغداد، ١٩٧١.

٨٣- الأيجي:
المواقف في علم الكلام وشرحه للسيد الشريف الجرجاني القسطنطينية، ١٢٨٦هـ.
٨٤- ابن أبي الحديد، عز الدين أبو حامد عبد الحميد هبة الله.
شرح نهج البلاغة، تحقيق أبو الفضل إبراهيم القاهرة، ١٩٥٢
٨٥- ابن أبي داود:
كتاب المصاحف، ط١، القاهرة، ١٩٣٦.
٨٦- الزرقاني:
مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إيحاء الكتب العربية، ط٣، ١٩٧٢.
٨٧- الأشعري:
مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، ط١، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٩هـ.
٨٨- ابن تيمية:
الرسائل والمسائل- تحقيق محمد رشيد رضا، القاهرة.
مجموع الفتاوى. مطبعة الحكومة، مكة المكرمة.
٨٩- بكر عبد الرزاق السامرائي.
الصحبة عند الصوفية، رسالة ماجستير، بغداد، ١٩٩٧.
٩٠- ابن خلدون: المقدمة، ط١، بيروت، ١٩٠٦.
٩١- الخطيب البغدادي:
تاريخ بغداد، القاهرة، ١٩٣١م.
الفرق بين الفرق، القاهرة، ١٩١٠.
أصول الدين الإسلامي، أسطنبول، ١٩٢٨.
تقييد العمل، دار إحياء السنة النبوية.

٩٢- ابن بابويه القمي:
عقائد الشيعة، طهران، ١٣٧٠هـ.
٩٣- التفتازاني:
شرح المقاصد، دار الطباعة العامرة ، ١٢٧٧هـ.
٩٤- د.عرفان عبد الحميد فتاح:
دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، بغداد، ١٩٦٧.
الفلسفة والتصوف، حضارة العراق، ج٨، مطبعة الحرية، بغداد، ١٩٨٥.
٩٥- د. عبد الغني عبود:"
أنبياء الله والحياة المعاصرة، ط١، دار الفكر العربي، ١٩٧٨.
٩٦- فاروق الدملوجي:
هذا هو الإسلام، بغداد، ١٩٦٨.
٩٧- القرطبي:
التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، مطابع مدكور وأولاده، القاهرة.
٩٨- ابن قيم الجوزية:
أعلام الموقعين عن رب العالمين، بيروت، لبنان.
٩٩- الماوردي:
أعلام النبوة، مصر، ١٣١٩هـ.
١٠٠- الشيخ محمد أبو زهرة:
تاريخ المذاهب الإسلامية. القاهرة، ١٩٧٤.
١٠١- الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:
أصل الشيعة وأصولها، ط٩، النجف، ١٩٦٢.
١٠٢- الشيخ محمد الخضري بك:
تاريخ التشريع القرآني، بيروت، ١٩٧٨.

١٠٣- الشيخ محمد رشيد رضا:
الوحي المحمدي، مكتبة القاهرة.
١٠٤- الشيخ محمد رضا المظفر:
عقائد الإمامية، القاهرة، ١٣١٨هـ.
١٠٥- الشيخ محمد عبده:
رسالة التوحيد، القاهرة، ١٩٦٦.
١٠٦- محمد علي ناصر:
أصول الدين الإسلامي، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.
١٠٧- محمد علي الصابوني:
النبوة والأنبياء، دار النصر، ط١، ١٩٧٠.
١٠٨- الشيخ محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، القاهرة.
١٠٩- الشيخ المفيد:
تصحيح عقائد الإمامية، مع أوائل المقالات.
أوائل المقالات في المذاهب المختارات، تبريز، ١٣٧١.
١١٠- الندوي، أبو الحسن علي لحسين
القادياني والقاديانيين،الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٥، جدة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.
١١١- النوبختي:
فرق الشيعة، تحقيق هلمون ريتر، اسطنبول، ١٩٣١.

## ثانيا المصادر الأجنبية:

1- Archtbald G. Baker, A Short History Of Christianity. Chicago, 1944.

2- Bouquet, A.C. Comparative Religion Baltimore. Maryland, 1969.

3- Braden, Charles, World Religions, Detroit, U.S.A. 1954.

4- Jewish Encyclopedic Handbooks, 1.

5- Kuiper, B.K., The Church In History, Michigan, 1964.

6- Ottly, R.L., A Short History Of The Hebrews To The Roman Period,. New York 1905.

# الفهرس

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
| --- | --- |

| الموضوع | الصفحة |
|---|---|